معالم

مجلة نصف سنوية تعنى بترجمة مستجدّات الفكر العالمي

تصدر عن المجلس الأعلى للّغة العربيّة - الجزائر

العدد الثامن- السداسي الأول 2017

مسؤول النشر:
أ.د. صالح بلعيد
رئيس المجلس.
*****

رئيس التحرير:
أ.د. محمد داود.
****

نائب رئيس التحرير:
أ. د. محمد أوسكورت.
****

سكرتير التحرير:
أ. بلعباس حاج أحمد.
*****

هيئة التحرير:
أ.د. حبيب مونسي؛
أ.د. عبد الحميد بورايو؛
أ.د. عبد القادر بوزيدة؛
أ.د. أحمد قسوم؛
أ.د. مفيدة بلهامل؛
أ. محمد ساري؛
أ. عبد الكريم شريفي.
****

الهيئة الاستشارية:
أ. عبد الحميد حنون؛
أ. طاهر لبيب؛
أ. يونس صوالحي؛
أ. محمد أيت موهوب؛
أ. علي لاغا؛
أ. صبحي البستاني؛
أ. سان ياغي؛
أ. محمد ثناء الله الندوي.

معالم

مجلة نصف سنوية تعنى ترجمة مستجدات الفكر العالمي

تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية

العدد الثامن السداسي الأول
2017

المراسلات:
المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرانكلين روزفلت، الجزائر
الهاتف: 24/25 07 23 21 (213+)
الناسوخ: 17 07 23 21 (213+)
ص.ب. 575 ديدوش مراد، الجزائر
****

البريد الالكتروني:
www.asjp.cerist.dz
ma3alim-trans@hotmail.com
رقم الإيداع : 6012-2009
الترقيم الدولي الموحد للمجلات (ر.د.م.د):
2170-0052

معايير النشر :

- أن يتقيّد المترجم بالضوابط العلمية والأكاديمية المتعارف عليها.
- أن توضع الهوامش والمراجع في آخر المقالة.
- أن تكون الأعمال غير منشورة من قبل. (ملاحظة: المقالات التي تَرِد إلى المجلة، لا تُرَدّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.)
- أن ترسل النصوص مرفقة بقرص مسجل باسم رئيس المجلس أو مدير التحرير على العنوان التالي:

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرنكلين روزفلت، الجزائر.

ص. ب: 575 ديدوش مراد، الجزائر.

الفهـــرس

- **مقدّمة: أ.د صالح بلعيد** 5
- **كلمة العدد: أ.د محمّد داود**.....7

*****

عن التّرجمة

*****

- **الجوانبُ الثّقافيةُ للتّرجمةِ، مقاربةٌ لبعضِ المفاهيمِ الأساسيةِ** 13

*بقلمِ: لويس كوردوني، ترجمة: أ.د محمّد داود

- **تكوين المترجم بين مطرقةِ المصطلحيةِ وسندانِ التّرجمة**..... 31

*بقلم: أ.د جازية الفرقاني

- **دراسةٌ في بعضِ التكافؤاتِ الترجميةِ من وجهةِ نظرِ فعلِ التلقي** 39

*بقلمِ: د. رشيدة بصّافي

- **المصطلحاتُ التّقنيةُ في التّرجمةِ الفوريةِ**.....63

*بقلمِ: دانيال جيل، ترجمة: أ. حاج أحمد بلعبّاس

- **استراتيجياتُ التّرجمةِ في الصّحافةِ الرياضيةِ**..... 81

*بقلمِ: حنان رزّيق ود. إيمان بن محمّد

فكر عالمي مترجم

*****

- **الأبعاد الأنثروبولوجيّة والثقافيّة للعولمة**..... 93

*بقلم: مارك إبليس، ترجمة: أ.د عبد الحميد بورايو

- **الإقناع وعلم النفس الاجتماعي**.....105

*بقلم إيفانا ماركوفا، ترجمة: أ.د مفيدة بلهامل

- الأسس الفسيولوجية للتمرين العضلي.......................................115
*بقلمِ: أ. لهواري بشير، ترجمة: د. نذير طيّار

- "طريق فْلانْدَرا" (رواية).. 133
*بقلمِ: كلود سيمون، ترجمة: أ. محمّد ساري

- "المتظاهرُ" (قصّة قصيرة) 141
*بقلمِ: رشيد ميموني، ترجمة: أ. محمّد ساري

متفرّقات

*****

- زووم على العدد.. 171
- اقتباساتٌ في التّرجمةِ..174
- هل تعلم؟ 175
- رونقُ الكلامِ..177
- ترفيهٌ هادفٌ...178

- ASPECTS CULTURELS DE LA TRADUCTIO : QUELQUES NOTIONS CLÉ…..……3

Jean- luois cordonnier

Université de franche conte besançon ; france

- LES TERMES TECHNIQUES EN INTERPRETATION SIMULTANÉE…………….23

Daniel gile

- LES BASES PHYSIOLOGIQUES DE L'EXERCICE MUSCULAIRE………………..35

طبعت هذه المجلة في

دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع

05، شارع مسعودي محمد، القبة القديمة الجزائر

هـ/فا : 021.68.86.48 ـ ها : 021.68.86.49

Email : khaldou99_ed@yahoo.fr

كلمة العدد

كلمة مسؤول النشر

أ.د. صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للّغة العربية

كان علينا التركيز بأنّ المجلس الأعلى للّغة العربية من مهامه العلمية حسب المادة الثالثة (3) من دستور 2016 ((... يعمل المجلس على الترجمة إلى العربية))، وفي هذا المجال، فإنّ المجلس يصدر مجلّة موسومة (معالم للترجمة) وصدر منها (6) (ستّة) أعداد، وهذا منذ سنة 2010 ، وفي القانون المحلي أنّها تصدر نصف سنوية، ولكن تعطّل صدور المجلّة منذ 2014.

ومنذ تولينا إدارة هذه الهيأة، فقد أصدرنا العدد السابع (07) وكان معلّقا صدوره، وتغلّبنا على بعض الصّعوبات التقنية وصدر العدد بذات المقالات واللجنة العلمية السابقة.

وهكذا، عقدنا العزم على مواصلة إصدار الأعداد القادمة، فعملنا على استكتاب المختصين ووردت إلينا مقالات ترجمية. فانتقينا منها ما رأته اللّجنة العلمية الجديدة صالحة للنشر بعدما أحكمت المقالات.

ويأتي ظهور العدد الثامن (8) في إطار النفس الجديد والاستمرارية المتجدّدة التي وضعها المجلس الأعلى للّغة العربية منذ سبتمبر 2016، وفي هذا المجال يتنزل هذا العدد، ونروم من القرّاء أن ينال العدد في نفوسهم، ويجيب عن كثير من انشغالاتهم الترجمية المعاصرة.

يهتمّ المجلس الأعلى للّغة العربية بمجال الترجمة لما لها من أثر حضاري ثقافي تثاقفي تقرب الثقافات وتزيل الحواجز اللّغوية بين الشعوب والحضارات، وتهتم في بناء التكامل الحضاري الإنساني. ونعلم ما للترجمة من دور ريادي في حضارة العصر، بما عرفته آليات الترجمة من نقلات نوعية من مثل الترجمة الآلية، وترجمة محرّكات البحث، وصولا إلى استكناه معالم وخصوصيّات اللّغات وكسر حواجز اللّغة الراقية، واللّغة العلمية، واللّغة الأصلية....

ولا نعطي دروسا في الترجمة ولكن نضع في يد القارئ هذا العدد ليكون معلما في الترجمة، ونهيب بكلّ من يهدي لنا عيوبنا، ويقدّم النقود التحسينية لفعل حضاري يراعي حسن الرأي المصيب.

وندعو من يهمّه أمر الترجمة بأن يثروا رصيد مجلّة (معالم للترجمة) بمقالاتهم وأفكارهم وما يملكونه من محتوى خاصّ أن يعضدونا لخدمة الترجمة في وطننا، وهي خدمة للمواطنة وخدمة في الشأن العامّ.

ونرجو مزيدا من الأفكار في قضايا أبحار الإنتاج، والإبداع في ما هو مضيف غير منيف.

وعلى الله التوفيق.

كلمة العدد
الترجمة: حقول وممارسات.

بقلم الأستاذ : محمد داود

يتميّز العصر الذي نعيش فيه بسرعة التبادل الإعلامي والثقافي والاقتصادي والتجاري بين الجماعات والأفراد، كما يتميّز أيضا بتعدّد وتنوّع وسائل الإعلام والاتصال، وهو الأمر الذي يجعل من نشاط الترجمة لا يتوقّف عند حدّ نقل المعارف والثقافات والتجارب الإنسانية من لغة إلى لغة أخرى، أو - كما يصطلح عليه - من لغة الانطلاق إلى لغة الوصول؛ بل يتعدّى ذلك ليجعل من الترجمة وسيلة من وسائل التواصل والاتصال بين الشعوب والأمم المختلفة. وفي هذا السياق بالذات، يصبح تعلّم اللّغات وإتقانها سلاحا في يد الأجيال المتطلّعة لغد أفضل، وفي الوقت نفسه يسمح لهم بالتعرّف على ثقافة الآخر وعلى علومه ومنجزاته الفكرية، و بالتالي ترجمتها إلى لغتهم الوطنية. والجدير بالذكر أنّ حقول النشاط الترجمي والتطبيقي تعدّد وتنوّع بتنوّع وتعدّد مجالات المعرفة من علوم إنسانية واجتماعية وعلوم دقيقة وتكنولوجيات... الخ. كما لا يمكننا أن نغفل أن لتخصّص الترجمة جوانب نظرية ذات أهمية بالغة تتقاطع موضوعاتها مع مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية من لسانيات وعلوم اتصال وعلم اجتماع وأنثروبولوجية ثقافية وعلم النفس وديداكتيك، وغيرها من العلوم الأخرى.

وفي ظلّ هذه الانشغالات الفكرية، وبعد غياب دام عدّة سنوات تعود *مجلة معالم* المتخصّصة في الترجمة، والتي تصدر عن المجلس الأعلى للّغة العربية، لتحتلّ مكانتها الطبيعية في حقل المنشورات الوطنية لتسهم في مقاربة بعض القضايا ذات الصلة بهذا النشاط البشري. ويشارك في هذا العدد السابع من المجلّة ثلّة من الأساتذة والباحثين في مجال الترجمة بغية معالجة بعض الجوانب المتعلّقة بهذا التخصّص العلمي. و جمعت مقالات الأساتذة بين المعالجة النظرية والبحثية و بين ترجمة الدراسات.

ففي البداية تقدّم الأستاذ محمد داود بترجمة مقال موسوم ب"الجوانب الثقافية للترجمة مقاربة لبعض المفاهيم الأساسية". واختيار هذه الدراسة، يعود إلى أنّ الثقافة تمثّل حقلا أساسيا من حيث التفاعل مع أساليب الترجمة ومضامينها واستراتيجياتها. ولعلّ علاقة الترجمة بالثقافة هي ذات أهمية بالغة ولأنّ المترجم يقع في صلب علاقات الغيرية؛ إذ يعطي "من خلال نشاطه الترجمي هوية لثقافته الأصلية". ويتعين حاليا على الفاعلين في هذا المجال "الانتقال من إثنومركزية سلبية تقوم على طمس الآخر، إلى إثنومركزية إيجابية تنجز من خلال إظهار الآخر".

و في السياق المعرفي ذاته، قام الأستاذ عبد الحميد بورايو بترجمة مقال موسوم ب"الأبعاد الأنثروبولوجيّة والثقافيّة للعولمة"، إذ يتطرّق المقال إلى مسألة الفضاء والزمن من حيث العلاقة التفاعلية بين هذين العنصرين، وباعتبار أنّنا " مهما فكّرنا في المجادلات حول الصفة المستجدّة أو غير المستجدّة للعولمة، نجد أنفسنا مجبَرين على تقرير أنّ ذاتنا في العالم توجد مباشرة موسومة بهذه الوضعيّة. لنستدع فقط إدراكنا الفطريّ للفضاء والزمن".

أمّا في مجال علم الاجتماع النفسي وارتباطه بالإعلام والتواصل، تقدّمت الأستاذة مفيدة بلهامل بترجمة مقال عن "الإقناع وعلم النفس الاجتماعي" الذي جذب "اهتمام السياسيين والمثقفين والأدباء والفلاسفة لعدّة قرون". و تؤكّد الدراسة على أنّ "الإقناع عن طريق علم النفس الاجتماعي حديث نسبيا وأنّ الموضوع هو "في حدّ ذاته تخصّص جديد، فهو لم يبدأ في الظهور إلاّ خلال الحرب العالمية الثانية، ولم يلبث أن أصبح أحد الموضوعات المفضّلة للدراسة". وتشير الدراسة إلى أنّ الأبحاث حول الإقناع "تحتلّ في الوقت الراهن جزء مهمّا من الدراسات في علم النفس الاجتماعي، كما تتقاطع مع مجالات رئيسة أخرى مثل نظريات التأثير والاتجاهات، وتغيير المواقف والسلوكيات، والتقارب والاختلاف، والقبول الاجتماعي والاتصال والدعاية".

أما في باب الرياضة، ترجم الأستاذ نذير طيار دراسة حول "الأسس الفسيولوجية للتمرين العضلي"تطرّقت فيها الدراسة إلى ممارسة الرياضة من قبل لاعب التنس أو من قبل المصارع الذي يقوم بأفعال فردية أو مركّبة، وهي نشاطات متعدّدة يمكن اختصارها في الجري، والضرِب، وإسقاط الخصمَ، والدَفع...، وهو الأمر الذي يجعله يُنَشّط مجموع هذه الحركات وعلى نحو تمييزي بمجموع أعضاء جسمَه. و يشير المقال أيضا، إلى ما يؤديه الرياضي من انجازات رياضية وحركية، "عبر استعماله الطاقة لخلق القوة الضرورية لتحريك الجسم، هذا من جهة. ومن جهة أخرى عبر استعمال المعلومات لإنتاج عمل منسجم مع محيطه".

وفيما يخصّ التكوين في هذا التخصّص، تعرضت الأستاذة فرقاني جازية إلى مسألة مهمّة يعاني منها المترجم، إذ يجد نفسه يتأرجح بين مطرقة المصطلحية وسندان الترجمة. وباعتبار أنّ حقل الترجمة تتداخل فيه الأنظمة اللغوية والثقافية، وأنّ مهنة المترجم تقتضي تكوينا كفء يستجيب لحاجيات سوق العمل، حيث سعت صاحبة الدراسة إلى "وضع الأطر التي تحيط بتكوين المترجم منطلقة من البرامج التكوينية في المعاهد والجامعات، وصولا إلى الميادين التي يشتغل بها والمجالات التي يدمج فيها".

و في حقل التكافؤات في ارتباطها بالتلقي اعتنت الأستاذة بصافي رشيدة بطرح إشكالات نظرية وابستيمولوجية وثقافية متعدّدة ومتداخلة، ومنها "التمييز بين النص و اللانص (...) و معايير التمييز بين أنواع النص و أجناسه. كما تعرّضت للمحدّدات التي

تختلف من نظرية إلى أخرى، وتتغيّر من ثقافة إلى أخرى. مشيرة إلى أنّ "وجود النص يتشكّل في وضع معرفي بيني، فهو من جهة يقترن المفهوم بنظرية ما أو بنموذج ما أو بمنهج ما ومن جهة الممارسة يقترن بالإبداع وبتحقّقات نصية مختلفة في أشكال تعبيرها وأجناس خطابها". وعلى هذا الأساس، يظلّ وجود النص "محكوما بمنطق التجاذبات بين النظرية والإبداع، بين النموذج والنسخة".

كما قام الأستاذ حاج أحمد بلعبّاس بترجمة مقال عنوانه "المصطلحاتُ التّقنيةُ في ميدانِ التّرجمةِ الفوريةِ"، إذ تسلّطُ هذه الدراسة المترجمة الضّوءَ على بعض مميزات المفردات المتخصّصةِ والمتداولةِ في المؤتمراتِ ذاتِ الطّابعِ التّقني، وتشرحُ تداعياتِها على عمليةِ التّرجمةِ، كما تتطرّقُ إلى مختلف التكتيكات التي يلجأُ إليها التُّرجمانُ وهوَ داخلَ حجرةِ التّرجمةِ.

كما نالت الترجمة في ميدان الرياضة، قامت كل من الباحثة حنان رزيق والأستاذة إيمان بن محمد بمعالجة الأهمية "استراتيجيات الترجمة في الصحافة الرياضية"، حيث تتناول الدراسة جانبا من الجوانب المتعلّقة بالإعلام المتخصّص-الذي يعدّ "مطلبا في التشريعات الإعلامية الجزائرية- ألا وهو الإعلام الرياضي والرهانات التي تواجهه، لاسيما إشكالية دقّة الخبر الرياضي أثناء نقله من لغة إلى أخرى، خاصّة في ظلّ الواقع اللغوي الجزائري وتأثيره على هذا النقل". و أهمية الدراسة تكمن في كونها تتطرّق إلى التحدّيات التي تواجه الإعلاميين في نقل الخبر الرياضي من لغة إلى أخرى، وإلى مختلف الاستراتيجيات المعتمدة في ترجمة النص الصحفي الرياضي، من خلال تحليل أحد النصوص الصحفية الرياضية الخاصة بتغطية البطولة الإفريقية للدراجات في مصر.

أمّا في مجال الترجمة الأدبية فقد تقدّم الأستاذ محمد ساري بترجمة "طريق فْلانْدَرا" لصاحبها الروائي الفرنسي كلود سيمون، و قصة "المتظاهر"و هي قصة قصيرة للروائي الجزائري رشيد ميموني. و تعطي هاتين الترجمتين صورة صادقة عن شكل ومضمون هذين النصين المترجمين، كما تضعنا أمام أسلوب الأستاذ محمد ساري في الترجمة الأدبية.

و في الختام يمكن القول إنّ هذا العدد من مجلّة معالم قد جدّد العلاقة مع قرّائه المثقّفين من طلبة وأساتذة، مختصّين ومهتمّين بقضايا الترجمة، كما فتح الباب أمام دراسات لاحقة في هذا المجال الحيوي الذي يقتضي كفاءة عالية في التحكم في اللغات.

عن الترجمة

الجوانب الثقافية للترجمة
مقاربة لبعض المفاهيم الأساسية

المؤلف: جون-لويس كوردوني* ترجمه: محمد داود **

RÉSUMÉ

La problématique de la culture constitue désormais un champ de recherche primordial pour travailler à une théorie de la traduction. On se situe ici au niveau du sol archéologique, c'est-à-dire au niveau des modes d'être de la culture, et de leurs interactions avec les modes de traduire. La traduction n'étant jamais une opération neutre, il convient de mettre en évidence les interventions du traducteur réalisées dans le cadre de son appartenance à telle ou telle culture. Mais il ne faut pas non plus réifier la culture, et il faut mettre en relief également les interventions d'ordre purement individuel. Cette relation à la culture est d'une grande importance puisque le traducteur, étant au cœur des relations d'altérité, constitue de par son activité traduisante, l'identité de sa propre culture. Il s'agit de passer aujourd'hui d'un ethnocentrisme négatif, procédant à l'effacement de l'Autre, à un ethnocentrisme positif réalisant par la «montre» de l'Autre, la tâche de constitution de l'identité propre. Ce dévoilement *pour* l'identité passe par la critique de la dichotomie par trop simpliste «cibliste/sourcier», qui est prisonnière de la langue. Le traducteur se donnera en revanche comme tâche, la « montre » du discours de l'Autre. Cette problématique interculturelle est examinée à travers cinq champs clés dans lesquels se déploie l'activité traduisante : altérité, histoire, critique, éthique et tâches de la traduction.

Mots clés :

Théorie de la traduction, Culture, Ethnocentrisme, Interculturalité, Altérité, Histoire, Critique, Ethique.

الملخص: تمثل إشكالية الثقافة منذ الآن، حقلا أساسيا لأجل الاشتغال على نظريّة الترجمة. إذ أنّنا نتموقع في مستوى التربة الأركيولوجية؛ أي على مستوى أساليب الوجود التي تميز الثقافات في تفاعلاتها مع أساليب الترجمة. وباعتبار أنّ الترجمة لن تكون أبدا عملية حيادية؛ فإنّه يتعيّن علينا إبراز تدخّلات المترجم والتي ينجزها في إطار انتمائه لهذه الثقافة أوتلك. ولا يجب إذًا تشييء الثقافة؛ بل علينا أيضا إظهار التدخّلات ذات الطابع الفردي المحض. وبما أنّ العلاقة مع الثقافة هي من الأهميّة بمكان وكون المترجم يقع في صلب علاقات الغيرية؛ فإنّه يشكلّ من خلال نشاطه الترجمي هوية لثقافته الأصلية. ويتعيّن علينا اليوم الانتقال من إثنومركزية سلبية تقوم على طمس الآخر، إلى

إثنومركزية إيجابية تنجز من خلال إظهار الآخر، مهمّة من مهام تشكيل الثقافة الأصلية. إنّ الكشف لأجل الهوية يمرّ عبر نقد الثنائية المفرطة في التبسيط بين "أنصار اللّغة الهدف – وأنصار اللّغة المصدر"، التي هي سجينة اللّغة. فعلى المترجم، من جهته، أن يتكفّل بمهمّة "إبراز" الآخر. وسنقوم بفحص هذه الإشكالية المتداخلة ثقافيا من خلال خمسة حقول مفتاحية التي يتجلى عبرها النشاط الترجمي وهي: الغيرية والتاريخ والنقد والأخلاق ومهام الترجمة.

الكلمات الدالة: نظريّة الترجمة، الثقافة، الإثنومركزية، التداخل الثقافي، الغيرية، التاريخ، النقد، الأخلاق.

سنبدأ بملاحظة أولية قد تبدو بديهية لدى المتخصص؛ لكنّ أهميتها تقتضي، من وجهة نظرنا، إعادة تأكيدها مرارا وتكرارا؛ إذ يتمثل ذلك في كوننا ندرك أنّ الذرائع التي تهيمن وتبرّر تعذّر الترجمة تتردّد كثيرا بحكم التقليد والتجريب، من ملتقى لآخر، وضمن هذا مقال أو ذلك، من مثل: "تبدو هذه العبارة غريبة عن اللّغة الفرنسية "، أو "رائحة الترجمة تفوح منها"، أو مرّة أخرى " إنّ القارئ لن يفهم جيّدا النص المترجم"، وهي ذرائع أو حجج يتمّ تحديدها داخل اللّغة وبالتالي لا تشمل الخطاب (بالمعنى الذي يعطيه له "بنفينيست" (Benveniste)، وهي حجج كابحة لجميع الإمكانيات التي تميز إعادة الكتابة في العملية الترجمية. وتدلّ هذه الملاحظة على أن الترجمة ليست عملية لغوية فحسب؛ بل عليها أن تفحص ضمن مجموعة من العلاقات المتداخلة اجتماعيا وثقافيا، وفي إطار ثقافتها الأصلية في البداية وفيما بين الثقافات الأجنبية المقابلة لها لاحقا. ولهذا تلعب العناصر الثقافية دورا كبيرا في الترجمة بصفة عامّة، وضمن ما يسمى عادة بالترجمة العلمية والتقنية، ولو أنّ مقام هذا النوع من الترجمة غير مناسب لتجلي الرهانات الثقافية بشكلّ حاد.

ولابدّ لنا، بالمناسبة، من إسداء التحية لزملائنا من الجامعة التقنية لمدينة (يلدز) الذين خصّصوا ملتقى كبيرا للجوانب الثقافية للترجمة؛ فمثل هذه اللقاءات، التي تخصّص كلّيا لمثل هذه الموضوعات على كلّ حال لم تكن معتادة وبهذه الصورة منذ فترة قريبة[1]. والجدير بالتذكير أنّ (جورج مونان) (Georges MOUNIN) قد تقدّم منذ أربعين سنة تقريبا في الفصل الثالث عشر من كتابه "المسائل النظرية للترجمة"، بمسألة نظرية يذكرها كالتالي: " لا بدّ من توفّر شرطين لترجمة لغة أجنبية، وكلّ شرط ضروري إذ لا يكتفي أحدهما بذاته؛ أي دراسة اللّغة الأجنبية، ودراسة (بشكلّ منهجي) إثنوغرافية الجماعة التي تعبر عنها اللّغة المترجمة. ولن تكون ترجمة ما ملائمة كلّيا ما لم تستجب لهذين الشرطيين" (مونان، 1963: 236). وبطبيعة الحال؛ يكون من الأفضل أن تستدعى علوم إنسانية أخرى للاشتغال على علم الترجمة ذي الأوجه المتعددة، ونقصد بذلك وعلى

وجه الخصوصّ، الأدب والتاريخ وعلوم اللّغة والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس التحليلي والفلسفة.

وفي هذا الصدد لابدّ من الإقرار بتأخّر الاستجابة لنداء (جورج مونان)؛ وذلك منذ سنة 1963، تاريخ نشر كتاب "المسائل النظرية للترجمة". وإذا كانت لدينا مجموعة كبيرة من المقالات التي لها علاقة بالجوانب الثقافية للترجمة، فلا نملك إلاّ القليل من الكتب التي حاولت أن تحيط بالإشكالية الثقافية في مجملها وأن تجد لها صلة بإشكاليات الترجمة. بينما وبفرنسا فقد ذكر "ميشونيك" (Meschonnic) في إطار بحثه حول الشعرية ومن خلال ابتكاره لمفهوم "اللّغة -الثقافة": أنّ اللّغة وثقافتها تشكلّان كلاّ لا يتجزّأ، وورد ذلك في أحد كتبه الصادر سنة 1973. إنّ دراسات "ميشونيك" معروفة بما يكفي، الأمر الذي يجعلنا لا نتوقف عندها كثيرا؛ لكنّ نريد فقط الإشارة إلى رغبة هذا المنظر في تحليل الترجمة ضمن أطار واسع يضمّ التاريخ والأدب واللّغة والسياسة. وفضلا عن ذلك؛ فقد كان لكتاب أنطوان برمان (A. Berman) الصادر سنة 1984 أهميّة كبرى؛ إذ لفت انتباه المترجمين وعلماء الترجمة، في إبانته عن الدور الذي قد منحه تيار ثقافي كلّيا للترجمة، وهو التيار ذاته الذي ابتكره الرومانسيون الألمان. وقد حاولنا من جهتنا وضع الترجمة ضمن الإشكالية الثقافية. لقد أعطينا، من خلال إبراز الفائدة التي تكمن في التفسير الأركيولوجي للترجمة وفي وضع ممارسة الترجمة في إطار أخلاقي، نظرة تركيبية لكنّها غير شاملة للمشاكلّ التي تواجه المترجمين في ترجمة الأعمال الأدبية، غايتنا في ذلك الإشارة إلى التوجهات التي تتخذها الأعمال والأبحاث في هذا الحقل، ("كوردوني" Cordonnier 1995).

ونطمح في حدود هذا العرض، أن نقدّم التوضيحات اللازمة لخمسة مفاهيم مفتاحية والتي تشكلّ أيضا حقولا مفتاحية، يبدو لنا أنّه من الأهميّة بمكان أن تكون مستقبلا محلّ التثمين الاجتماعي للنشاط الترجمي، وأيضا محلّ التفكير النظري حول الترجمة من خلال المفاهيم التالية: الغيرية والتاريخ والنقد والأخلاقيات ومهام الترجمة[2].

إنّ الاعتبارات التي سنتطرق لها لاحقا ترتبط بالأعمال الأدبية؛ أي بتلك النصوصّ التي تتميز بالإبداع، وتمثّل جوهر كلّ ثقافة، وتشكلّ جذورها، وتنشئ الخطاب (بالمعنى الذي يمنحه له "بنفينيست")، من خلال فعل الكتابة الذي يخترقها، وهي بذلك تعيد انتشار الثقافة في اتجاه آفاق أخرى أكثر رحابة كما ترفع بعدئذ من شأنها. ويتعلّق الأمر بتحفظ منهجي يمكّننا من عدم الانغلاق فيما يسمى تقليديا "الأدب". ممّا يدفع بنا إلى إدراج أعمال تنتمي إلى المجال العلمي ضمن حقل بحثنا، كوننا نتعامل مع نصوص

تتجلى فيها شعرية لذات-كاتبة (بالمعنى الذي يمنحه "ميشونيك")، أي شعرية لا تختصّ إلاّ بهذا الكاتب.

وبالمناسبة يسمح لنا عنوان الملتقى بفتح المجال على مصراعيه لإمكانية فهم مصطلح الثقافة. وبهذا الصدد، يمكننا أن ندرك أنّ "الجوانب الثقافية" تشير إلى المعاني والسّمات الثقافية وأيضا إلى مسألة انتقالها إلى لغة الترجمة؛ ولكنّ اليوم هذه القضايا لا تدخل في انشغالاتنا؛ إذ علينا أن نفهم أيضا، على أنّ الثقافة تتدخل في أساليب الترجمة، وفيما يخصّنا سنذهب في هذا الاتجاه فيما سنعرضه عليكم، كون الترجمة هي عملية ثقافية بشكلّ كلّي؛ بمعنى أنّنا لا نترجم وبالطريقة نفسها داخل الثقافات، وزيادة على ذلك أنّ هناك تفاعل قوي بين أساليب الترجمة وبين أشكال تجلي الثقافات. فالترجمة ليست نشاطا معزولا؛ بل إنّها تتشكلّ ضمن ترابط مع أنواع أخرى ذات أهميّة تتحكم في مصير الأعمال الأدبية، مثل النقد والتعليق والتحليل. وهي بهذا المعنى إذا، جزء لا يتجزأ من تقليد ثقافي يرتبط بعملية البناء لجوهر ثقافة ما.

والجدير بالذكر أنّ مفهوم الثقافة يتميز بالتعقيد[3]؛ لكنّنا سنعتمد في عرضنا هذا على المعنى المتداول؛ أي الطرق المشتركة في العيش والتفكير لجماعة معينة التي تدفع بأفراد هذه الجماعة إلى التصرف ضمن أوضاع اجتماعية معيّنة بشكلّ مشترك؛ بمعنى أنّنا نحيل على ما سماه (ميشال فوكو) (Michel Foucault) سنة 1996 ب"أساليب العيش" في ثقافة ما. ويبدو لنا أنّه من المستحسن إيلاء أهميّة كبرى لأساليب العيش والوجود القائمة، كونها تستدعي لدى المترجمين أساليب ترجمية قد تكون مشتركة نسبيا في مراحل معيّنة من تكوين الثقافات، وهي أيضا أساليب ترجمية مرتبطة بالإكراهات الاجتماعية الضاغطة على المترجمين. وفي هذا الشأن، يخطر على بالنا التكوين اللساني والثقافي والسياسي للدول-الأمم بأوروبا. ولهذا نحدّد تفكيرنا حول هذه المسائل في إطار الثقافة الفرنسية وبصفة أوسع في الثقافة الغربية؛ حيث إنّ الدول-الأمم بأوروبا قد شكلّت نثرها وآدابها على أساس الترجمات، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، وهو الوجه الثاني لمفهوم الثقافة الذي نحيل عليه في هذا المقام؛ أي بالتحذير من عدم تشئي الثقافة؛ لأنّها ليست تجريدا وبناء فكريا فحسب (أنظر كوش (Cuche)، 1996: 57)؛ بل علينا أن نأخذ الممارسات الفردية بعين الاعتبار ولاسيما موقف المترجم في علاقته الغيرية مع الأجنبي، ومن خلال التصور الذي يملكه عن الدور الذي ستلعبه ثقافته الأصلية في علاقاتها مع الآخرين؛ أي تلك العلاقة الجدلية، والتي ستمثل إطارا لعرضنا هذا، بين الثقافة والفرد؛ أي المترجم بالنسبة لنا.

الغيرية: تبرز الترجمة ضمن علاقات الغيرية، ويجد المترجم نفسه وجوبا أمام مهمّة نقل القيم والوقائع الثقافية؛ لكنّ دوره لا يتوقف عند هذا الحد: "فالمترجم ليس ذلك المنقب على الاختلافات فحسب والمكتشف للأقاليم الثقافية المجهولة؛ بل إنّه، بتعرّفه على الآخر، يقوم بتغيير رؤى جماعته، وكما قال (ملارمي) (Mallarmé) في عبارته المشهورة (1887). يزعج "كلّمات عشيرته". [...] وبعيدا عن أصحاب القرار (من الأوصياء والناشرين، وغيرهم)، وبعيدا عن مادية النصوص، [...] إنّ المترجم يخلط الأوراق، وفي حالة الثقافات والقيم التي يملكها الآخر والتي يملكها المترجم ذاته، والتي كان يراد بها أن تكون مسيّجة ومثبتة الحدود؛ بينما هي في الأصل ثقافات وقيم دفّاقة ومتحرّكة كما يقول بذلك كلّ من (دوليل وورودزورث) (Delisle et Woordsworth، 1995: 193). وتوجد في هذه الفقرة فكرتان أساسيتان: الفكرة الأولى تعني أنّ المترجم يلعب دورا جوهريا في تكوين ثقافته الأصلية، وبمعنى آخر؛ فإنّه يفكّك ويشكلّ ويعيد بناء هوية ثقافته الأصلية من خلال النصوص المترجمة؛ أي بإدخال نصوص الثقافة الأجنبية إلى ثقافته. وتدلّ الفكرة الثانية على أن الثقافة، مهما كان شكلّها، ليست ثابتة وجامدة على الإطلاق؛ بل إنّها تمثّل مجموعة من العناصر المتنوعة والشديدة التعقيد التي تتميز بالتطور والتحرك الدائمين.

وفيما بعد سنعالج مسألة الهوية لما نتناول إشكالية الأخلاقيات؛ لكنّ ما سنتوقّف عنده الآن، سيتعلّق في الوقت ذاته، بدور الثقافة وأيضا بدور المترجم ضمن علاقات الغيرية، ويستحسن أن تفحص هذه الأدوار بدقة كبيرة. وعليه لا يمكن اعتبار إمعان النظر في تطور مفهوم الثقافة بالعمل غير المجدي. وسنكتفي ببعض الملاحظات فيما يمنحه لنا هنا هذا الإطار المحدود.

وقد حاولنا في كتابنا "الترجمة والثقافة"[4] إبراز الأسباب التي جعلت المعارف والنظريات التي تنتمي بفرنسا للعصر الحديث وكذلك للعصر الكلاسيكي لا يمكنها أن تتصوّر اختلاف الأجنبي إلاّ في جذريته الشاملة، وقد نتج عن ذلك ممارسة لترجمة ممركزة الإثنية، هذا مع الاعتراف أنّ هذا النوع من الترجمة قد أدى خدمة في تكوين النثر وبالتوازي خدم ثقافة بلادنا، وهنا يكمن، بالنسبة لنا، الدور المخصب والايجابي لهذا النوع من الترجمة.

فقد تمّ بفرنسا اقتراح تصور كوني للثقافة يشترك مع مفهوم الحضارة خلال القرن السابع عشر ومن بعد خلال القرن الثامن عشر. وقد أراد مفكرو عصر الأنوار نشر ما اعتقدوا أنّه من "حسناتهم"، وكان لديهم اقتناع بضرورة انتفاع الشعوب الأخرى بما أنجزوه، وكان ذلك ممكنا كونهم أبرزوا فكرة وحدة الجنس البشري. وفضلا عن ذلك

فالكلاسيكية الفرنسية، هي المرحلة التي دامت مدة أطول؛ أي أكثر من قرنين ونصف. إذ عرف مفهوم الثقافة في القرن التاسع عشر توسعا كبيرا واستمرارية: "هناك تواتر وتواصل للفكر الكوني فيما بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر بفرنسا. والثقافة بالمعنى الجماعي، هي قبل كلّ شيء "ثقافة البشرية جمعاء". وعلى الرغم من التأثير الألماني في الفكر الفرنسي، فقد تغلّبت فكرة الوحدة على الوعي بالتنوع [...]"، هذا بالإضافة إلى أنّ " الفكرة الفرنسية لكونية الثقافة تسير منطقيا بالتوازي مع التصور الاختياري للأمة، المنبثق عن الثورة الفرنسية: أي ينتمي إلى الأمّة الفرنسية، حسب "رينان"(Renan) ، كلّ من يتعّرف على نفسه ويجد ضالته في هذه الأمّة وبغضّ النظر عن أصوله" (كوش 1996: 13). وهكذا إذا، قام مفكّرو كونية الأنوار بإنتاج خصوصية فرنسية بعدم النظر في التنوع الثقافي إلاّ في إطار الأمّة والحضارة: ومن الواضح أنّ السياق الأيديولوجي الخاصّ بفرنسا في القرن التاسع عشر قد أعاق ظهور المفهوم الواصف للثقافة؛ إذ تشبّع وبشكلّ كبير العديد من علماء الاجتماع وعلماء الإثنولوجيا بالفكر الكوني لفلسفة الأنوار المجردة، ممّا حال دون تفكيرهم في التعدد الثقافي داخل المجتمعات البشرية إلاّ في حدود الإحالة على "الحضارة". وفي الحقيقة لم يكن السياق التاريخي، ليسمح بالتساؤل حول هذا الموضوع؛ فقد قامت الملحمة الاستعمارية باسم المهمّة "التحضيرية" لفرنسا"(نفسه:23). ويضيف "دوني كوش" أنّه كان على الجميع انتظار قدوم الثلاثينيات ليصبح مفهوم الثقافة مستعملا من قبل علماء الإثنولوجيا. وسيظل مفهوم الثقافة متنافسا مع مفهوم الحضارة لمدة طويلة؛ إذ أقتضى الأمر ثلاثين سنة أخرى لكي يبرز مفهوم الثقافة نهائيا ويأخذ مكانته لدى علم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا (نفسه.).

وممّا سبق يجب استخلاص ضرورة التشديد على الاستمرارية التاريخية؛ حيث كان لمفهوم الاختلاف الثقافي، وإلى عهد قريب، وجودا نسبيا في اللا مفكر فيه، وفي الوقت ذاته، لدوره في إخصاب الهوية والعمل على الارتقاء بها. ويتعلّق الأمر في هذا الموقف بملاحظة بسيطة. إذ أنّنا بعيدون عن استخلاص النتائج في مجال الترجمة، سواء على مستوى إدخال الملامح الثقافية أم على مستوى تطور عملية إعادة الكتابة للنّصوص المترجمة، أم على مستوى الفحص العلمي والعميق للاختلاف الثقافي. وإذا كانت الترجمة تواصلا متداخلا ثقافيا؛ فإنّها تنقل محتويات الأخبار، كما تنقل الخصوصيات الثقافية؛ أي ما يميز الآخر وليس الذات؛ بل إنّها تتواصل أيضا بما تمثله بالذات؛ أي من خلال أساليب للترجمة كما سميناها؛ حيث تجلب المعلومات حول ذات المترجم وحول ثقافته في علاقتها مع الآخر.

وعلى هذا الأساس دعونا إلى اعتماد بحث حفري أو أركيولوجية للترجمة، للتمكن من الكشف عن أساليب الترجمة ومن ثمة عن ممارسات المترجمين. ومن المستحسن

التأكيد على ضخامة المهمّة وعلى "ثقوب" المعرفة، وبخاصّة فيما يتعلّق بالقرن التاسع عشر وبالقرن العشرين، اللذين نفتقد إلى مراجع تتعرّض لأهمّ العناصر التركيبية التي تميزهما. وقد يسهم هذا العمل في الإبانة عن عدم وجود المطلق في مجال الترجمة، وأن ممارستها والتفكير الذي يدور حولها يتغيران مع تغيّر الثقافة، كون الترجمة والثقافة ترتبطان بتطور التاريخ. وعليه؛ فممارسة الترجمة في القرن السادس عشر لا تشبه الترجمة في العصر الكلاسيكي، وترجمة هذا العصر لا تشبه ترجمة القرن التاسع عشر، وهكذا دواليك. ومن جهة أخرى؛ يبرز البحث الحفري أو الأركيولوجي، الكيفية التي تملكها الثقافة في جملتها على توجيه الممارسات وضبطها. ومثلما نجد مترجمي العصر الكلّاسيكي قد انحصرت ممارساتهم، بشكلّ ما، في نظرية التمثّل. وفي هذا الشأن، يبرز (دانيال ميرسي) (Daniel Mercier)، بشكلّ واضح الكيفية التي كان مترجمو العصر الكلاسيكي، وعلى الرّغم من الفروقات التي كانت مسبقا تبدو ذات أهميّة، مجبرين على وضع ممارستهم في إطار التصور الكلاسيكي وبالتالي القيام بترجمة تُؤقلم وتُبذر وتُلحق وتُؤمم، وبمن فيهم "ديدرو" (Diderot) الذي كان بإمكانه انتقاد التصورات الكلّاسيكية (ميرسي. 1995). إذا في هذه الحالة هناك مقارنة بين الثقافة التي تؤسّس العلاقة الكونية مع الأجنبي بناء على معاييرها الثقافية الخاصّة، وبين الممارسة الإلحاقية للترجمة.

لقد قلنا أعلاه أنّ الترجمة هي تواصل متداخل ثقافيا؛ إذ تلعب دورا هامّا في التعامل مع الغيرية في تبادل النصوص على المستوى العالمي. وهذه ظاهرة معروفة بشكل واضح، بقي فقط ما لا نعرفه وهو يتمثل في الكيفية التي تنتقل بها هذه النصوص، والكيفية التي يتمّ التعامل بها مع هذه النصوص ومصيرها لما تنتقل إلى الثقافة الأخرى. إنّنا هنا نعتمد على مفهوم الانتقال الذي أثبته (أنطوان برمان، 1995: 17). ويتعلّق الأمر بوجود فضاء للتبادل بين الثقافات المتقابلة، أو بجانب النصّ الأصلي؛ حيث تتداول ضمن علاقة جدلية "الأشكال العديدة للتغييرات النصّية (وحتى غير النصّية) التي هي ليست موضوعا للترجمة (المرجع نفسه) في هذه الثقافة أو تلك: النصوص النقدية والتحاليل والتعاليق والأفلام والاقتباسات، إلى أخره. وتُمارس علاقات الغيرية في هذا الفضاء الذي تتواجه فيه تصورات المترجم وأيضا تصورات الثقافات المتقابلة، حول موضوع الأدب، ولا يمكن لهذه التفاعلات أن تبقى دون تأثير على العملية الترجمية بذاتها. وتشكلّ مجموع التغيرات النصية، لمّا تحدُث، ما يسميه برمان "تحويل الأثر الأدبي" (نفسه). ويبدو لنا هذا المفهوم مخصّبا بشكلّ كبير؛ حيث إنّه يجعل فكرة الترجمة التي كانت تعاني من الضيق، تتسع لتشمل فضائها الأدبي الطبيعي في مجمله. ويصدق أنطوان برمان لمّا يؤكّد أنّ: "الترجمة لا تؤثر في هذه اللّغة -الثقافة إلا إذا كانت تلك الترجمة مدعمة ومحاطة بأعمال نقدية

وبتحويلات ليست موضوعا للترجمة" (نفسه:18). وضمن التعامل مع الإسناد الترجمي علينا أن لا ننسى إضافة مجمل النصوص التي تحيط بالأثر الأدبي التي يقع داخل اللّغة الثقافة التي يملكها الآخر، وعلى المترجم أن يكون على علم بها. وممّا يجعلنا نتساءل عن أهميّة الدور الذي ستلعبه الغيرية في التقابل بين النصوص؟ إذا فإنّ مثل هذا الموضوع لا يمكن أن يكون إلاّ زاخرا؛ إذ بإمكانه الإتيان بمعلومات هامة عن التأثير الذي قد تمارسه الثقافة الأجنبية على المترجم وعلى أسلوبه الترجمي وبالتالي على طريقته في إعادة الكتابة.

التاريخ: يقتضي منّا البحث في الراهن اللجوء إلى مختلف الأدوات المفاهيمية التي توفرها لنا الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والأدب، وهي علوم تسمح لنا بتحليل جدي لكلّ العناصر المميزة للثقافة في مجال الترجمة. وهذا حقيقي فيما يتعلّق بالترجمات الحالية؛ لكنّ الأمور تصعب عندما نلتفت إلى الماضي، بسبب "الثقوب" المعرفية التي اشرنا إليها، مع أنّ بعض المراحل، مثل مرحلة الخائنات الوفيات التي نجدها قد ألهمت كثيرا الدارسين[5].

ومهما كان الأمر؛ فإنّه من الأهميّة بمكان أن يتكوّن تاريخ؛ بل تواريخ للترجمة، كوننا نعاني من نقص كبير في هذا المجال. ويمكن لتاريخ الترجمة أن يخرج المترجمين من الظل والنسيان، وأن يبرز الدور الذي لعبوه داخل العلاقات المتداخلة ثقافيا، وكذلك دورهم في نقل المعلومات المتنوعة، وفي تشكيل النصوص النثرية والثقافات الوطنية، وفي الوساطة أحيانا، ولعل كلّ ما ذكرناه لا يستنفذ الأدوار التي قام بها المترجمون. و، سيساعد البحث التاريخي بالتالي على إعادة الاعتبار للأهميّة القصوى التي يملكها المترجم في التفاعلات الثقافية، وهكذا يمكننا أن نزيل حالة الطمس التي يعرفها المترجم منذ نهاية القرن السادس عشر بفرنسا. ويكمن ذلك في تغيير وضعية "الشخصية الثانوية" و"صفة الخدمية" (برمان 1984) التي ميزت المترجم بظهور وطغيان الصورة الرمزية للكاتب، ممّا جعل من الترجمة نشاطا ثانويا؛ حيث يجب على المترجم الاختفاء وعلى أن ينظر القارئ إلى المترجم كنسخة ثانية للكاتب وعاملا بسيطا لا روح له.

وفضلا عما سبق، تمثل كتابة تاريخ أو تواريخ الترجمة في القريب العاجل، مهمّة من المهام الضرورية التي ستمكننا من صياغة ما يمكن اعتباره نظرية للترجمة وللأدب وهي عملية صعبة المنال ممّا يقتضي منا التوجه إلى ذلك قبل كلّ شيء. وفي الصدد عبر رئيس الفيدرالية الدولية للمترجمين جون-فرانسوا جولي" (Jean-François Joly) سنة 1995، عن وجهة نظره لما تعرض لتاريخ الترجمة قائلا: "لا يمكن لهذا التخصّص

الناشئ أن يتوق إلى مستقبل واعد إذا لم يتشرب من مكتسبات الماضي وأن يقوي نفسه بالنماذج العريقة. إنّ كتابة تاريخ الترجمة تسلط الضوء على الشبكة المعقدة للتبادلات الثقافية التي تمّت بين البشر والثقافات والحضارات عير مختلف العصور" (ذكره دوليسل وودزورت، 1995: 15). ويضيف ذات المتحدّث مستشهدا بما يقوله "ليفين دولست"(Lieven D'hulst): "يمثل التاريخ الوسيلة الوحيدة لاستعادة وحدة تخصّص ما، وذلك بإبراز التمثلات والتقاطعات الموجودة بين تقاليد التفكير المختلفة وبين النشاطات المتباعدة، وبجعل الماضي والحاضر قريبين" (نفسه).

وإذا كان بإمكان تاريخ الترجمة توحيد التنظير في علم الترجمة حقيقة فعلية؛ فإنّه لا يشكلّ مثلما نعتقد، الوسيلة الوحيدة لبلوغ تلك الغاية، كون الترجمة تقع في تقاطع العلوم الإنسانية هذا من ناحية وكون التركيز المستحسن لدى المنشغلين بعلم الترجمة يقع حاليا على التاريخ، ومن ناحية أخرى؛ فإنّ ذلك لا يعني إهمال محاور البحث المرتبطة بالأنثروبولوجيا واللسانيات أو الفلسفة، وفي هذه النماذج الثلاثة كفاية. ولن نجد وحدة داخل الترجمة إلاّ بدراستها من خلال مختلف الجوانب. وهذا بالضبط ما جعل علم الترجمة الذي يستمدّ قوّته الأكيدة من العلوم الإنسانية، يجد صعوبة كبيرة في التشكلّ والتأسيس. وهذا في رأينا يعود إلى قلة الإمكانيات البشرية لا إلى الإمكانيات العلمية.

وفضلا على ذلك؛ فإنّ من المخاطرة اعتبار تاريخ الترجمة "بصفته الوسيلة الفريدة لتوحيد" التفكير في مجال الترجمة كما يعتقد "ليفين دولست". وقبل البدء، هل يمكن التحدّث عن وحدة في مجال التاريخ؟ وعليه لابدّ من طرح المسألة المنهجية؛ إذ لا توجد في الواقع منهجية واحدة في التاريخ، وهو الأمر الذي قد لا يمنع من العثور، في مجال الترجمة، على ذات النقاش وحتى ذات السجال الذي نعثر عليه لدى المؤرخين. وهناك أيضا في مجال الترجمة، مخاطرة أخرى تتمثل في كتابة التاريخ من أجل التاريخ، في ظلّ غياب منهجية علمية صارمة، وتجاهل أنّ الترجمة، هي قبل كلّ شيء، نشاط متداخل ثقافيا.

ونودّ توضيح هذه النقطة الأخيرة بمثال معبر؛ حيث نجد في كتاب "المترجمون في التاريخ" مقالا تحت عنوان " جيمس ايفانس" (James Evans) يقيم عند هنود الكريس بكندا (نفسه: 32-35)[6]. ويروي المقال الكيفية التي ابتكر بها هذا المبشر والمترجم الحروف لكتابة لغة هذا الشعب. ويبدو من غير المجدي التذكير بأنّ هذا العمل قد تمّ في إطار تنصير واسع لهؤلاء الهنود؛ إلاّ أنّ هذا المقال يطرح مشكلّا كبيرا ويعاني من نقص كبير، كونه ينطلق من فكرة مسبقة وهي أن العمل الذي قام به هذا المترجم لدى هؤلاء الهنود هو "جيد" في حد ذاته، وكأنّ التبشير بالإنجيل جرى تلقائيا ودون عوائق. ومن

غرائب الأمور أن يتم تغييب الهنود الكريس عن هذه القصة، كما لم يتم قطعا التذكير بنتائج التنصير وكتابة الحروف على قصصهم وأساطيرهم الخاصة. وفي مثل هذه الحالة بالذات على المؤرخ أن يكون في الوقت ذاته عالما في الإثنولوجيا. وهنا تكمن مسألة أساسية تخضع للنقاش لدى علماء الإثنولوجيا وعلماء الأنثروبولوجيا، أي أين يقع المؤرخ في العلاقة المتداخلة ثقافيا؟ هل هو عند الذات؟ أم هو عند الآخر؟ أم هو بين بين؟ الأكيد أننا لا نملك جوابا لهذا السؤال؛ لكنّ في حالة الهنود الكريس، يمكن لنا أن نستدعي هذا السؤال وهذا أقلّ ما يجب أن نقوم به. وفي الواقع لا يتعلّق الأمر بالثناء على المترجم لكونه مترجما وحسب، ولو أنّ العمل الذي قام به يستحق الإشادة، وإلا وجدنا أنفسنا في علاقة ذات اتجاه وحيد، وما نعتقد أن ذلك قد تمّ تجاوزه. وبطبيعة الحال لابدّ من التساؤل حول أساليب الترجمة المعتمدة من قبل المترجم. أما فيما يخص كتاب "المترجمون في التاريخ"، فلا نريد التوقف عند ما وجهناه من قراءة نقدية للكتاب؛ بل علينا توجيه التحية لهذا العمل وللطاقات المتجمعة ضمن الفيدرالية الدولية للمترجمين على وجه الخصوص، لكي يتكون تاريخ للترجمة أو بالأحرى يشرع في التشكلّ، كما يوضح ذلك المشرفون على الكتاب في المقدمة. وفضلا على ذلك فإن عنوان الكتاب ذاته يشير إلى أنّ الأمر لا يتعلّق بتاريخ ما بالمعنى الدقيق؛ وإنّما بميادين البحث التي تم اختيارها من كلّ أقطار العالم جاءت لتدلّ على أهميّة دور المترجم وربّما إثارة الرغبة في تعميق البحث في هذا الاتجاه.

النقد: يقتضي السعي لتأسيس علم الترجمة أو نظرية الترجمة المستقبلية أن يكون من المفيد أن ينمو ويزدهر نقد الترجمات الذي سيسمح مع ذلك بفهم الكيفية التي تعامل بها المترجم مع ثقافته الأصلية ومع الثقافة الأجنبية، وفهم العلاقات القائمة بين ثقافة الذات مع ثقافة الآخر ضمن إطار أوسع. يقوم النقد بخطوة تحليلية للنصوص المترجمة بغية الكشف عن أساليب الترجمة وبشكلّ ما عن أشكال تجلي الثقافات، وبالتالي تسليط الضوء على الديناميكية والجدلية التي تجمع بينهما، ممّا يسمح لنا لا محالة بإبراز المنظور التاريخي للترجمة. وبغض النظر عن فردية كلّ مترجم؛ فإنّ الثقافة مهما كانت أو المرحلة التاريخية (النهضة أو المرحلة الكلاسيكية أو المرحلة الرومانسية، مثلا)، ستطبع النشاط الترجمي برؤيتها للعالم. ويسمح العمل النقدي بتحسيس المترجم بهذا الوضع، ممّا يفرض ردة فعل تطرح مسألة موقف المترجم وانخراطه اليوم في للتفاعل الثقافي لعصره.

ولابدّ من التسليم بأنّنا نعيش حاليا أزمة نقد وبخاصّة في مجال الترجمة، ولا يرتبط ذلك بغياب النقاد وإنّما بسبب عدم خضوع هؤلاء النقاد لقاعدة معينة ولم يشكلّوا بعد جنسا مستقلا بحد ذاته، يمكن تحديده بسهولة، ويتميز بسلطة علمية مثلما هو في مجال

الأدب. ويسجل (أنطوان بيرمان) ذلك النقص من خلال التعريف الذي يقدّمه للنقد كما يفهمه. إذ يقول: "إذا كان النقد يعني تحليلا صارما للترجمة ولملامحها الأساسية، وللمشروع الذي أنشأها وللأفق الذي انطلقت منه ولموقف المترجم، وإذا كان النقد يعني أيضا وبالأساس توضيح الحقيقة، يمكن القول إذا أن نقد الترجمات قد بدأ في الظهور شيئا فشيئا" (برمان، 1995: 13-14)[7].

ويبدو لنا موقف (أنطوان بيرمان) تجاه النقد (وهو موقف هادئ وغير سجالي، وهو جدير بانتباهنا)، مخصبا لإشكالية التفاعل الثقافي التي نعالجها، كونه يعيد الاعتبار للفعل الترجمي ضمن حقل أوسع ممّا درجت عليه الدراسات المتعارف عليها؛ لكنّه حقل هو خاصّ بالترجمة في حقيقة الأمر. وتشتمل أولا فكرة تحويل العمل الأدبي، كما عالجناه سابقا، عمل النقد في مجمله "ومختلف أشكال التحويرات التي يعرفها الأثر الأدبي" سواء كانت نصية أم غير نصية، ترجمية أم غير ترجمية. كما تحضر أيضا كلّ تفاصيل العمل الجانبي الذي يرافق الأثر الأدبي. وهو ما يسمّيه (أنطوان بيرمان) بـ "الإسناد الترجمي": " ويتضمن الإسناد الترجمي جميع النصوص المرافقة التي تدعمه وتتمثل في المقدمة والتوطئة والتعليق في نهاية الكتاب والملاحظات ومعجم المصطلحات، إلى أخره. ولا يمكن للترجمة أن تكون "عارية" حتى لا تعجز على إنجاز التحويل الأدبي. إنّ الإسناد الترجمي الذي طرحه العصر الكلّاسيكي والعصر الفلسفي (القرن التاسع عشر)، لم يعد كافيا اليوم، وعليه لا بد من إعادة التفكير في هذه المسألة، وهو ما يقوم به بعض المترجمين. وعليه يبرز الإسناد الترجمي الجديد كمسألة ذات أهميّة كبرى وكذلك أهميّة إيجاد إجماع جديد حولها" (نفسه: 68)[8].

وعلينا اليوم أيضا، أن نعيد التفكير في علاقتنا بالنصوص المترجمة، ويمكننا بالتالي استخلاص النتائج لمصلحة الترجمة في الراهن، هذا من جهة، ومن جهة ثانية اعتبار أن لمفهوم "الإسناد الترجمي" إمكانيات عظيمة تمكننا من التطرق لمسألة تعذر الترجمة. وقد سبق لنا أن تناولنا إشكالية المسكوت الثقافي (كوردوني، 1995: 172-176)؛ إذ أن درجة القابلية للترجمة تتناسب مع درجة معاشرة الثقافات؛ إذ كلّما ضعُفت معاشرة الثقافات نتج عنه تعذر كبير في الترجمة. وبما أننا نعيش ضمن التقليد الثقافي الغربي وفي ظل أسطورة شفافية المترجم، وهو مبدأ انتقدناه وقت صدوره (نفسه: ضمن صفحات 144-146 وضمن مراجع أخرى)؛ إذ أن المترجم لا يجرؤ على تجاوز الكاتب من أجل تشكيل الملحقات الثقافية لترجمته التي تمنح لثقافته مفاتيح يلج بها الأثر الأدبي، وتفتح له في الوقت ذاته فضاءات القابلية للترجمة.

وكما يوجد هنا تقليد للترجمة لابدّ من استرجاعه، يتمثّل في كون المترجم هو من يبني الإسناد الترجمي[9]، أي يعيد، بشكل ما، اكتشاف دور المعمم والمبسّط الذي كان يمتلكه في الماضي؛ لكنّه دور مبني داخل فكر منسجم وضمن حقل واسع لتحويل الآثار الأدبية. إذا نحن أمام مجال شاسع؛ حيث نتمكن من ملاحظة العلاقة الجدلية بين تعميم وتبسيط الوقائع الثقافية والاشتغال المرافق لعملية اختزال فضاء تعذر الترجمة. وعليه يجب دراسة مسيرة الأثر الأدبي عبر مجموع النصوص المترجمة أو غير المترجمة، والنصوص الملحقة التي تقوم بالتعليق عليها وكذلك الاقتباسات، إلى أخره.، كون الترجمة تقع ضمن هذه البؤرة الديناميكية.

وفي هذا الصدد لا يمكن (لأنطوان بيرمان) سوى تسجيل غياب "نظرية عامّة للتحويل الأدبي، أي انتقال الأثر الأدبي من "لغة-ثقافة" إلى أخرى" (المرجع نفسه: 56)[10]؛ لكنّ علينا إدراك وبشكلّ جيد الإمكانية التي يرسمه هذا السبيل للتقدم نحو مقترحات تساعد المترجمين على المواجهة الجدية لترجمة الثقافة.

الأخلاقيات: تكرّس جميع المجهودات التي تبذل في مجال تكوين التصورات النظرية لجعل مترجم هذه المرحلة قادرا على التموقع بوضوح في علاقات الغيرية. وبالفعل، يفرض تاريخ الترجمة والفتوحات المنجزة في إطار العلوم الإنسانية مواقف وواجبات جديدة؛ ولاسيما في العلاقات المتفاعلة ثقافيا ولاسيما في الموقف تجاه الأخر، كون هذا الموقف على وجه الخصوص له دون شك تأثير على النصوص المترجمة.

ولْنَعُدْ الآن، قليلا إلى الوراء، إذا كنّا قد قدّمنا نقدا للإثنومركزية في الترجمة في كتابنا "الثقافة والترجمة"، ليس لما كان تمثله الإثنومركزية آنذاك، ولو أنّنا ندرك ما قد نتج عن هذا التصور من معاناة إنسانية كبيرة؛ بل لما قد يحدثه من سلوكيات لدى المترجمين اليوم. كان علينا القيام، من جهة، بعمل التحسيس حول أساليب الترجمة، ومن جهة ثانية طرح السؤال حول المكانة الحالية للترجمات الإثنومركزية ضمن الفضاء الأدبي والثقافي، أي داخل الحركة الكبرى لتحويل النصوص.

ويبدو لنا مع مطلع القرن الواحد والعشرين، من البديهي عدم استطاعتنا التصرف مع الآخر مثلما فعلنا في الماضي؛ إذ هناك أولا دواعي أخلاقية؛ لكنّ هذه الحجة تتجاوز حدود هذه الدراسة، وثانيا إن الدور المؤسس على مستوى ثقافة الترجمة على وجه الخصوص قد تغير. وبإمكاننا أن نعيد تقديم الحجة بشكلّ مختلف: إن ثقافتنا في علاقتها مع العالم اليوم، هي في حاجة إلى أن تخصبها الترجمة بشكلّ مختلف. إننا نتشبث إذا بالمقاربة التاريخية. وبالنسبة لنا لابدّ للترجمة أن تنخرط في سياق الأخلاقيات التي هي تقوم على توجيه الحركة العامّة لتحويل الآثار الأدبية، وتؤطّر العمل الترجمي على وجه العموم.

وقد اقترحنا في إطار أخلاقيات الترجمة لفظة الانفتاح (كوردونيي، 1995: 153-154 وضمن صفحات أخرى)، لتوصيف موقف المترجم في علاقته مع الغيرية. وتشكّل هذه اللفظة الجديدة جزءاً لا يتجزأ من عمل التحسيس والتوعية الذي تكلّمنا عنه سابقا. والحقيقة أن جميع الثقافات هي إثنومركزية بشكلّ أو بآخر، مع الفرق، وهو فرق ذو أهميّة كبرى، أن بعض تلك الثقافات تهيمن وبعضها الآخر لا يملك صفة الهيمنة. وبفرنسا نجد أنّ النزعة الكلّاسيكية قد فاقمت من الحركة الإثنومركزية؛ لكنّ كان لهذه الحركة دورا إيجابيا ومخصبا كونها من العناصر المؤسسة لأدبنا وثقافتنا. وتفسر هذه القوة التي كانت في الماضي مدى تأثير الأفكار الكلّاسيكية على اللّغة والثقافة وبالتالي على الترجمة في أيامنا الحالية[11]. وتربك هذه النزعة الموروثة عن التاريخ الترجمة في عملية انتشارها الثقافي الذي لا غنى عنه، وللخروج من هذه الممارسة الإثنومركزية التي تعمّمت، ولرسم سبيل آخر بوضوح، ابتكرنا إذا مفهوم الانفتاح.

وعلى المترجم الذي يختار هذا التوجه أن يضطلع بموقف ترجمي يتمثل في إثراء ثقافته الأصلية بإبراز ثقافة الأخر وجعل أساس عمله الترجمي التعامل مع ثقافة الآخرين باحترام. وهنا يكمن مشروعه في الترجمة؛ إذ عليه بترجماته المتتالية، استجلاب العناصر الثقافية المؤسسة والجديدة لثقافته الأصلية ممّا يسمح بالتعامل بشكلّ هادئ مع علاقات الغيرية وضمن معرفة صادقة تمكن الجميع من تحسين التواصل والتفاهم التفاعلي للثقافات في المستقبل.

ولعلّ هذه الأمور هي التي دفعت بنا إلى تسمية هذا النوع من النشاط بالترجمة-الانكشاف، بسبب أنّ هناك آثار أدبية في حاجة إلى إعادة الترجمة، كونها لم تعرف إلى الآن سوى ترجمات ملحقة. وكما هو مطلوب أيضا تقديم نصوص مترجمة للجمهور قد تمكّنه من اكتشاف حقيقة الأثر الأدبي، مع التأكيد على أنّ الحقيقة لا يمكن أن تكون إلاّ نسبية، وذلك لارتباطها بالأدوات المفاهيمية التي نملكها في الراهن. إنّ هذا التحوّل التاريخي الذي يتمثل في الخروج من الانغلاق داخل الذات، وهو انغلاق ارتبط بالنزعة الإثنومركزية، للتموقع في نقطة ليست ثابتة مع ذلك، والتواجد في مكان ما مع الأخر، لا يعني التخلي عن الذات وعن الهوية، كما يعتقد بعضهم الذين انتقدوا مواقف (هنري ميشونيك) و(أنطوان بيرمان). وهذا ما ذهب إليه (جون-روني لادميرال) (Jean-René Ladmiral) إلى حدّ القول بـ"الحقد على الذات"، أي: "نقول إنّنا نرى في ذلك علامة على الحقد على الذات الذي يبدو لنا مرضا للثقافة الغربية المعاصرة" (لادميرال 1997: 133)[12].

ويظهر لنا أنّ هذه الفكرة فيها تسرع كبير؛ لكنّ على العكس من ذلك؛ فإنّنا نجد (أنطوان بيرمان) أكثر اتزانا في هذه المسألة. فهذا الأخير لا يثبت انتمائه لنظام ما بل يعترف بحرية المترجم، ويقر له "بكلّ الحقوق" (1995: 94)[13]؛ وإنّما يحدد الفعل الترجمي في إطار الأخلاقيات، ممّا يعني أنّه على المترجم أن لا يخفي كيفية اشتغاله الترجمي على النص الأصلي. ويوصي (أنطوان بيرمان) المترجم بتبليغ القارئ إذا أقدم على التلاعب بالنص (ليس بالمعنى السلبي للكلّمة)، أو شوّهه أو كيّفه، وتكفينا هذه الأمثلة الثلاثة في التعامل مع النص، وعلى المترجم أن لا يخفي ذلك، وعلى القارئ أن يكون على علم بنوع الترجمة التي يتعامل معها.

والجدير بالذكر أنّ ما هو حقيقة محل جدل هنا، يرتبط بمسألة الهوية الثقافية، وفي الواقع إننا نشاهد بروز ممارسات هوياتية رائجة، والتي يرى فيها "دونيس كوش" (1996: 83) أنها "امتداد لظاهرة تمجيد الاختلاف التي ظهرت في السبعينيات". ونستطيع أن نتفهم هذه الحركة المتواترة مثل البندول؛ لكنّ وضع في مجال الترجمة، الاختلاف في المقدمة أو نقد الإثنومركزية لا يعني بأي حال من الأحوال الاعتداء على الهوية، وفي هذه الحالة لابدّ من الإقرار على أن النقد ليس جديرا بالقبول.

في البداية لابدّ من القول إنّ مفهوم الهوية ليس جامدا، فالهوية متنوعة ومتموجة، وصياغتها دائمة ومستمرة. كما لا يمكن تصوّر الهوية خارج العلاقة القائمة مع الآخر، ويضيف (دونيس كوش) أنّ "الهوية هي مبني يتم إعداده ضمن علاقة التقابل بين مجموعة ما ومجموعات أخرى؛ ؛ حيث الاتصال قائم بين المجموعة وباقي المجموعات" (المرجع نفسه: 86). ممّا يدل على أهميّة موضوع الهوية في هذا المجال؛ إذ أن الترجمة هي التي تبني جوهر الثقافات. إن ترقية حركة ترجمية ترافع لصالح الاختلاف الثقافي دون شروط مسبقة في هذه المرحلة يعني الإسهام في إضافة لبنة في البناء العصري للهوية. ويمكن بذلك جعل التواصل المتداخل ثقافيا أكثر فعالية، وبالتالي إقامة العلاقات بين الثقافات وفق المبدأ الذي يقول: كلّما عرفت الآخر من خلال نصوصه، تعرّف علي أكثر من خلال نصوصي، وهكذا سنتفاهم أفضل.

وعندما انتقد (ميشونيك) حبّ اللّغة المبني على أساطير قديمة وعقيمة بالنظر للتطور الموفق لثقافتنا، مثل الوضوح والصفاء والعبقرية وهي ميزات مفترضة للغة الفرنسية، كان يرمي بذلك إلى تخليص هذه اللّغة من الموقف الدفاعي السلبي والعقيم الذي يميزها. وهنا يقتضي الأمر عدم الدوران حول الذات وإنما إدماج الغيرية بشكلّ إيجابي. ولهذا يقترح (ميشونيك) (1977: 210) "تغيير الهوية بواسطة التنوع". وهذا

لا يعني التراجع أمام "الهويات المتقلبة"، هذا مع الافتراض أنها كذلك، كما يحدثنا "جون – ريني لادميرال" (1997: 133). إنّ العكس هو الذي يجب أن يكون؛ حيث لابدّ من التحديق بدقة في العالم الراهن ودون خوف ومرافقة التحولات التي يعرفها على نحو ملائم.

وإذا كان تطوير الترجمة- الكشف مرغوب فيه اليوم، فلأننا سجلنا نقصا كبيرا في ثقافتنا لهذا النشاط، ولأننا على وعي تام بالدور التجديدي والمخصب الذي قد تلعبه. وهذا لا يعني أننا نرغب في أن تقصي هذه الوثبة الترجمية أنواعًا أخرى للترجمة؛ بل على العكس من ذلك. ولهذا اشرنا في السابق الفائدة التي قد يجنيها المترجم في استعادة دوره بصفته مروجا للثقافات وهو دور فقده قبل اليوم. وبإمكاننا أن نواصل على هذا النهج وأن نقترح إعادة الاعتبار في البداية للتمارين التي انتمت للحقل الترجمي في تاريخنا داخل المؤسسة المدرسية، ونعني بذلك المحاكاة والحشو والتعظل والاقتباس مثلا. ومهما كان نوع الترجمة الممّارس أو المقترح فما نريد بوضوح ومن الآن فصاعدا هو أنّ تكون الأمور معلن عنها وبصراحة.

المهام: أمّا فيما يتعلّق بالترجمة-الكشف، فإذا كانت هذه الأخيرة تنوي إبراز الآخر؛ فإنّه يتعيّن عليها أيضا أن تشكلّ ثقافة الذات، ضمن الحقل الواسع للعلاقات المتفاعلة ثقافيا. وفي هذا الصدد، يمكن أن نقول إنّها تسهم في بلورة الظاهرة الإثنومركزية، مع الفرق الكبير: أنّ صياغة الأنا وبلورته كانت تتم في الماضي عن طريق طمس واسع للآخر؛ لكن منذ مدة فالأمر أصبح مختلفا إذ يتمّ ذلك بإظهار الآخر وإبرازه. ولقد أشرنا أعلاه أنّ ظاهرة الإثنومركزية هي موجودة، وبدرجة متفاوتة، في كلّ الثقافات؛ وحيث يراد بالإثنومركزية أن تخضع هذه المرة "لاستعمال منهجي" داخل الثقافة الغربية كما يعبر عن ذلك (دونيس كوش) (1996: 116). ويقوم المؤلّف ذاته (المرجع نفسه) فيما بعد بالإحالة على (بورديو) (Bourdieu): "أنا مقتنع أن شكلا معيّنا من الإثنومركزية، قد يكون شرطا لفهم حقيقي إذا أشرنا إلى مرجعية التجربة الخاصّة والممارسة الخاصة: وشريطة أن تكون تلك الإحالة واعية ومتحكّم فيها [...]. إذ يصعب التعرّف على الذات التي لا نريد معرفتها في الآخرين الذين يبدون غرباء جدّا. لنتوقّف قليلا عن التفكير من خلال الإسقاطات الأكثر أو الأقلّ مجاملة؛ إذ إنّ علم الاجتماع وعلم الإثنولوجيا يقوداننا إلى اكتشاف الذات بواسطة النظرة الموضوعية للذات ومن خلالها كما تقتضي بذلك معرفة الآخر"[14]. فالحركة الترجمية التي تحدّد نفسها في إطار انفتاح واعٍ ومتحكّم فيه ليست مناقضة للهوية؛ بل بالعكس، علينا أن ندرك جدلية الذات والآخر، والهوية والاختلاف،

ضمن حركة تتجه نحو وعي واضح لجوهرهما ولعلاقتهما المتداخلة، على أن لا يكون ذلك على حساب هذه أو تلك من الثقافتين المتقابلتين.

نختم بالتأكيد على أنّ الدور المشكلّ للترجمة على مستوى الثقافة هو في الواقع غير محدود ولانهائي، ولهذا ندرك جيدا الآن سبب امتلاك الترجمة لمهام كبيرة لابدّ لها من القيام بها. والترجمة من خلال إنجاز تلك المهامّ الكبرى التي تضطلع بها تسهم في المحدودية البشرية وفي كمال اللّغة، اللامتناهيتين. ويعيد طرح هذا الشكل من التصورات وبشكل إيجابي مسألة تعذّر الترجمة التي لن تعتبر بعدئذ حتمية. أمّا فيما يخصّ إعادة الكتابة في الترجمة، على المستوى اللّساني؛ فإنّه متعلق بالمعنى أو بالدلالة؛ لكنّه يرتبط بشمولية العلامة من حيث المعنى وامتلاك الدلالة. ولا يمكن له أن يكون مرتبطا باللّغة الهدف أو اللّغة المصدر، وهو تصنيف ثنائي بسيط لا نقرّ به، فعملية إعادة الكتابة ليست ترجمة للّغة؛ لكنّها هي ما يصنعه الخطاب باللّغة. وتتوسط الترجمة فيما بين الثقافتين، وتتكّور ضمن علاقة جامعة بينهما، أي بين ما يقوله نصّ الآخر وما استنطقه في ثقافتي في صلة ضغط ثقافي يتمّ بين اللّغة والخطاب، وهو ضغط يتغيّر باستمرار وغير قابل للحجز.

المراجع:

Berman, A. (1984) : *L'épreuve de l'étranger. Culture et traduction dans l'Allemagne romantique*, Gallimard, coll. «Les Essais ».—— (1995) :*Pour une critique des traductions : John Donne*, Paris, Gallimard, coll. «Bibliothèque des idées ».

Cordonnier, J.-L. (1995) : *Traduction et culture*, CREDIF/Hatier-Didier, Coll. LAL.

Cuche, D. (1996) : *La notion de culture dans les sciences sociales*, Paris, Éditions La Découverte, Coll. Repères, no 205.

Delisle, J. et J. Woodsworth (sous la dir. de) (1995) : *Les traducteurs dans l'histoire*, Les Presses de l'Université d'Ottawa/Éditions UNESCO.

Foucault, M. (1966) : *Les mots et les choses*, Paris, Gallimard, coll. « Bibliothèque des sciences humaines ».

Ladmiral, J.-R. (1997) : «Aspects interculturels de la traduction », *in : Hommage à Hasan-Ali Yücel — La traduction : carrefour des cultures et des temps*, sous la dir. du Prof. Dr Hasan Anamur, Istanbul, Université technique de Yildiz.

Mercier, D. (1995) : *L'épreuve de la représentation. L'enseignement des langues étrangères et la pratique de la traduction en France aux xviie et xviiie siècles*, Besançon, Annales littéraires de l'Université de Besançon, no 589, Diffusion Les Belles Lettres.

Meschonnic, H. (1973) : *Pour la poétique II*, Paris, Gallimard, 1973.—— (1997) : *De la langue française*, Paris, Hachette.

Mounin, G. (1963) : *Les problèmes théoriques de la traduction*, Paris, Gallimard, coll. «TEL», no 5.

الهوامش:

- * أستاذ بجامعة فرانش-كونتي، بزانسون، فرنسا.
- ** أستاذ بجامعة أحمد بن بلة، وهران 1، الجزائر.

[1] هذه الدراسة هي عبارة عن نسخة معدلة ومصححة لمحاضرة تم إلقاؤها بمناسبة "الملتقى الدولي الأول الموسوم بالاوجه الثقافية للترجمة" الذي نظمته جامعة يلدز التقنية، اسطنبول، (تركيا)، يومي 22-24 أكتوبر 1997.

[2] نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تعميق وفحص من خلال زاوية أخرى لمفاهيم قمنا بإدخالها في كتابنا: الترجمة والثقافة، جون-لويس كوردونيي، 1995.

[3] وللاطلاع على نظرة شاملة لمفهوم الثقافة، أنظر كتاب "دونيس كوش" : مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، منشورات "لا ديكوفرت"، باريس، 1996.

[4] أنظر للجزء الأول من الكتاب: من أجل أركيولوجية للترجمة.

[5] نشير بالمناسبة إلى صدور كتاب جديد حول الفترة الكلاسيكية تحت عنوان: الترجمة في العصر الكلاسيكي، مجموعة من الدراسات جمعها كل من "ميشال بالار" (Michel Ballard) و"ليفين دولست" (Lieven D'hulst)، المنشورات الجامعية للسبتنتريون، ليل، فرنسا، 1996.

[6] هذا المقال حرره "جون دوليسل" بالتعاون مع "بيار كلوتي" (Pierre Cloutier).

[7] التشديد من قبل المؤلف.

[8] أنظر الهامش رقم 70 والتشديد من قبل المؤلف.

[9] وفي هذا الصدد لا يمكن الخلط بينه وبين "إسناد الفعل الترجمي" (بيرمان 1995: 68)، وهومصطلح يشير إلى عمل البحث التوثيقي للمترجم، وكل القراءات الضرورية التي يقوم بها المترجم لضمان نجاح الترجمة.

[10] التشديد من قبل المؤلف.

[11] وحول المسبقات الكلاسيكية السارية المفعول إلى الآن مثل: الوضوح والعبقرية والصفاء، مثلا، ينظر "ميشونيك" (1997).

[12] التشديد من قبل المؤلف.

[13] التشديد من قبل المؤلف.

[14] هذه الإحالة مأخوذة من عند "بيار بورديو": "حوار مع "ألبان بنسا" (Alban Bensa): عندما يأخذ (الكناك: أي الميلانيزيون) الكلمة، ضمن مجلة أعمال البحث في العلوم الاجتماعية، رقم 56، مارس 1985، ص.79.

تكوين المترجم
بين مطرقة المصطلحية وسندان الترجمة.

المؤلف: أ/د فرقاني جازية ج. وهران1 أحمد بن بلة

الملخص: تروم هذه الورقة إلى وضع الأطر التي تحيط بتكوين المترجم منطلقة من البرامج التكوينية في المعاهد والجامعات، وصولا إلى الميادين التي يشتغل بها والمجالات التي يدمج فيها باعتبار الترجمة حقلا تتداخل فيه الأنظمة اللّغوية والثقافية، فتتجاوز بذلك المعادلات التقليدية للبحث عن مهنة تتعدى العمل المعجمي والمصطلحي لترسم معالم مهنة تتربع على عرش تكوين كفء وتتفرّع لتغطّي حاجيات سوق العمل بمردودية قوامها نوعية وجودة وبصمتها الإبداع في لغة الآخر وضمان التلقي والرواج في بيئته.

الكلمات الدالة:

المترجم، التكوين، الترجمة، المصطلحية

Résumé :

La formation du traducteur entre l'enclume de la terminologie et le Marteau de la traduction

Cet article vise à retracer les cadres qui entourent la formation du traducteur à partir des programmes de formation dans les instituts et les universités ainsi que les domaines dans lesquels il travaille et qu'il s'intègre. Les systèmes linguistiques et culturels se chevauchent dans le domaine de la traduction, dépassant les équations traditionnelles, pour viser une profession qui va au-delà du travail lexical et terminologique. Une profession efficace et capable de couvrir les besoins du marché du travail en garantissant un rendement de qualité et la créativité dans la langue de l'Autre pour assurer la réception et la promotion dans son environnement.

Mots clés :

traducteur, formation, traduction, terminologie

Abstract :

The training of the translator between the anvil of the terminology and the Hammer of the translation

This paper aims to develop the frameworks that surround the training of the translator from the training programs in the institutes and universities,as well as the fields in which he works and in which he integrates. Linguistic and cultural systems overlap in the field of Translation, exceeding the traditional equations, to search for a profession that goes beyond lexical and terminological work.An efficient profession able to cover the needs of the labour market guaranteeing quality performance and enhancing creativity in the language of the Other to ensure the reception and promotion in his environment.

Key words :

translator, training, translation, terminology

منذ أن خُلقنا شعوبا وقبائل، كانت الترجمة وسيلة للتعارف والتثاقف وأداة للكشف عن الاختلاف وتوظيفه ورعايته ففي قلب الاختلاف تسكن الهوية وترتسم معالمها وفي الهجرة يقطن الاستقرار وتقهر المسافة ليصبح وقع النص المترجم على المتلقي هو نفسه الأثر الذي يحدثه على متلقي النص الأصلي.

والترجمة ليست مسألة لغة فحسب؛ وإنّما هي مسألة ثقافة ومعرفة وتداخل مجالات كثيرة تسهم كلّها في نفخ الحياة في النصوص ونقلها إلى الآخر، ومن هنا فإنّ "مهمّة المترجم هي أن يسمح للنّص بأن يبقى ويدوم وفي هذا البقاء الذي لا يستحقّ هذا الاسم إن لم يكن تحوّلا وتجدّدا"[1]

لقد كانت وظلّت الترجمة اليوم تدرس على أعلى مستوى في جل أنحاء العالم، وهذا التكوين ليس بهدف تخريج مترجم جيّد؛ وإنّما بغاية الحصول على مترجم قادر على المنافسة في سوق العمل المحلية والدولية، ولن يتأتّى له هذا إلاّ بالتكوين والمِرانِ والممارسة؛ تكوينٌ دعامته الأساسية إدراك واقع المصطلح العربي الذي يتجه إلى خارج اللّغة العربية في الترجمة أكثر ممّا يتّجه إلى التوليد من الدّاخل.

لقد أدّى كلّ من التطوّر العلمي والتكنولوجي وثورة المعلومات إلى ظهور عدد هائل من المصطلحات الجديدة في فروع المعرفة المختلفة، ونتج عن ذلك بالضرورة ظهور لغات التخصص للدّلالة على هذه المصطلحات الجديدة. وإذا كانت الكتابة العلمية عصبها المصطلح وقوامها مفهومه، فهي بمثابة المفاتيح و المختصرات يستخدمها الدارسون لتوفير الجهد في تقديم العلوم التي يتناولونها بالبحث والدراسة.

هذا ويمكن تحديد محاور الدرس المصطلحي في تكوين المترجم على النحو الآتي :

_تجديد خصائص التعريف المصطلحي؛

_جرد المصطلحات وتصنيفها؛

_التقييس المصطلحي؛

_التوثيق وقواعد الجذاذة المصطلحية؛

فلكي يتمّ ضبط المصطلحات اللغوية، لابدّ من تحديد منظومة المفاهيم العلمية التي تمثّلها تلك المصطلحات. وللاضطلاع بهذه المهمّة، يقوم المصطلحيّ ب: "تقطيع الواقع أي تقسيم الأشياء والظواهر في الوجود و تصنيفها وهو تقسيم يتباين من حضارة إلى أخرى"[2] ومعرفة كلّ مفهوم يعمل على ضبط موقعه في المنظومة المفهومية ويحدّد العلاقة التي تربطه بالمفاهيم المجاورة التي تشترك معه في بعض الخصائص."فالخطابات

والنّصوص التي استعملت فيها المصطلحات والمسمّاة عموما بالخطابات العلمية والتقنية، هي عروض لمعارف وتصوّر لمداولات طوّرت قصد تواصل خاص والخطاب كمسار تواصلي هو العماد الذي ينقل ويحوّل إلى المستقبلين المستهدفين المعلومات مع أهداف محدّدة في سياق معين "[3]

تتّفق نظريات الترجمة على أنّ الاتصال اللغوي بواسطة الترجمة لا تقتصر عناصره على المرسل والمرسل إليه والرسالة فحسب؛ وإنّما للسياق ومكوّناته دور في الرسالة وتوجيها أو إعاقة وصولها إلى متلقٍّ في لغة أخرى وبيئة مغايرة، وعلى هذا الأساس فتكوين المترجم ضروري في هذا المجال، فهو مطالب بالإحاطة بالوسط الثقافي والاجتماعي للغة الناقلة والمنقول إليها كي يتمكّن من سدّ الثغرات التي تعيقُ عملية التواصل، فعلى المترجم أن يكون قادرا على أداء دورين؛ متلقّ للرسالة ومرسل لها في لغة ثانية وعملية التلقي هذه تمر بثلاثة مستويات :

1-الإدراك (من خلال المرجعية الثقافية والمعرفية).

2-التفكيك.

3-إعادة البناء بعد فهم المضمون.

وتأسيسًا على هذه المستويات؛ فإنّ البحث عن المعنى في مجال الترجمة يقوم على تحليل العلاقة بين الكلمة والشيء في طور التكوين و تدريب الطالب المترجم /المتعلم على التمييز بين معاني الكلمات المحصورة في المعاجم ومعنى الكلمات في سياقات متباينة أولا؛ ثمّ معنى النص في شموليته وليس في استقلال مفرداته ومكوناته " وللوصول إلى المفهوم في شموليته أو الاقتراب من هذه الشمولية يتوجّب النظر إلى تحقق سماته الواردة على طول الخطاب والمعنى المعبّر عنه يمكن أن يُرى كظاهرة متشاركة موزعة بين الجمل وربّما بين الخطابات"[4]

وعلاوة على هذا؛ فإنّ للتوسّع الدلالي والاستعمال المجازي وغيرها من الظواهر اللّغوية دور في تعدّد معنى اللّفظ الواحد، ويزداد الأمر إشكالا في تعدّد دلالات المصطلح الواحد الذي يُعَدُّ أخطرَ من تعدّد دلالات اللّفظ، فهذا الاختلاف يفقد العلماء والمترجمين القدرة على التواصل ويُردي نقاشهم عقيما فسمة المصطلح "أن ينظّم المعرفة في شكل تصنيف مفاهيمي لكل فرع من فروع المعرفة "[5] وأن يتمكّن من التواصل المتخصص بأكبر قدر من الفعالية، فلكلّ مصطلح خلفيات معرفية حري بالدارس والباحث المترجم

العودة إليها للكشف عن كنه أبعاده الدلالية وللتمكّن ممّا يسهم في فكّ حمولته المعرفية والفكرية ومراودته ليكشف النقاب عن الانفتاح الذي يتجاوز الدلالة الحرفية للمصطلح.

والملاحظ أنّ المصطلح يعاني من معوق آخر يتمثّل في عدم اجتهاد الباحث العربي في تأصيل المصطلح الآتي من بيئة الآخر"ممّا يعطي الانطباع على حدّ قول بن معمر بوخضرة بانفراد المصطلح وجدّته؛ بل و فقدان أصوله في المورث العربي"[6]

وقد أدّى هذا الاضطراب وعدم الاستقرار في المصطلح إلى ظهور فئة من النقاد تدعو إلى إيقاف قطار النقد؛ لأنّ الفوضى من أمامه والفوضى من ورائه [7] فترجمة المصطلح لا تعني عزله عن خلفيته الفكرية والفلسفية وإفراغه من دلالته، وبالتالي عجزه عن تحديد المعنى. فليس من السهل اقتلاع المصطلح من جذوره لما ينطوي عليه من عمق تاريخي وفكري يستدعي التريث والبحث عن المصطلح المقابل من ثقافته وفي أطره المرجعية التي صيغ فيها.

يسعى كلّ من المترجم والمصطلحيّ إلى نقل المعنى، فالهدف المتوخّى من عملهما واحد، وقد يبدو للوهلة الأولى أنهّما يؤدّيان الوظيفة نفسها، وبالتالي يحتاجان إلى ذات التكوين ويتطلّبان عين الإعداد والوسائل؛ لكنّ الحقيقة غير ذلك، فالمصطلح يُعنى بالتوليد والتوحيد، وهو بذلك يشتغل في إطار اللّغة الواحدة؛ في حين إنّ المترجم يتعامل دائما مع النص الذي يريد نقله من لغة أخرى.

وإذا كان كلّ من المصطلحيّ والمترجم يُعني بالمعنى و يعمل كلّ واحد منهما جاهدا على استيعابه ثم نقله؛ فإنّ كلّ واحد منهما يبحث عن معنى مختلف، فالمصطلحي يبحث عن معنى الشيء أو المفهوم؛ في حين إنّ المترجم يبحث عن معنى التسمية التي يُسمى بها الشيء أو المفهوم "وهكذا فالمصطلحي مضطرّ إلى التعرف على ماهية الشيء وتحديد عناصره الرئيسة ....ليتمكّن من إلحاقه بمنظومة المفاهيم التي ينتمي إليها؛ أمّا المترجم فلا تعنيه تلك الأبحاث المنطقية والوجودية بقدر ما يعنيه معرفة معنى الكلمة في السياق الذي استعملت فيه، ومن ثمّ معرفة المعنى الكلّي للعبارة والفقرة اللتين يقوم بترجمتهما" [8]

من الناحية النظرية، ليس من مهامّ المترجم أن يولّد مصطلحات؛ بل أن يوظّفها في المادّة التي يترجمها ويعمل جاهدا على استخدام مصطلحات يستقيها من المعاجم المتخصصة ويحرص على توحيدها؛ لكنّ الملاحظ أنّ "عدم الاتفاق على مدلول محدّد للمصطلح يقود إلى خلل في الدراسات وتفاوت في البحث وعدم تواصل بين العلماء فيما يقدّمونه من أبحاث تتّصل بالموضوع الذي لا يستقرّ مفهومه" [9] وهذا الوضع يدعو إلى

التريث في البحث عن مقابلات عربية لمصطلح لم يستقر في لغته الأم، وإن كان الأمر يمثّل حجر عثرة في سبيل توفير المصطلحات ومواكبة تقدّم العلوم؛ لأنّ المصطلح يخضع في تطوره للتخصص نفسه الذي ينتمي إليه ولا يتحدّد إلاّ داخل النظام الذي يُكوّن ذلك التخصص، ف"طبيعة المصطلحات تجعلها صورة حيّة لتطوّر العلوم، وهي تدلّ على ما في تاريخ العلم من صواب أو خطأ وهي جزء لا يتجزّأ من أساليب التفكير العلمية"[10]

ويُرجع الديداوي أسباب عدم استقرار المصطلح إلى آفة الترادف تلك الظاهرة التي تنتج عن ما يلي :

1- وضع مصطلحات دون التأكّد ممّا هو موجود.

2- تعدّد الجهات الواضعة للمصطلح.

3-الاستعجال في وضع مصطلحات الميادين المتجدّدة باستمرار.[11]

و يقف (أولمان) (Ullmann) على الترادف و يحدّد تسعة أنواع للترادف [12] تخلق نوعا من التشويش و الضبابية في فهم المعنى فهما دقيقا "فلا يدلّ هذا الازدحام على السعة و الثراء؛ بل هو يدلّ إن كان لابدّ من دليل، على ما يسود طرق العمل من فوضى وعلى عيب أساسي هو فقدان الأسلوب المنطقي والخلو من النظرات الفلسفية العامّة في ميدان الترجمة الى العربية[13]؛ في حين إنّ الديداوي يرى أنّ وجود المترادفات ليس شرّا كلّه فالاحتكاك والتنافس بين المقبلات المصطلحية المختلفة قد يؤدّي إلى تثبيت المصطلح الأفضل بين عدد من المصطلحات ولن يتأتّى هذا إلاّ بالتنسيق والإحصاء والاشتغال بمبدأ التكامل بين مختلف الأقطار العربية، بعيدا عن السبق.

يسهم الاستدلال المعجمي في الوقوف على الاختلاف وضبط الاستعمال وهو يصبو إلى "المواءمة إلى أقصى حدّ مستطاع بين المفردات والمصطلحات في اللّغتين والاستناد إلى المعاجم الأحادية والثنائية فما أكثر، بحثا عن دلالتها والانتقال في الاتجاهين بين اللّغتين للتأكّد والمقارنة والموازنة إلى أن يستقرّ الرأي على الأصلح والأنسب منها للمقام " [14] ولهذا نجد ما يُعرف بالمعادل القريب والمعادل الثانوي والمعادل المحتمل والمعادل السياقي، وفي مرحلة التكوين، لابدّ أن يدرك الطالب هذه المعادلات ليقف على أهمّية السياق في هذا التصنيف وليعرف الكيفية التي تمّت بها عملية توزيع الألفاظ اللغوية على أنظمة المفاهيم العلمية والتقنية وعلى المبادئ التي تحكم وضع المصطلحات وتوحيدها ليتسنى للمترجم مواجهة هذا الفيض المستمرّ للمصطلحات الوافدة في مجالات معرفية مختلفة.

إضافة إلى ذلك، لابدّ من إدراك الطالب المترجم قضية تنميط المصطلحات، والمراد بالتنميط "وضع مقاييس لاختيار المصطلحات مع تصنيف تلك المقاييس وضبط ميادين تطبيقها بهدف تحقيق تواصل أفضل بين مستعمليها، والمتخاطبين بها، فالهدف من التنميط إذن تجنب الاعتباطية"[15]

وعلى هذا الأساس يختلف مفهوم التنميط في معناه عما يقصد به توحيد طرق وضع المصطلح وآلياته، من اشتقاق ونحت و تعريب.

وفي معرض حديثنا عن التعريب؛ فإنّ مشكلة المصطلح العلمي باللّغة العربية لم تكن عائقا يحول دون التعريب؛ لكنّ المشكل الأساس في عزوف الجامعات عن اصطناع العربية لغة علم و تعليم "فإذا تلقّى الطالب تعليمه العالي مصبوغا بألفاظ لغته وقوالبها؛ فإنّه يسهل عليه استيعابه و إضافته إلى مخزونه المعرفي في منظومة مفهومية متكاملة"[16]تسهم في عملية تنقله بين منظومة لغوية فكرية وأخرى أثناء الترجمة، التي تعطي فرصة للطالب كي يراجع "المصطلح المقر من المجامع اللغوية و اقتراح تغييره إن لم يعد مناسبا أو تجديده و توليد ما يتفرّع عنه استنادا إلى التطوّر العلمي."[17]

إنّ منطلق تأسيس العلوم وتوطينها وإيصالها إلى عامّة الناس قائم على ترجمة المصطلح الأجنبي، وبالتالي تداول العلوم ومواكبة الركب اعتمادا على وضع أسس ملائمة لروح اللّغة العربية كي تناسب أبنيتها، لتسدّ الفجوة بينها و بين لغة العلوم.

وتأسيسا على ما سبق؛ فإنّ استغلال الموارد التكنولوجية لعصرنة تكوين المترجم أمر لا نقاش فيه، وبخاصّة في عصر العولمة واقتصاد السّوق حيث يقتضي الوضع أن يرتبط التكوين بالتمهين وتوضع كلّ التطورات التكنولوجية في خدمة المترجم ربحا للوقت والجهد، ومحاولة لسدّ الفجوة بين النظري والتطبيق أو بين التكوين والممارسة "فنظرية الترجمة تسمح للمترجم بأن يعرف جيّدا ما يفعل، وما يجب أن يفعل و عكس ذلك؛ فإنّ أسئلة المترجم تضطر المنظّر إلى إعادة التفكير باستمرار في عمله حول هذه المهنة. إنّ المهم بالنسبة لهذا و ذاك هو عدم الاكتفاء بالعيش على ما هو مقرّر"[18] ذلك على حسب فرانسوا جاكوب كلّ نظرية علمية محكوم عليها إن عاجلا أم آجلا بأن تعوّض بواسطة أخرى من شأنها تفسير جوانب أخرى من الظواهر. إنّ النظريات تتناسخ في حين يظل الموضوع نفسه.

وعطفا على ماسبق، هناك حاجة متزايدة وملحة إلى زيادة نشاط الترجمة والتأسيس لها بوصفها صنعة لها دورها في تطوير المجتمعات والرقي بها، فهي قناة نابضة تربط بين الأنا والآخر، وتكشف الاختلاف وتوظّفه لبناء ثقافة الأنا وتطويرها لتواكب ركب التقدّم

و التمدّن، فأكثر الشعوب التي تحيىا في رخاء اقتصادي هي تلك التي تترجم أكثر من غيرها، ولن يتأتّى لها هذا إلاّ إذا سار التكوين في اطراد مع متطلبات سوق العمل، تكوين قوامه تطوير الكفاءات و تنميتها، ونزوع إلى الجودة في المنتوج إذا ما وُضع على محكّ التقييم و التقويم .

وصفوة القول إنّ توجيه العناية في الجامعات إلى درس علم المصطلح في تكوين الطلبة وأهمية هذه القاعدة والأرضية الأساسية للمتعلم في حقل الترجمة، وذلك بالوقوف على التراث وما قدّمه من مصطلحات لفروع معرفية كثيرة جدّا ظلت اللّغة العربية تشتكي فيها من انعدام المقابلات، ودراسة علوم المصطلح والمصطلحية واستعراض تجارب الآخر في هذا المجال للاستفادة من تطبيقاتها على اللّغة العربية والترجمة أيضا، والتخفيف من التشظي المصطلحي وتعدّد أبنيته وصوره من مستعمل إلى آخر "فالذين يأخذون من الثقافة الفرنسية يلتزمون منهجا معينا يختلف عن منهج أولئك الذين يأخذون من الثقافة الإنجليزية "[19] إضافة إلى تباين مواقف العاملين في هذا الحقل في الوسيلة الأنسب لنقل المصطلحات بين إحياء التراث و إحياء المصطلحات قديمة أو خلق مصطلحات جديدة باستخدام آلية من آليات وضع المصطلحات.

وإذا كانت الترجمة مجازا الوجود باستمرار، ورسما لمعالم حركيته، وإذا كانت أيضا حركة في فضاء الفكر والتفكير؛ فإنّ تكوين المترجم لابدّ أن يصبّ في هذه الدائرة المضيافة التي تمنحه موقعا نديا بالعلاقة مع النص الأجنبي."فإذا كانت سمة النصّ الأصل أحاديته الشحيحة؛ فإنّ المترجم كريم ومضياف يتقاسم ثقافته ولغته وجسده مع الأجنبي باعتباره ضيفا ممكنا ودائما على رحابة لغته وثقافته"[20] فيمدّ بذلك جسورا حضارية عابرة للحدود تتنفس من خلالها الآداب لتتلاقح، وإن كانت بعض المؤسّسات تَهمش بعض الترجمات خدمة لمآرب معينة.

الهوامش:

[1] عبد السلام بنعبد العالي، **في الترجمة** ،دار توبقال للنشر ، المغرب، ط1،2006، ص22

[2] حفار عز الدين، العلاقة بين علم المصطلح واللسانيات التقابلية والترجمة ، مجلة التعريب ع43، ديسمبر2012،ص127

[3]مانويل سيليو كونسيساو ، المفاهيم، و المصطلحات و إعادة الصياغة ،ت: محمد أمطوش ،عالم الكتب الحديث، الأردن ،2021 ،ص\8

[4]المرجع السابق ،ص 9

[5]محمد الديداوي، **الترجمة و النواصل، دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح و دور** المترجم، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1،2000، ص48

[6]بن نعمر بوخضرة، إشكالية المصطلح في الترجمة، مجلة مقاليد ،العدد 1 ،جوان 2011، ص29

[7]ينظر: يوسف أوغليسي ،**إشكالية المصطلح**، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت، ط1، 2008 ص55

[8]عبد العلي الودغيري، **قضايا المصطلح اللغوي، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي**، منشورات عكاظ، الرباط، 1989، ص288

[9] مصطفى طاهر الحيادرة، **من ثضايا المصطلح اللغوي**، الكتاب الثاني ،نظرة في توحيد المصطلح و استخدام التقنيات الحديثة لتطويره، عالم الكتب الحديث، الأردن،2003 ، ص47

[10]محمود فهمي حجازي، **الأسس اللغوية لعلم المصطلح**، مكتبة غريب، القاهرة، دت، ص13

[11]محمد الديداوي، **منهاج المترجم بين الكتابة والإصطلاح والهواية والاحتراف**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1،2005، ص122

[12] Ullmann ;Stephen ;*Meaning and style* Oxford 1973 pp57 58

[13] سويسي محمد، **لغة الرياضيات في العربية**، دار القلم، تونس، 1989، ص11

[14]محمد الديداوي، **منهاج المترجم**، ص 123

[15] محمد رشاد الحمزاوي، **المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها**، دار الغرب، بيروت، 1978، ص60

[16] علي القاسمي، **علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية**، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2008، ص122

[17] مهدي صالح سلطان الشمري، **في المصطلح ولغة العلم، كلية الآداب**، جامعة بغداد،العراق،2012، ص 102

[18]جون كلود جيمار، هل الترجمة ممدنة، وظائف الترجمة و درجة التمدن، تـ:د/لحسن الكيري، مجلة ميتا المجلد35، ع1، مارس 1990، ص247

[19] مصطفى طاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللغوي، الكتاب الثاني، ص55 مثال على ذلك ترجمة كتاب دي سوسير

[20] محمد حيدر، **في ممارسة الترجمة**، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق/2013، ص75.

دراسة في بعض التكافؤات الترجمية من وجهة نظر فعل التلقي

بقلم: د. بصافي رشيدة ج. أحمد بن بلة، وهران1 معهد الترجمة

ملخص باللغة العربية: يطرح مفهوم المقال إشكالات نظرية وابستيمولوجية وثقافية متعددة ومتداخلة، منها التمييز بين النصّ واللانصّ، وإشكالية معايير التمييز بين أنواع النصّ وأجناسه. وفي حالة الاتفاق على محددات للنص، فإن هذه المحددات تختلف من نظرية إلى أخرى، وتتغير من ثقافة إلى أخرى. إضافة إلى ذلك، إن وجود النصّ يتشكل في وضع معرفي بيني، فهو من جهة يقترن المفهوم بنظرية ما أو بنموذج ما أو بمنهج ما، ومن جهة الممارسة يقترن بالإبداع وبتحققات نصيّة مختلفة في أشكال تعبيرها وأجناس خطابها، وبالتالي يظلّ وجوده محكوما بمنطق التجاذبات بين النظرية والإبداع بين النموذج والنسخة. ونتيجة ذلك فإنّ مفهوم النصّ من حيث هو موضوع تفكير وتأمل يتصف وضعه النظري والمعرفي بأنّه " إشكالي".

إذ لا يستقر على مفهوم واحد، قارّ، ولا يخضع لحدود نهائية، نظرية أو إجرائية، لأنّه لا يتقيد بمرجعية أحادية؛ بل يتشكل في صيرورة هجرة النظرية وتحولاتها المعرفية والاجتماعية وتداخل العلوم الإنسانية. إنه إذن حقل معرفة متداخلة ومتحولة، ولذلك فإن أيّ محاولة لتحديد مفهوم النصّ، من الوجهة الابيستيمولوجية، ينبغي أن تحقق درجة معقولة من الملاءمة بصياغة نظام من التماسك والانسجام بين محددات النصّ ومرجعياته المتعددة.

وقد حاولت عدّة نظريات تقديم مقترحات واستراتيجيات لتفسير وإضاءة الوضع الإشكالي لمفهوم النصّ. وفي هذا السياق تكوّنت علوم عديدة حول مفهوم النصّ مثل علم النصّ ولسانيات النصّ والسيميائيات النصّية والعلوم المعرفية والتأويليات...الخ، يمكن أن نصنّفها في نموذجين على مسافة متواترة من التباعد والاختلاف:

أوّلا نموذج المحايثة، ويشمل النظريات التي سعت للتنظير للنص، انطلاقا من خصائصه المحايثة ومكوّناته الداخلية. ويتضمن عدّة اتجاهات نذكر منها النظريات الشكلانية والبنيوية والتفكيكية والسيميائية.

الكلمات المفتاحية: علم الترجمة النظري- ازدواجية اللّغة- أصول الكلمات- المبدأ اللغوي الشكلي- المبدأ الثقافي الدلالي- مبدأ التكافؤ الديناميكي- المبدأ التأويلي- مبدأ تحليل النصّوص- نظرية التأويل- الوظيفة المرجعية.

ABSTRACT :

Le contenu du texte soulève de multiples problèmes théoriques, épistémologiques et culturels, entre autres la différence entre le texte et le non- texte et aussi la problématique des degrés de différences entre les types de textes et leurs natures.

Et dans le cas de concordance sur les critères du texte qui se différencient d'une théorie à une autre et changent d'une culture à une autre, faut- il encore ajouter que l'existence du texte dans le cadre de savoir est lié à une théorie, un type, une méthode et ceci d'une part. Et d'autre part la pratique est-elle liée aussi à la créativité textuelle dans ses manières d'expression - ainsi sa présence est nouée aux attractions entre la théorie et la créativité, le prototype et la copie.

Résultat de tout cela est que le contenu du texte et le domaine de la pensée et de la réflexion restent liés.

Mots clés :

Traductologie - Bilinguisme – Etymologie - Formal Linguistic Method - Ethnographical Semantic Method - Dynamic equivalence method - The Hermeneutic Method - The Text Analysis Method - Théorie de l'interprétation - Referential Function.

لا شك أنّ الحديث عن حقل الترجمة من الوجهة التنظيرية، هو حديث عن التقاطع المعرفي الحاصل بين حقل اللسانيات بوصفه حقلا معرفيا متكاملا، والترجمة بوصفها ممارسة تقنية تقوم على مهارات فنية. تلك المهارات التي أرادت أن تأخذ لنفسها الشرعية العلمية والمعرفية بغية تأمين عملية الفعل الترجماتي. ويزداد الأمر حرصا على الموضوعية والأمانة في مجال ترجمة النصّوص المقدّسة. وهكذا استثمرت الترجمة الأسس والمفاهيم العلمية من حقل اللسانيات، فأفرزت ما أصبح ينعت في الدراسات الترجمية بـ: نظرية الترجمة أو علم الترجمة النظري (Traductologie).

وإذا كانت الترجمة قد أتاحت لنفسها الظهور في ساحة البحث اللساني بصفة نظرية؛ فإنّ اعتمادها على القضايا والأبحاث اللسانية ظل ملحوظا في السنوات الأخيرة من هذا القرن، وعلى رأسها تأتي قضية ازدواجية اللّغة (Bilinguisme) والحث في أصول الكلمات(Etymologie). يذكر (مونان) (Mounin)، خمس نظريات: هي لكل من

(ولبارمارشال إيربان) (W.M.Urbain)، و(إيجان نيدا) (E.Nida)، و(فيناي ودار بيلي) (Vinayet Darbelnet)، و (فيدوروف) (Fedorov)، و(جون كاتفورد) (J.C.Catford)، وعلى غرار (مونان) أجرى (إيجان نيدا) تقسيما لنظريات الترجمة على حسب ما هو موجود في النظرية اللّغوية والنظرية الاجتماعية اللّغوية، ولكن يمكننا أن نحدد على خلاف ذلك أربع نظريات ضمن التقسيم الذي يقوم به (تشاو) لارتباط هذا التصنيف بالموضوع المراد معالجته، من حيث إنّ تصنيف (تشاو) (Chow) [1] يرتبط بموضوع تعليمية الترجمة، وهذه النظريات هي : النظرية القواعدية، والنظرية الثقافية، والنظرية التفسيرية، ونظرية أنواع النصّوص.

1- نظرية الترجمة القواعدية والضابط التواصلي:

يعتقد روّادها بأنّ "الترجمة عملية لغوية وحسب، وضمن هذا الإطار ينظر إلى اللّغة على أنّها قواعد وإلى الترجمة على أنّها ليست أكثر من استبدال القواعد والمفردات في لغة بقواعد ومفردات في لغة أخرى"[2]. وعلى هذا الأساس تهتم هذه النظرية بالجانب الشكلي للّغة أكثر من المعنى ما دامت مهمتها تحويل الرموز اللغوية ابتداء بالكلمة والجملة، لذلك فإنّها تسمح بالترجمة الحرفية، دون مراعاة المميزات الثقافية بين اللغتين، ولهذا كان تعليم الترجمة في هذه النظرية مقتصرا على القواعد المقارنة بوصفها الطريقة الوحيدة المتبناة في منهج تعليمية الترجمة، وأنصار هذه النظرية كثيرون أبرزهم (بيتر نيومارك) الذي يعدّ بحق من مناصري الترجمة الحرفية، وعليه يميّز (شاو) بين مبدأين: مبدأ القواعد التقليدية (Traditional Grammar Method)، والمبدأ اللّغوي الشكلي (Formal Linguistic Method).

إذا كان هذا المبدأ بخصوصياته اللسانية والنسقية يجنح إلى منهج الدراسات اللغوية واللسانيات خصوصا أكثر من جنوحه إلى منهج تعليمية الترجمة نظرا لما يوليه من أهمية قصوى لمقارنة الأنظمة اللسانية فيما بينها، فإنّ هذا لم يمنع الاختصاصيين في حقل تعليمية الترجمة من الاعتماد عليه في كثير من السياقات. أما ما تعلق بالمبدأ اللغوي الشكلي، فقد تطوّر مع التطور الذي حدث للغويات البنيوية[3]، ممّا يضفي على هذا المبدأ طابع الوصفية العلمية على خلاف تقريرية المبدأ القواعدي، وما من شك في أنّه يستقي مشروعيته العلمية من حقل اللسانيات البنيوية التي أرسى دعائمها (دي سوسير). حيث يسعى هذا الأخير إلى وصف الأجزاء اللّغوية ومستويات اللّسان البشري اعتمادا على التحليل البنيوي لكلّ من علم الأصوات (Phonétique)، وعلم الصرف (Morphologie)، وعلم التركيب (Syntaxe).

ويركز هذا المبدأ على مفهوم اعتباطية العلامة اللّسانية أي تعذر وجود علاقات سببية تطابقية بين الوحدات القواعدية للغة وبين معانيها، وذلك طبقا للبعد الاصطلاحي للّغة (Convention) والذي تسلم به هذه النظرية. ويذهب أنصار هذا المبدأ في ضوء مفهوم اعتباطية العلامة اللسانية إلى حدّ التأكيد بأنّه لا يوجد هناك تكافؤ دقيق بين اللغات[4] نظرا لاختلاف الثقافات والذهنيات الاجتماعية التي أفرزتها، ويمثل هذا الاتجاه بخاصّة (كاتفورد) الذي يعرّف الترجمة بأنّها: "استبدال قواعد ومفردات اللّغة المصدر بما يكافئها من قواعد ومفردات اللّغة الهدف مع استبدال أصوات وكلمات اللّغة المصدر"[(5)].

2- **النظرية الثقافية والضابط التواصلي:** ترى هذه النظرية أنّ "اللّغة هي الثقافة، وأنّ الترجمة هي وصف وشرح رؤية العالم عند شعب ما لشعب آخر"[6]. ولا شكّ أنّ هذه النظرية تستمد أصولها المرجعية من فرضية (إدوارد سابير و(بنجامين وورف) (Sapir et Whorf) التي تقول بنسبية اللّغات، انطلاقا من أنّ خصوصية كلّ لغة ترتبط برؤية مختلفة عن العالم وطريقة خاصّة في تحليل التجربة، ووفقا لذلك فإنّ "الترجمة عملية نقلية بين الثقافات تسبب مشاكل عويصة كثيرة للمترجم ينتج معظمها عن مشاكل الفوارق الثقافية الكثيرة بين اللّغتين المعنيتين، وهي تنجم عن الخلافات في الجوانب البيئية والاجتماعية والسياسية والإيديولوجية والدينية لحياة الثقافتين"[7].

ومن هذا المنطلق، فإنّ الترجمة تتعدى هنا حدود السياق اللّغوي إلى السياقات الثقافية والحضارية على الرّغم ممّا في هذا الطرح من مخاطر على الترجمة من حيث إنّ المرء لا يستطيع ضمن حدوده التعليمية الإلمام بكل المعطيات الثقافية للمجتمعات، وقد نلاحظ صعوبات ذلك في الأمثلة التي سنتعامل معها قريبا في ضوء الفعل التلقي عن طريق ما سمّي بالتكافؤات الترجمية من منظور تصور عربي.

وتجدر الملاحظة إلى أنّ النظرية الثقافية تميّز بين مبدأين أساسين في عملية النقل هما: المبدأ الثقافي الدلالي (Ethnographical Semantic Method)، حيث تفطن أصحاب هذا المبدأ إلى "المصاعب التي تواجهها الترجمة بين الثقافات فأوجدوا العديد من الطرق مثل التحليل التكويني حول الملامح الذي ينتهج طريقة لتقييم الكلمات الفردية، حيث يساعد المترجم بتزويده حدسا حول الملامح المميزة التي تستند إليها الخلافات بين كلمات متكافئة ظاهريا في لغتين"[8]. أمّا ما يتعلق بتعليم الترجمة انطلاقا من النظرية الثقافية، فيركز أنصار هذا الاتجاه على مدى إدراك درجة الحساسية تجاه العناصر الثقافية المميزة من لغة إلى لغة، وتلك التي تكون محددة في قوائم مفرداتية وأنظمة مصطلحية يتعيّن على معلمي الترجمة إحصاؤها في تمارين دلالية معروفة.

ولعل خير دليل أو مثال على ذلك، المفردات التي تدلّ على الألوان والتي قد تختلف من لغة إلى أخرى، فضلا على أنّ هناك بعض اللّغات لا تملك مفردات للتعبير عن ألوان موجودة في لغات أخرى، "فعلى سبيل المثال قولنا: (إيفي) (Ewe) لغة إفريقية لا يوجد فيها كلمة محدّدة اللون الأصفر لذلك يميل المتحدثون بتلك اللّغة إلى اختراع مركب مثل-ورقة ناضجة- للدلالة على هذا اللون"[9].

أ- **مبدأ التكافؤ الديناميكي** (Dynamic equivalance method): وهو أقرب ما يكون إلى مفهوم الترجمة الحرّة، وقد كان أوّل من أشار إلى هذا المفهوم هو (كور) (Caur) سنة 1972 بمصطلح مبدأ الاستجابة المكافئة، في حين سمّاه (نيدا) (Nida) بمبدأ التكافؤ الديناميكي. ويذهب أنصار هذا المبدأ إلى أنّ هناك عدة روابط مشتركة بين اللّغات على الرّغم من تباين الثقافات والحضارات، ومن ثمة فالقول بالتكافؤ الديناميكي معناه تكافؤ التأثير والاستجابة لدى دارسي الترجمات بين اللّغتين المصدر والهدف، انطلاقا من الوظيفة التواصلية للترجمة "ووفقا لهذا المبدأ فإنّ الناتج النهائي ليس رسالة أخرى بل أقرب مكافئ طبيعي، فبدلا من التركيز على الخلافات الثقافية وعلى علم الثقافة المقارن يركز هذا المبدأ على استجابة القرّاء. وينبغي على النصّ الهدف أن ينحصر في قارئ اللّغة الهدف استجابة مكافئة لما فعل نص اللّغة المصدر بقارئه"[10].

وتماشيا مع ما يقتضيه الضابط التواصلي في علاقته بالجانب الثقافي الكائن بين اللّغتين، لا ضير من أن نسرد بعضا من المحطات التي نعتقد أنّها تجسّد لنا مدى عمق التجاور والتحاور القائم بين النظرية الثقافية والنظرية التواصلية فيما يخص النصّوص التي يتعامل معها المترجم.

ب- **اللّغة مظهر الحضارات والثقافات:** حينما يعبّر المفكّر العالم أو الفيلسوف عن رأيه، فإنّما يعبّر عن رأيه ذلك بحسب قواعد ثابتة أو منطق متّسق، أمّا الأديب، والشاعر من الأدباء، على الأخصّ، فإنّه يُعير جمال التعبير اهتماما أكبر من اهتمامه بدقة التعبير. إنّ الشاعر خاصّة يحبّ الصورة الجميلة أكثر من حبّه للحقيقة الثابتة، ثم هو يحبّ -بخلاف ما يحبّ العالم- أن يكون تعبيره عن الحقيقة الواحدة أو الشعور الواحد أو المنظر الواحد أو الرغبة الواحدة في صور مختلفة. إنّ الأدب حلية من الحلي: إنّه زينة للحياة الإنسانية[11].

إنّ العقول والألسن تتلاقى في ميادين الحضارة والثقافة، فإذا لم يكن الإنكليزي والفرنسي قد أخذا من العربية والعربي، فإنّ للعربيين فضلَ السبق في ذلك، ولا أُحيل أن يكون الجاحظ وزرقاء اليمامة قد عرفا ما قالاه من الفرس أو من الروم مثلا، ولكنّهما

يكونان قد استدانا شيئا من رجل قديم ثم وفيا أحفاده ذلك الرجل القديم ما كان قد استداناه من قبلُ. فأين تلتقي ثقافيا - يا ترى- زرقاء اليمامة والأدب الغربي؟، وأين يلتقي في الوقت نفسه بخيل (موليير) (Molière) والأدب العربي؟ وما موقع العالم الألماني (غوته) (Goethe) ثقافيا من الدين الإسلامي؟ وهل نستطيع أن نجد قاسما مشتركا ينم عن البعد الثقافي بين شعرائنا وشعرائهم؟[12].

ج- **زرقاء اليمامة وشكسبير:** إنّ أدنى تأمل في مسرحية مكبث لـ (شكسبير) (Shakespeare) يهدي بالمتمعن إلى أنّها تعكس عقدة بارعة في قول السّاحر لـ: مكبث، إنّه لن ينهزم بحال من الأحوال حتى تسير غابة بيرنام نحو دونسياين، حينها يطمئن مكبث إلى هذا القول. وفي أحد الأيام يدخل حارس على مكبث ويخبره بأنّه قد شاهد غابة بيرنام تتحرّك مسرعة في اتجاه دونسياين. وتحلّ العقدة بأنّ جنود خصومه أرادوا خديعته فحملوا على إثرها أغصان أشجار وساروا بها[13].

هذه الخدعة التي نجدها مجسّدة في الأدب الغربي على لسان الأديب الشهير شكسبير، إذا ما نظر إليها المترجم من زاوية ثقافية بما تعكسه من عادات وتقاليد وجد ما يقابلها في الحسّ والشعور بتلك الخدع الكائنة في الروايات الجاهلية عن زرقاء اليمامة؛ ومفاد هذه القصة[14] أنّه كانت امرأة صحيحة البصر تبصر – فيما زعم القوم- من مسيرة ثلاثة أيام. ولقد أنذرت قومها ذات يوم بأنّ غابة تسير في اتجاههم فلم يصدّقوها، وبعد ثلاثة أيام فاجأهم أعداؤهم بجيش كثيف وانتصروا عليهم؛ فأصبحت تطلق هذه الخدعة التي لم يتوقع أهلها على معنى أو حادثة زرقاء اليمامة. وهي تتناسب طرديا مع حادثة شكسبير بحكم أنّ القاسم المشترك يجمع القصتين ثقافيا واجتماعيا؛ إذ هناك نواميس مبثوثة في الوجود الإنساني لا يستطيع الإنسان مهما كان نوعه أو جنسه أن ينسلخ عنها جملة وتفصيلا.

د- **بخيل موليير وبخيل الجاحظ:** وللروائي الفرنسي الشهير موليير عقدة يعرفها أهل الاختصاص وذلك في مسرحيته الموسومة بـ: البخيل، ومفاد هذه القصة كون أنّ ابن (هارباغون) (Harpagon) كان يحصي تركة أبيه فوصل إلى غرفة الطعام فوجد فيها قطعة جبن مقروضة من أطرافها؛ فوقف حينها مستغربا، فقيل له: لماذا تستغرب من ذلك؟ قال: كان أبي مسرفا يقرض الجُبنة قرضا. فسئل: وما كان عليه أن يفعل؟ فأجاب: كان يجب أن يمسح على قطعة الجبن بقطعة من الخبز[15].

إنّ المترجم عند تلقيه لهذه العقدة القائمة على خلفيتها الثقافية الغربية، يدرك لا محالة بأنّ لها ما يبررها ثقافيا في التراث العربي، وذلك في كتاب البخلاء للجاحظ

الذي عاش قبل موليير بثمانية قرون وبضعة قرن. فهو يبين هذا البعد الذي يعكس من زاويته المعرفية خلفية ثقافية تقترب من الواقع الغربي، فيقول فيما معناه إنّه كان ابن البخيل يحصي ما تركه له أبوه فوقف عند قطعة من الجبن يتأمّل في خطّ عميق فيها. فقيل له: ما وجه الاستغراب؟ قال: كان أبي مسرفا يمسح الجبن بخبزته، فقيل له: وما كان عليه أن يفعل؟ فقال لهم: كان يجب أن يقف بعيدا ثم يشير بلُقمة الخبز إلى قطعة الجبن[16]. الأمر الذي يؤهّل المترجم أن يحقق تواصلا بين الثقافتين -النصّين- بحكم أنّ الحادثة واحدة على الرّغم من اختلاف المنبعين أحدهما غربي والآخر عربي.

إذاَ، ما يمكن قوله لا يوجّه أساسا في كون أنّ شكسبير قرأ الشعر الجاهلي أو موليير قرأ عصر الجاحظ وغيرها من الأحكام، ولكن القول المنطقي المنهجي هو إنّ العقول والألسن تتلاقى وإنّ الحضارات تتجاور وتتحاور، ولكنّ الفضل للمتقدم على كل حال. والمتقدّم هو الذي يعطي المتأخر، ونحن أعطينا-على حد تعبير عمر فرّوخ- ولا فضل لنا في العطاء لأنّنا كنّا قد أخذنا أيضا، غير أنّ الرّغبة في العطاء أعظم قيمة من العطاء نفسه، وعليه استوجب من المترجم أن يبذل جهده عن طريق فعل التلقي لتبيان هذا العطاء المعرفي الثقافي وهو يتقاطع بين عالم النصّوص. إذا كانت النظرية الثقافية تركز بصفة عامّة على نقل النظام الثقافي من منظومة لسانية إلى أخرى، فإنّها تأخذ أكثر دقة مع هذا المبدأ من حيث تركيزها على السياق الثقافي وما يتعلق به من خصوصيات اجتماعية وفكرية وهلمّ جرّا.

وأبعد من ذلك أنّنا نجد الضابط التواصلي في علاقته بالخلفية الثقافية القائمة بين النصّين اللذين يقتحمهما المترجم على نية تجسيد عملية نقلية يحاول فيها بكل ما أوتي الحفاظ على خصوصية النصّ الثقافية، يأخذ بعده التواصلي من بابه الواسع عندما يتعامل المترجم مع نصوص الأمثال التي لربّما وجد فيها لا من حيث الشكل ولا المضمون ما يميّزها في عملية النقل عن طريق إشكالية إيجاد المكافئ الترجمي لا من حيث الصيغة ولا ما تحويه الصيغة من أبعاد معنوية، الأمر الذي جعل من ترجمة الأمثال تصعب على كثير ممن يمارسون الفعل الترجمي بحكم أنّ نص المثل له عالمه الخاصّ الذي ينتمي إليه.

3-**النظرية التفسيرية والضابط التواصلي:** مع انتقال الدراسات اللّغوية من مجال اهتمامها باللّغة والنظام اللساني إلى ظاهرة الكلام والإنتاج الكلامي، شاع نموذج النصّ في الدراسات المعاصرة وبخاصّة مع منتصف السبعينات، حيث ظهرت عدة نظريات من مثل: نظرية النصّ، ولسانيات النصّ، والسيميائيات وغيرها، وكانت من الاتجاهات التي تناولت بالدرس النصّ كوحدة أساسية بالتحليل مع مقارنة المعنى فيه بالسياق اللغوي والاجتماعي، ثم ضرورة الأخذ بعين الاعتبار إنتاج النصّ التي يشغل فيه القارئ نصيا وافرا،

و حيث تعدّ "الترجمة في الأساس عملية نص لنص، وليست بين لغتين أو بين ثقافتين ...، ومهمة المترجم ليس مطابقة رموز النصّ الأصلي مع رموز النصّ الهدف، ولكن لتفسير النصّ الأصلي أي إعادة تركيب معناه أولا ثم نقله إلى قارئ اللّغة الهدف"[17].

أضف إلى ذلك أنّ عملية تلقي النصّ عن طريق فعل التفسير تجعل المترجم يركز أساسا على مقارنة المعنى بالسياق اللغوي والاجتماعي، لتخلص في آخر المطاف إلى تحديد وتصنيف النصّوص ضمن أنواع مختلفة ومتباينة. وتستند هذه النظرية على مبدأين أساسين هما: مبدأ تحليل النصّوص(The Text Analysis Method)، والمبدأ التأويلي (The Hermeneutic Method).

أ-مبدأ تحليل النصّوص(The Text Analysis Method): يستند هذا المبدأ إلى نظريات لغويات النصّوص كما يستفيد من حقوق أخرى مجاورة مثل الذرائعية وعلم اللّغة الاجتماعي في دراسة المعنى والسياق النصّي على لسانيات النصّ والذرائعية أو البراغماتية أو التداولية (Pragmatisme)[18] وعلم اللّغة الاجتماعي والنقد الأدبي والأسلوبية وعلم البلاغة ونظرية الاتصال، وهو لا يُسلم بمعنى الوحدات اللّغوية كالكلمة والجملة على انفراد، بل يترجمها بحسب دلالاتها في السياق العام للنّص.

وبهذا يكون السياق هو الضابط الأصلي لتحديد هوية النصّ، فالتمييز بين النصّوص وتصنيفها يفضي إلى تسهيل عملية الترجمة وتنظيم مبادئها وإجراءاتها وفق أنواع النصّوص المراد ترجمتها، وبالتالي إمكانية قابليتها أو غير قابليتها للترجمة. فعلى المرء " أن يعامل النصّ ككلّ على أنّه وحدة للترجمة؛ فإنّ المرء لا يستطيع أن يترجم كلمات أو جملا متفرقة إلاّ إذا كانت جزءا من خطاب كامل، والذي بدوره ينحصر في سياق حال أكثر عموما، وعن طريق درس السياق اللّغوي يمكن إعادة خلق السياق والحصول على قراءة شاملة للنص"[19].

ومن هذا المنطلق اكتسب حقل تعليمية الترجمة سهولة بيداغوجية إزاء هذا التنظيم العملي، ممّا قد يفضي إلى إمكانية انتقاء نوعية النصّوص ومدى ملاءمتها لتعليم الترجمة. ولا شك أنّ هذا المبدأ الذي تستند عليه النظرية التفسيرية يكون أكثر تطورا وإفادة في حقل تعليمية الترجمة على غرار النظريتين القواعدية والثقافية"...ومن أجل تعليم الترجمة لا بد من التدريب على اكتساب حساسية اتجاه استعمال اللّغة، وملاحقة الأدلة الخلفية والكتابة بأساليب مختلفة وأنواع نصوص مختلفة"[20].

ب- المبدأ التأويلي(The Hermeneutic Method): وهذا المبدأ يختلف عن المبدأ السابق، وحتى عن المبادئ السابقة، لأنّه"لا يستند على الاتجاهات الجيدة في علم اللّغة أو

أي حقول ذات علاقة به، بل يرتبط بمدرسة فلسفية ألمانية ألا وهي -التأويلية الوجودية- وهي المدرسة نفسها التي تضم كلاً من "هايدجر" (Heidegger)، و"هنس جورج جدامار" (Gadamer)، حيث يذهب أصحاب هذا المبدأ إلى ضرورة تتبع المعنى لا داخل النصّ فقط وإنّما خارج إطار النصّ على اعتبار أنّ النصّ هو خطاب يحوي منطوقات (Enoncés)، وعليه فإنّ "إرجاع النصّ إلى مجرد كومة رموز لا عمق دلالي وراءها، هو منهج مادي ساذج يريد أن يناقض المنهج التجريدي الساذج، كذلك الذي يجرد عالم الدلالات بمعزل عن النصّ وسياقه الحيوي...وكلا المنهجين تتجاوزهما نظرية التأويل"[21].

و لعل ما يستدعي التريث في هذا المبدأ التأويلي بالذات، هو كيف يلتقي هذا المبدأ مع الضابط التواصلي، أو بعبارة أخرى هل بمقدور المترجم أن يجسّد هذا المبدأ بعيدا عن الخلفية المعرفية التي تأسس في ضوئها حتى أصبح نظرية مستقلة في حدّ ذاتها وهي ما تنعت اليوم بـ: نظرية التأويل(Théorie de l'interprétation). إذاً لا ضير من أن نفرد وقفة وجيزة حول هذا المبدأ من حيث التأسيس والتأصيل لننظر في نهاية المطاف أنّ هذا المبدأ يتنازعه إجراءان اثنان يصبان في عمق البحث الترجمي و هما: الفهم (Compréhension)، والتفسير(Exégèse)، الشيء الذي يجعلنا فيما بعد ننظر ما الذي تكون له الأسبقية في تحقيق عملية تواصلية بين النصّوص هل الفهم أو التفسير أو التأويل؟...

و الجدير بالذكر أننا نبتغي صيغة فن التأويل لترجمة كلمة (Herméneutique) تمييزا لها عن"التأويل"بمعنى(Interpretation)، إذ الملاحظ أنّ البعض يفضل تعريبها بـ:علم التأويل[22]، ويفضل البعض الآخر تعريبها بـ"التأويلية" أو أيضا بـ"الهيرمنيوطيقا"[23]، بحكم أنّها أقرب إلى روح الكلمة نفسها، فهناك دوما كلمات هي في عداد المتعذّر ترجمته.

وتتضمن كلمة(Herméneutiké) بالإغريقية في اشتقاقها اللغوي على كلمة (Tekhné) التي تحيل في الأصل إلى معنى الفن، بمعنى الاستعمال التقني لآليات ووسائل لغوية ومنطقية وتصويرية واستعارية ورمزية[24]. وبما أنّ الفن كآلية لا ينفك عن الغائية (Téléologie)، فإنّ الهدف الذي لأجله تحبّذ هذه الوسائل والتقنيات هو الكشف عن حقيقة شيء ما، وتنطبق جملة هذه الوسائل على النصّوص قصد تحليلها وتفسيرها مع إبراز القيم والحقائق التي تختزنها والمعايير والغايات التي تحيل إليها. وعليه فإنّ مفهوم "الهيرمنيوطيقا" لا يخرج عن تأويل وتفسير وترجمة النصّوص.

والتأويل عبارة عن فن على حد تعبير "شلاير ماخر" (Schleir Macher)[25] يتم عن طريق الاشتغال على النصّوص قصد تبيان بنيتها الداخلية وكذا الوضعية ووظيفتها المعيارية والمعرفية، والبحث عن حقائق مضمرة في واقع النصّوص، وربّما المطموسة لاعتبارات تاريخية وإيديولوجية، ما يجعل من فن التأويل يلتمس البدايات الأولى والمصادر الأصلية لكل تأسيس معرفي أو برهاني أو جدلي، مما يؤهّل من "الفهم عندما يعمل لا يغلو فقط أي لا يقول رموزا، وإنّما هو يؤوّل. أي أنّه يبحث عما هو أول في الشيء، هما الأساس والأصل"[26]، فهو يحفر في طبقات النصّوص المترسبة والمتراصّة أي في ذاكرة التراث الإنساني قصد الكشف عن حقائق دفينة وغابرة، وفتح أقفال الكنوز المطمورة في عالم النصّوص على اختلاف أشكالها وأنواعها.

ثم إنّ نظرة عجلى في لسان العرب لابن منظور تمنحنا الدلالة نفسها أي إطلاق التأويل على معنى المرجع والمصير المأخوذ في الغالب من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه[27]. وعليه تجب في اشتقاقات كلمة تأويل الآل بمعنى عمد الشيء الذي يستند عليه، والآل بمعنى السراب، والقيمة الدلالية و الأنطولوجية التي نمنحها إلى الآل أي السراب، على أساس أنّ الأصل الذي تؤول إليه الأشياء والذي يبحث عنه التأويل عبارة عن لحظة تأسيسية متعددة الأوجه، أو هو حقل تجوبه جملة العلاقات الاختلافية و الاستعارية دون إرجاع الأشياء إلى قيم متعالية أو أصل مطلق، بحيث يصبح المعنى المكتشف مجرّد دلالات نسبية صارمة في فحص النصّوص وقراءة التراث.

ومما يستدعي التريث في شأن علاقة التأويل بواقع النصّوص أنّ مواجهة سلطة القراءة الأحادية للنص سمحت لـ"فلهالم دلتاي"(W. Dellthey)بتأسيس مبدأ حديث في فن التأويل قائما فيما معناه أنّه ينبغي أن نفهم النصّوص -على حدّ قوله- انطلاقا من النصّوص نفسها وليس اعتبارا من المذهب الذي تنتمي إليه، بحيث لا يوجّه المذهب النصّ، وإنّما يستقل هذا الأخير بحقيقته عن كل توجّه يسجنه ضمن إطار خاص[28]، وعليه فإنّ الفهم لا يستند في هذا المقام على الجانب التفسيري اللاهوتي في معالجة النصّوص، بل يعتمد أساسا على التطبيق المنهجي لقواعد التأويل من لغة ونحو ومنطق وترجمة، وهو ما يمكن تسميته بالتأويل المجسّد أو المطبّق (Interprétation appliquée).

إذاَ يدعو التأويل المطبّق إلى تشكيل وعي تأويلي قوامه ذلك الحس التاريخي والنقدي الذي يتحلى به المترجم وهو يتناول موضوعات وخصائص النصّوص، وذلك قصد أصولها واكتناه تراكيبها، وهو ما يسميه "غادامير" بالوظيفة الفعلية للتاريخ (Wirkungsgeschichte)[29]، بمعنى تطبيق الدلالات التي تكشف عنها حقائق التاريخ

والتراث على اللحظة الراهنة، وهو ما أشار إليه الناقد "ياشارساغائي" قائلا: "يتخذ الفهم دوما دلالة التطبيق لأنّ التأويل الذي تمارسه في حق التراث يرتبط دوما بالسؤال الذي تطرحه أي مشكلاتنا الخاصّة وإمكانية أن يقوم النصّ المقروء إجابة لهذه المشكلات"[30].

غير أنّه لتجسيد التواصل الترجمي في علاقته بالإجراء التأويلي، تعترض المترجم قضية ليست بالأمر الهين والقائمة أساسا على ثنائية الفهم والتفسير،على أساس أنّ المترجم عندما يتعامل مع الإجراء التأويلي (Interprétation)، فإنّه يولي اهتمامه إلى الفهم ثم التفسير وهما شيئان يتنازعان بعضهما البعض مع التأويل، وعليه من تكون له الصدارة. و يا ترى: هل الفهم والتفسير ثم التأويل؟ أم أن التأويل يكون في المرحلة الأخيرة عندما يصل كل من الفهم والتفسير إلى حالة تؤهّل الإجراء التأويلي لأن تكون له القدرة المعرفية والمنهجية في اقتحام أبعاد النصّ، وهو ما يمكّن المترجم حينها من القبض على دلالات النصّ فتسهل عليه عملية النقل؟

يهتم "ريكور" (Ricœur) باللّغة في عملية الاشتقاق عندما يرى بأن الفهم (Compréhension) يقوم أساسا على إدراك شامل وجماعي لشيء ما وهو لا يخرج، من حيث الإجراء المطبّق على واقع النصّوص، عن مبدأ ما يسمى في حقل اللسانيات بالسّاكروني (Synchronique) أكثر منه الدياكروني (Diachronique)، الأمر الذي جعله يعتقد أنّ العلاقة بين التفسير والفهم في معناها الأنطولوجي لا تخرج عن المجاوزة، وذلك انطلاقا من نسق العلامات المغلق أي ما له علاقة بالبنيوية أو المتعالية القائمة على مبدأ الحدس الماهوي المجرد -الفينومينولوجيا- [31].

ثم يذهب في سياق آخر إلى أنّ التفسير ليس إلا وسيطا يستعمل غالبا في عملية ربطية في فهم العلامات بفهم الذات،غير أنّه وسيط له من الأهمية بمكان باختزال الفهم إلى مجرد تفسير صحيح ومعالجة دفينة للنصوص أو الرموز أي الفهم بوصفه مسألة سطحية خارجية لا يمكن أن تلامس باطن الأشياء...يكون التفسير سابقا على الفهم ولكنّه ثانوي بوصفه تنظيما أو ربّما تنسيقا بين العلامات، الأمر الذي يؤهّل من التفسير أن يكون مجرد سميوطيقا تتأسس على قاعدة الفهم من الدرجة الأولى[32].

إنّ المترجم باعتباره مفسّرا لا يسعه أن يجعل التفاهم في المحادثة ممكنا، إلا بالمشاركة في الشيء ذاته الذي يعدّ بحق بالنسبة إليه، موضوع البحث تماما ما نجده بالنسبة للمفسّر-بكسر الراء- الذي يستوجب في عملية تفسيره أن يواجه النصّ على نية المشاركة الكلية في ما يحمله من معان[33].

إنّه الفعل النصّي أو النشاط الفعلي للنص الذي يجعل من التواصل الترجمي يجد متنفّسه الإجرائي لكي يحوّل النصّ الأصلي -المصدر- إلى نص آخر يكون في الغالب مثيلا للنص الأصلي، وهو ما يؤهّل المترجم لأن يدرك هذه الديناميكية في التحام الفعل النصّي مع الإجراء التواصلي الترجمي. و بعبارة أخرى"إنّ الذي يمكننا من التواصل عن بُعد هو مادة النصّ التي لا تنتمي إلى مؤلفها ولا إلى قارئها"[34].

و غالبا ما يبحث المترجم في استخدامه التواصل الترجمي التأويلي في ثنايا واقع النصّ عن حركة داخلية تنظم وتنسق الأثر، وعن طاقة هذا الأثر في سبق ذاته أو في بعض السياقات الاندفاع بعيدا -خارج- ذاته من أجل خلق إبداع آخر لعالم النصّ أو شيئته، وهي حركة مزدوجة دينامية داخلية و قصدية متنوعة.

و من هذا المنطلق يصبح المترجم له الشرعية المعرفية والمنهجية في أن يجعل من التواصل الترجمي التأويلي يتيح في فهم النصّ إعادة تفسيره وتنظيم فضائه الدلالي، وهنا ينتقل المترجم بالنصّ إلى تأويلية بمعنى في جدلية الفهم والتفسير على مستوى المعنى المحايث للنص[35].

لعل هذا الطرح، الذي ظاهره فلسفي غير أنّ باطنه لا يخرج عن واقع النصّ بكل ما يحمله من زاد معرفي، ينم على أنّ الارتباط بين عمليتي: التواصل الترجمي والتأويل واضح كل الوضوح، على أساس أنّ الترجمة في واقع الأمر مسعى تأويلي ليس إلا، بحكم أنّ الترجمة عملية ذهنية وإدراكية تستوجب ثقافة موسوعية واجتهادا خاصّا ومحادثة فعلية، إذ المترجم لا بدّ له، وهذا أمر لا جدال فيه، من أن يفهم النصّ فهم المستويين: الحرفي والضمني بل حتى المجازي في بعض السياقات، محاولا في الوقت نفسه إدراك أبعاده وخلفياته لاستيعابه وضبطه ثم بعدها تأويله تأويلا يتماشى ومقتضيات السياق.

و لعل ما يلفت الانتباه في هذا المقام بالذات، أنّ التواصل الترجمي/التأويلي ينبغي أن يراعي في عملية النقل التطابق بين المستويات الثلاثة: قصدية كاتب النصّ، و قصدية المؤلف، ثم قصدية القارئ الضمني، فالمترجم يلتزم بالمعنى الأول للنص المترجم وبلغة الهدف، دون إغفال متلقي الترجمة، وهو بهذا كله يفي بكل ما أوتي بتعهداته إذا أفلح في تأويله ونقل البنيات التحتية للنص والتي تتلخص في الغالب الأعم في التمكن المعقول والمقبول من المنظومة الثقافية(القيم الفلسفية والأخلاقية وجهة النظر المعبّر عنها في طيات النصّ....)، على أن يفترض من التأويل لكي يؤتي أكله في عملية التواصل الترجمي تحريك الموسوعة المعرفية لدى كل من القارئ والمترجم، وتشمل هذا الموسوعة السياق اللغوي والسردي والخطابي والنصّي و المقامي والاجتماعي والثقافي والتداولي وهلمّ جرّا،

ذلك أنّ التواصل الترجمي/التأويلي عملية معقدة، يصفه البعض بالخيانة، ويلبسها آخرون ثوب الإبداع، فهو من ثمة خيانة وإبداع في آن واحد، على أساس أنّه يتحتم على المترجم المالك لهذا الإجراء التواصلي الترجمي أن يخلق في ظلّه عالم خطاب ملائم، أو على الأقل غير متعارض مع وجهة نظر الفاعل السارد ومع النصّ الأصلي ومنسجما مع وجهة نظر القارئ المستقبل للنص الثاني والتي غالبا ما تكون نقدية[36].

إنّ التأويل يوازي الفهم، ويسبق عملية الشرح ويمهّد الطريق للترجمة، أما الترجمة فهي بالمقابل مسار تأويلي و صيرورة تحاول بكل ما تملكه من زاد معرفي أن تجمع بنية عالم الخطاب ومكوناته من سارد ومسرود له أو محدّث ومتحدّث إليه، وبين لغة الانطلاق ولغة الوصول، وبين مترجم ومتلق للنص. إنّ التواصل الترجمي/التأويلي بكل أبعاده المعرفية والثقافية حركية تناصية تربط بين عوالم مختلفة،عالم الكاتب والمؤلّف والمترجم بكسر الجيم، والمتلقي، يشترط فيه الأمانة و الملاءمة، الجودة والجمال، المحاكاة و المغايرة، المعارف واللغات، الحوار والتحاور بين الثقافات واللغات والنصّوص.

وعليه طوّرت النظرية التأويلية عملية الفهم لعالم النصّوص، ما أصبح يعرف ضمن "مدرسة كونستنس" (Ecole de Constance) الألمانية خاصة مع المفكرين الألمانيين "ياوس"(Jauss) و"إيزر"(Iser) بأفق الانتظار، على غرار أفق التاريخ الذي بني عليه "جدامار" مفهومه للوعي التاريخي في فهم النصّوص التاريخية والتراثية، ذلك أنّ جدامار" يركز عمله التأويلي في كشف الوعي البشري المدوّن في تجاربه اللغوية...ولكي يحقق للوعي البشري المدون استمراريته، ويحقق كذلك للوعي المدون أنيته...كان يشدد على أهمية إنضاج الممارسة التأويلية في حدود التاريخ والتراث...وهو يتحدث بذلك عما يسميه بالأفق التاريخي"[37].

وبناء على هذا التصور يحدد "تشاو" فوائد يمكن للمترجم أن يستفيد منها وهو يتعامل مع واقع النصّوص وهي على النحو الآتي:

1- ليس هناك من فهم موضوعي حقيقي،

2- لا يمكن تجنب التحيزات التي قد تكون إيجابية،

3- ليس هناك قراءة نهائية،

4- لا يمكن للمفسّر إلا أن يغيّر معنى النصّ المصدر،

5- لا يمكن للترجمة أن تمثل النصّ بشكل كامل،

6- لا يمكن شرح الفهم دائما[38].

ولعل هذه المبادئ تفتح أمام المترجم أفاق نقد النصّ من خلال تحييد المعنى المراد بلوغه دونما الالتزام الحرفي بها بل إنّ المترجم بإمكانه بناء النصّ من خلال ذلك الفهم الذي يعطيه للنص ذاته.

4-نظرية أنواع النصوص والضابط التواصلي:

لعل من أهم الرواد الغربيين الذين يمثلون بحق نظرية تصنيف النصّوص هم: "شميت"(Sigfrieday J. Schmidt) و "هاليداي" (Haliday) و" رايس" (Reiss) وغيرهم كثر، إذ يعدون من المهتمين بحقل لسانيات النصّ ونظرية النصّ، هؤلاء الذين قاموا بإجراء تصنيفات عديدة ومتنوعة للنصوص بحسب وظائفها وفعاليتها، ومدى انعكاساتها على تعليم الترجمة في مستويات متفاوتة.

وتكتسب هذه النظرية قوتها من حيث إنّها تركز على مسألة التدريب بحيث "عندما يدرك متعلم الترجمة كيف يحلل النصّ فإنّه يصبح قادرا على إعادة بناء سياقه وربط السياق بالبنية"[39]، وحتى وإن كانت "رايس" تميز بين ثلاثة أنواع وهي: النصّوص الإخبارية، والنصّوص التعبيرية، والنصّوص المؤثر الفعّال، فإنّ "ويرليش" (Werlich) يقسمها إلى خمسة وهي: الوصف، والسرد، والعرض، والجدل، والتوجيه، إلا أنّ حاتم(Hatim) دمج بين الوصف والسرد ضمن جنس واحد ألا وهو العرض[40] وقام بتصنيف النصّوص وفق الأنموذج الآتي:

1. نصوص عرضية (Expository) وتضم الأنواع التالية و هي: وصفية (Descriptive) وتستعمل أساسا لوصف الأغراض والعلاقات في المكان، وسردية (Narrative) وتستعمل أساسا لرواية الأحداث، و مفاهيمية (Conceptual) والمستعملة غالبا لتحليل وتركيب المفاهيم[41].

2. النصّوص الجدلية (Argumentative): وتستعمل لتقييم الحوادث وتهدف إلى الدفاع عن قضية أو اقتراح وجهة نظر، وبالتالي التأثير في السلوك المستقبلي. ويمكن تقسيمها إلى نوعين اثنين هما: جدل صريح ومثال على ذلك الرسالة إلى محرّر، وجدل ضمني مثال عليها المناقشة الفنية في الافتتاحية[42].

3. مجموعة النصّوص التوجيهية (Instructionnal) و تهدف أساسا إلى تخطيط وتوجيه سلوك المستقبلي للناس المخاطبين، وتقسم عادة إلى قسمين هما: توجيه بخيارات كالدعاية والإعلان، وتوجيه بدون خيارات كالمعاهدات والعقود والوثائق القانونية، وهي

الحقائق المعرفية التي استطاعت نظرية الأفعال الكلامية لصاحبها "أوستن"(Austin) أن تتعمق في مثل هذه الأفعال وغيرها كثر[43].

وعليه فإنّ وظيفة الترجمة ينبغي لها أن تأخذ في الحسبان وظيفة النصّ المترجم، وبالتالي يكون هدف المترجم الأساسي هو تحقيق التكافؤ الوظيفي بالحفاظ على نوعية النصّ في النسخة المترجمة، هذا التكافؤ الذي ينبغي له أن يحقق نوعا من تجربة الإنتاج والتلقي بين المؤلف والمترجم والمتلقي بصفة عامة.

وعلى غرار كل هذا يبدو أنّ نظرية أنواع النصّوص تفيد تعليمية الترجمة وتطبيقها لطبيعتها الانتقائية للنصوص، وفي إعداد وبرمجة نصوص وتمارين الترجمة وفق تخصصاتها المعرفية، مما يمكنها من أن تكون منها منهجا ملائما في تعليم وتطبيق الترجمة ويمكن أن تعتبر من وجهة نظر تعليمية أكثر النظريات فعالية.

وفي هذا الإطار من الاهتمام بعالم النصّوص من الوجهة التحليلية يعترض المترجم في تجسيد الجانب الإجرائي إدراك تلك المقاصد الخفية التي هي في حقيقة أمرها تختلف تبعا لطبيعة النصّوص، الأمر الذي يجعل من المترجم يدرك أنّ ثمة مقصدية لها من المؤهلات المعرفية والمنهجية ما يحقق تواصلا من داخل النصّ وخارجه.

–أ– الوظيفة المرجعية(Referential Function)والتواصل القصدي/الترجمي:

الجدير بالذكر أنّ من أهم المرتكزات القائمة في الوظيفة المرجعية(Referential Function)هو محتوى الرسالة الذاتي، بمعنى موضوع الرسالة القائم في النصّ الأصلي. ولعل أهم ميزة تمتاز بها الوظيفة المرجعية تلك" الإشارة إلى كينونات، و حالات، و أحداث وعلائق تشكل عالم تجاربنا الحقيقي وممثلة في القضايا الكامنة تحت النصّوص"[44]، إنّها بدون شك وظيفة الجانب اللغوي في علاقته بالوحدات القائمة في السياقات التركيبية، ولكن ماذا عن علاقة اللّغة متعددة الوظائف من الوجهة القصدية بالتواصل الترجمي؟

لعل الإشكال لا يتعلق في جانب الترجمة التواصلية القصدية، وإنّما في التواصل الترجمي/القصدي، بحكم أنّ المترجم وهو يتعامل مع وظيفة اللّغة، فإنّه يُطل إلى عالم القصد من عدة جوانب كامنة وراء اللفظ أثناء عملية النقل،إذ إنّ اللفظ عندما يحدّد في تصور المترجم فإنّه يحاول بكل ما يملك أن يقبض على قصديته حتى يسهل عليه إيجاد المكافئ أو المعادل الترجمي.

لكن قد يعتري المترجم لحظة تعامله مع البنية النصّية وفق الضابط التواصلي الترجمي/القصدي قرائن حالية تجعله يولّد من الإجراء القصدي عدة أبعاد دلالية تكون في الغالب مقتصرة على مبدأ التخريج القائم على حركية السياق المتغيّر والمتجدد.

ولكي نكون على بيّنة من أمرنا في شأن موقع القصدية من التواصل الترجمي لا ضير من أن نعطي بعضا من الأمثلة[45]، لنرى كيف يتوسط مبدأ القصدية في العملية الترجمية التي يقوم بها تلقي فعل المترجم وهو يتعامل مع قصدية المؤلف وقصدية المتلقي بحكم أنّ له الحق في أن يدرك أبعاد الرسالة الذاتي أي موضوع الرسالة.

المثال الأول: ها هي الحافلة رقم:14.أ.[46]

Hereis the bus 14.A.

لا مندوحة في أنّ المترجم عندما يترجم العبارة من اللّغة الإنجليزية إلى اللّغة العربية، فإنّه يحاول أن يشير إلى وجود ما يمكن تسميته بـ:كينونة الشيء القائمة بين الباث والمتلقي، إذ حكم الصيغة توحي أو تومئ إلى أنّ ثمة تحقيق كينونة وجود الحافلة الموسومة بـ: 14.أ.

لكن عندما يعود المترجم إلى دلالة التركيب من حيث ما يخفيه من دلالات باطنية محاولا تحقيق تواصل ترجمي وفق مبدأ تداولي، فإنّه يقوم أساسا على تشفير القوة أو الإرادة الكائنة في الفعل الكلامي التركيبي الذي ستقوم من أجله الصيغة وما تحتويه من معان وأبعاد. وعليه فأساس التقديرات المصحوبة عن طريق فعل التلقي تقتضي بعدا تأويليا لا يخرج عن بعض الصور لعل من أهمها ما يلي:

1. لعل القوة التأثيرية بين صاحب القول وما حققته من تواصل يظهر جليا في دلالة التركيب وهو كينونة الحافلة المحددة والمعلومة عن طريق الرقم والهيأة، لكن ماذا عن قصدية المتكلم فيما يخص القوة التحقيقية التي أهّلته سلفا لأن يتلفظ مثل هذا التلفظ؟
2. قد يظن المترجم أنّ مثل هذه القوة التحقيقية في شأن نعت الحافلة بالرقم ينم على حذر الناس من أن يستعدوا بحق للصعود فيها وذلك مجرد توقفها. ولعل التواصل الترجمي القصدي في هذا الطرح يجعل المترجم يولي اهتمامه إلى وظيفة تداولية قائمة على مبدأ الإرادة الكائنة في ذاتية الركاب حتى يؤهلوا أنفسهم للصعود.

لكن قد يعتري المترجم إحساس آخر وهو أنّ التركيبة توحي بأنّ الركّاب يعلمون يقينيا بأنّ رؤيتهم للحافلة هو أمر منطقي ومن ثم استوجب من مقام الركاب أن يتضامنوا

فيما بينهم عن طريق تحقيق وحدة إرادية تؤهّلهم لأن يحققوا تواصلا إراديا يفي بالغرض المقصود.

وهكذا دواليك يكون المترجم في تعامله مع التراكيب المتصفة بصفة القصد المتغير والمتجدد أن يولد الكثير من الأبعاد والمعاني، وعليه يمكن للمترجم أن يترجم العبارة بكل بساطة بـ:

Hereis the bus 14.A.

وهي عبارة تفي بكل أبعاد التواصل الترجمي القائم على مبدأ القصدية في علاقتها بحركية السياق.

المثال الثاني:

ينقل لنا " إمبرتو إيكو"(U. Eco-) عبارة الرئيس الأمريكي الأسبق "رونالد ريقان" (R. Reagan) في ندوة صحفية قائلا:"في بضع دقائق سأصدر الأمر بقنبلة روسيا"[(47)]

-ب- و لفهم وإدراك بُعد الإجراء القصدي في علاقته بالتواصل الترجمي القائم بين نظامين لغويين مختلفين؛لا ضير من أن نتوقف عند مثال قد أشار إليه "إمبرتو إيكو" في كتابه الموسوم بـ:(Notes sur la sémiotique de la réception Actes Sémiotiques) وهو يبيّن بأنّ العبارة التي يتلفظ بها الإنسان تحمل عدة مقاصد تختلف حسب الأحوال والمقامات، وعليه استوجب من شخصية المترجم القاضي بتجسيد تواصل ترجمي في ظل مبدأ القصدية أن يتوقف عند كل الاحتمالات القائمة في البنية اللغوية التي يتعامل معها، فإذا قبض على المعنى أو القصد جاز له منهجيا أن يحقق عملية نقلية ترجمية بين النصّ المصدر والنصّ الهدف.

و في حالة التعامل مع مثل هذه العبارة -المثال السالف الذكر-على نية ترجمتها وفق مبدأ التواصل الترجمي بغية إدراك مقصدية ما كان يريد "ريقان" الوصول إليه، يقتضي من المترجم أن يتعامل مع البنية (النصّ) على نية أنّه يفاوضه -إن صحّ لنا القول- مفاوضة قصدية وذلك بطرح مجموعة من الاحتمالات أو الأبعاد الدلالية المختبئة من وراء البنية، فالمترجم بادئ ذي بدء يعلم علما يقينيا بأنّ هذا النصّ المشار إليه من قبل "إيكو" يدل حرفيا على مدلوله الأول والسطحي غير المبرّر، وهو شنّ هجوم نووي على الاتحاد السوفيتي. إنّها القصدية الواضحة التي لا غبار عليها، لكن عندما غدا غالبية الصحافيين يوجهون إلى "ريقان" مدى بُعد خلفية المعنى من وراء هذا الحكم، أجاب قائلا:

إنّه يمزح، الأمر الذي جعل المترجم يطرح عدة احتمالات تأويلية قصدية في ظل تحقيق تواصل ترجمي وهي على النحو التالي:

1. لربّما هي قصة إنسان هدفه الأسمى أنّه يريد أن يعيش ساعة المزاح بطريقته الخاصّة.

2. لربّما هي قصة إنسان غدا يمزح لكنه لم يعلم بحق سياسة المزح الذي يوظّف فيه مثل هذه الساعة؟

3. قد تكون قصة إنسان كان يتلفظ بألفاظ المزاح لكن الألفاظ تحمل من الوجهة الباطنية- المسكوت عنه- تهديدا غير مصرّح به.

4. إنّها قصة تبيّن مدى البعد الباطني من المزاح الذي حتى ولو كان عاديا عند كثير من الناس لكنه يمكن أن يخفي دلالات جدّ هامة أو خطيرة حسب قائل القول[48].

و من هذا المنطلق يدرك المترجم أهمية الحرفية أو اللاحرفية في التعامل مع النصّوص، أدبية كانت أم لا. هذه القضية وهي الدلالة السطحية أو المعنى الحرفي تثير لدى المرجعية المعرفية للمترجم عدة تساؤلات جمّة حول القصد وتعدد الدلالات وحرية التأويل والأنساق و التموقعات داخل الخطاب وخارجه. إنّ مسار المترجم مسار استكشافي وتأويلي في آن واحد، وهو ما يؤهّله أن يحقق تواصلا ترجميا في ضوء التفاوض القصدي الذي يقيمه بين النظامين اللغويين المختلفين.

المثال الثالث: ناولني المكونات[49]

Pass me thzoregano

التعامل مع هذه التركيبة على نية تحقيق التواصل الترجمي القصدي، يجعل من المترجم أنّه لو كان يرغب في السؤال عن الظروف التي صدر فيها هذا الفعل القولي أو الإنجاز القولي على حد تعبير أهل التداولية، فستكون الأجوبة- على حد اعتقاده- مختلفة للغاية، ويعتمد ذلك إن كان السؤال هو حول الموقف أو السياق بكل أحواله .

غير أنّه لكي يقدّم المترجم جوابا شافيا وكافيا يليق بمقام مقصدية الفعل الإنجازي لسياق القول، عليه أن يحدد -وفق الضابط التداولي- المشاركين بعينهم وسلوكهم والوقت ومكان التفاعل، بله أي شيء آخر يخطر بالبال، الأمر الذي يؤهّل من هذا التعامل أن يعطي أو يزوّد المترجم قائمة بمكونات الشكل الإجمالي الذي لن يقوده إلى تشخيص الموقف ككل متكامل بدون بُعد ثقافي يعمه ويحويه، ومن ثم يتحقق شرط قصدية الحدث الكلامي القائم على مبدأ التواصل الترجمي بين النصّ المصدر والنصّ الهدف.

ما يمكن أن نستشفه من خلال الأمثلة المشار إليها سالفا أنّ الضابط القصدي القائم على نية التواصل ليس من جانبه الخارجي فحسب، وإنّما من جانبه الداخلي أيضا، له القدرة في أن تكون له الشرعية المعرفية في التمييز بين كفاءتين يتحلى بها المترجم وهو يقتحم عالم النصّوص على نية النقل وهما:

أولا:الكفاءة اللغوية:وقد تدعى في بعض السياقات بالمعرفة اللغوية ومفادها أنّها قائمة على إدراك المترجم على مجموعة من أنظمة القواعد التي يقوم عليها النظام اللغوي والتي عند استخدامها من قبل المتكلم أو صانعي الخطاب يساعد المترجم على معرفة مقصدية المتكلم، ناهيك عما تحويه هذه الكفاية اللغوية على معرفة كل ما يتعلق بعالم السياق اللغوي بقرائنه اللفظية والمعنوية التي لا مناص للمترجم من التعامل معها بحكم أنّها تساهم من قريب أو من بعيد في تحديد الإطار العام للنص.

إنّها الكفاءة التي تتوسط بين اللّغة من جهة، ومستعمليها من جهة أخرى، وهي لعمري وسطية ليس بالأمر الهين التحلي بها لدى المترجمين إلا من رحم ربّك، على أساس أنّ المالك للكفاءة اللغوية الكائنة بين النصّ المصدر والنصّ الهدف من قبل الفعل الترجمي تؤّهل المترجم بحق أن يجسّد تواصلا ترجميا قصديا بين النظامين اللغويين. وهذه الملكة القائمة على مبدأ الكفاية اللغوية الماهرة تؤهّل المترجم من التحلي بكفاءة أخرى هي ممتدة للأولى وهي الكفاءة الاجتماعية التي تتماشى إلى حدّ بعيد مع طبيعة النظام اللغوي شكلا ومضمونا.

ثانيا الكفاءة الاجتماعية، وهي معرفة مدى تلك التقاليد والأعراف وغيرهما مما يؤهّل المترجم من تحقيق تواصل ترجمي قصدي فعّال بين أعضاء المجموعة القائمة على الإنجاز الفعلي للحدث الكلامي حتى يصبح جزءا لا يتجزأ من معرفة المتكلم اللاواعية.

هو تطواف وجيز حول منزلة فعل التلقي القائم في التصور العربي وهو يتعامل مع الزاد المعرفي الغربي عن طريق النظريات الترجمية التي لها صدى ليس في السياق الغربي الذي وُجدت فيه، بل لها ما يجعلها تقترب إلى حد كبير مع بعض السياقات المعرفية والإجرائية التي أشار إليها التصور العربي في كثير من المقامات.

البيبليوغرافيا البحث:

باللّغة العربية:

ابن منظور:لسان العرب، مصدر أول، دار صادر، بيروت، د.ت.

بول ريكور: مهمة الهيرمنيوطيقا، ترجمة خالدة حامد، مجلة المعرفة، دمشق، العدد 452.

جون لادريير:التأويلية والإبستومولوجيا في بول ريكور، تحولات العقل التأويلي، منشورات يسرف، باريس، 1991.

خاليد سليكي: أنماط من القراءات في التراث، مجلة جذور، العدد الأول، 1999.

روجرتبيل:الترجمة وعملياتها- النظرية والتطبيق- ترجمة محيي الدين حميدي،ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،2001.

عمر فرّوخ: الحضارة الإنسانية وقسط العربي فيها، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت،ط2، 1983.

فيليب هونمان: مدخل إلى الفينومينولوجيا، منشورات آرماندكولين،باريس، 1997.

محمد شاهين: نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية والعكس، مكتبة دار الثقافة والنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1998.

مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة بيروت، لبنان، ط1، 2005.

المصطفى شادلي: إشكالية التأويل والترجمة في ضوء سيميائيات التلقي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1998.

مطاع صفدي: إستراتيجية التسمية، دار الإنماء العربي بيروت، لبنان، ط 1، 1986م.

مطاع صفدي: إستراتيجية التسمية، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986.

منصف عبد الحق: الكتابة والتجربة الصوفية، نموذج محي الدين بن عربي، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1988.

ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ، دار الشروق، عمان الأردن، ط1، 1998م.

هانس جورج غادامير: اللّغة كوسيط للتجربة التأويلية، ترجمة أمال أبي سليمان،مجلة العرب والفكر العالمي، العدد الثالث، مركز الإنماء القومي، بيروت،1988.

هانس غيورغغادامير: فن التأويل، ترجمة محمد شوقي الزين، مجلة كتابات معاصرة، العدد 37، 1999.

يشار ساغائي: غادامير: الحقيقة حوار وتفاهم، ترجمة محمد شوقي الزين،كتابات معاصرة، بيروت، العدد 45، 2000.

باللّغة الأجنبية:

Dellthey : le Monde de l’esprit, I , Paris

Jean Grodin : La conscience au travail de l’histoire et le problème de la vérité en herméneutique, Archives de philosophie, n=44, 1981.

Paul Ricoeur : Du Texte à l’action. Essais d’herméneutique. Edition du Seuil, 1986.

Schleir Macher : Herméneutique, Laor et Fides, 1987.

U.Eco(1987) : Notes sur la sémiotique de la réception, Actes Sémiotiques, Documents, IX, 81.

الهوامش:

[1]- ينظر محمد شاهين: نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية والعكس، مكتبة دار الثقافة والنشر و للتوزيع، عمان، الأردن، 1998، ص.21.

[2]- المرجع نفسه: ص.22.

[3]- ينظر نفسه: ص.24.

[4]- نفسه: ص.25.

[5]- نفسه: ص.25.

[6]- نفسه: ص.25.

[7]- نفسه: ص.26.

[8]- نفسه: ص.27.

[9]- نفسه: ص.28.

[10]- نفسه: ص.ص.28-29.

[11]- عمر فرّوخ: الحضارة الإنسانية وقسط العربي فيها، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1983م، ص.25.

[12]- ينظر المرجع نفسه، ص.25.

[13]- ينظر المرجع نفسه: ص.27.

[14]- ينظر المرجع نفسه: ص.27.

[15]- ينظر المرجع نفسه: ص.27.

[16]- ينظر المرجع نفسه: ص.27.

[17]- نفسه: ص.30.

[18]- على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين المشتغلين في حقل التداولية (Pragmatique) وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها، فإنّ غالبيتهم يقرون بأنّ التداولية هي إيجاد تلك القوانين الكلية للاستعمال اللغوي قصد التعرف على تلك القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، ومن ثم يصير مسار التداولية من حيث الإطلاق أن يدعى بعلم الاستعمال اللغوي، الأمر الذي جعل من واقعها يتنوع مصدرها حسب المفاهيم الكبرى التي تنطوي تحتها فهناك الأفعال الكلامية الذي هو منبثق من مناخ فلسفي عام هو الفلسفة التحليلية، وكذلك مفهوم نظرية المحادثة الذي انبثق من فلسفة بول غرايس(Grice) وأما نظرية الملاءمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي وهكذا دواليك بالنسبة لكثير من الأبعاد المفاهيمية التداولية... عد في هذا المقام إلى: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ط1، دار الطليعة بيروت، لبنان، 2005، ص.15 وما بعدها.

[19]- نفسه: ص.32.

[20]- نفسه: ص. ص. 32-33.

[21]- مطاع صفدي: إستراتيجية التسمية، ط1، دار الإنماء العربي بيروت، لبنان، 1986م، ص.223.

[22]- ينظر كتاب فيليب هونمان: مدخل إلى الفينومينولوجيا، منشورات آرماند كولين، باريس، 1997، ص.153.

[23]- ينظر منصف عبد الحق: الكتابة والتجربة الصوفية، نموذج محي الدين بن عربي، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1988.

[24]- ينظر هانس غيورغغادامير: فن التأويل. ترجمة محمد شوقي الزين. مجلة كتابات معاصرة، العدد 37، 1999. ص:73.

[25]- Cf Schleir Macher : Herméneutique, Laor et Fides, 1987, p.104.

[26]- مطاع صفدي: إستراتيجية التسمية، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986، ص. ص. 224-225.

[27]- ينظر ابن منظور:لسان العرب، مصدر أول، دار صادر، بيروت، د.ت، ص.32.

[28]Cf. Dellthey : le Monde de l'esprit, I , Paris, pp :149-150.

[29]- Cf. Jean Grodin : La conscience au travail de l'histoire et le problème de la vérité en herméneutique, Archives de philosophie, n=44, 1981, pp :435-453.

[30]- يشار ساغائي: غادامير:الحقيقة حوار وتفاهم، ترجمة محمد شوقي الزين، كتابات معاصرة، بيروت، العدد 45، 2000م، ص.79.

[31]Cf. Paul Ricoeur : Du Texte à l'action. Essais d'herméneutique. Edition du Seuil, 1986, Paris, pp :179-181.

[32]- cf. Ibid. pp :181-182.

[33]- ينظر هانس جورج غادامير: اللّغة كوسيط للتجربة التأويلية، ترجمة أمال أبي سليمان، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد الثالث، 1988، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص.23.

[34]- بول ريكور: مهمة الهيرمنيوطيقا، ترجمة خالدة حامد، مجلة المعرفة، دمشق، العدد 452، ص.82.

[35]- ينظر جون لادرييز:التأويلية والإبستومولوجيا في بول ريكور، تحولات العقل التأويلي، منشورات يسرف، باريس.،1991م. ص.111.

[36]- ينظر في هذا المقام بالذات ألى خاليد سليكي: أنماط من القراءات في التراث، مجلة جذور، العدد الأول، 1999م، ص.8 وما بعدها.

[37]- ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، عمان الأردن. 1998م. ط1، ص.100.

[38]- ينظر محمد شاهين: المرجع السابق، ص. ص. 34-35.

[39]- نفسه: ص.38.

[40]- ينظر المرجع نفسه: ص.40-42.

[41]- ينظر نفسه: ص.41.

[42]- ينظر نفسه: ص.42.

[43]- ينظر المرجع نفسه: ص.43.

[44]- الترجمة وعملياتها، المرجع السابق: ص.393.

[45]- من باب الأمانة العلمية والإنصاف العلمي الموضوعي أنّ غالبية الأمثلة التي سنستشهد بها في هذا المقام وفي المقامات الآتية هي مأخوذة من كتاب:الترجمة وعملياتها.هذا الكتاب الذي لربّما اطلعنا عليه مرارا وتكرارا فوجدنا معظم الأمثلة تخدم سياقنا المعرفي فأخذنا المثال وحاولنا أن تكون التعقيبات من جهدنا وتقديراتنا الفكرية والمنهجية وهذا حتى لا نتصف بصفة التبعية في البحث العلمي، ذلكم أنّ طبيعة الموضوع أو الإشكالية لا تقتضي ذلك. إذاً أن الأمثلة موجودة في الكتاب وإذا سها القلم وأخذ كلمة أو عبارة أو تركيبة فلعل السبب هو تلك القراءة المتكررة والمتعددة لهذا الكتاب ليس إلا.

[46]- ينظر الترجمة وعملياتها. ص:

[47]-U. Eco; Notes sur la sémiotique de la réception Actes Sémiotiques, Documents, IX, 81, (1987) , pp :5-27.

[48]- ينظر المصطفى شادلي: إشكالية التأويل والترجمة في ضوء سيميائيات التلقي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1998، ص. 46-47.

[49]- ينظر الترجمة وعملياتها: الصفحة نفسها.

المصطلحات التقنية في ميدانِ الترجمة الفورية

المؤلف: دانيال جيل* ترجمه: حاج أحمد بلعباس **

الملخص: يسلّطُ هذا المقالُ الضّوءَ على بعض مميزات المفردات المتخصّصة والمتداولة في المؤتمراتِ ذاتِ الطّابعِ التّقني، ويشرحُ تداعياتها على عمليةِ التّرجمةِ، كما يتطرّقُ إلى مختلف التكتيكات التي يلجأُ إليها التّرجمانُ وهوَ داخلَ حجرةِ التّرجمةِ والتي ستسمحُ لهُ بالتّغلّبِ على المشاكلِ والعواملِ التي تؤثّرُ سلباً على نوعية عملهِ في مجال المصطلحية.

الكلمات المفتاحية: الترجمة الفورية، التكتيك، المصطلحات التقنية، النوعية.

Résumé :

L'article passe en revue certaines caractéristiques du vocabulaire spécialisé des conférences techniques et explique leurs incidences sur l'interprétation. Il évoque les différentes tactiques utilisées en cabine pour surmonter les problèmes ainsi que les principaux paramètres affectant la qualité affectant la qualité de la prestation de l'interprète en matière terminologique.

Mots clés :

interprétation simultanée, tactiques, termes techniques, qualité.

مقدمة:

لطالمَا اعتبرَت المصالحُ القائمةُ على شؤونِ التّرجمةِ الفوريةِ أنّ أعوصَ مشكلٍ يواجهُهُ التّراجمةُ خلالَ المؤتمراتِ ذاتِ الطّابعِ التّقني يتمثّلُ في الجانبِ المعجمي، وغالبًا ما تُوجّهُ هذه المصالحُ لهم أسئلةً تتعلّقُ بطريقةِ عملِهم في هذا المجالِ؛ لكنّ التّراجمةَ لا يقدّمون أجوبةً شافيةً ولا يسترسلون كثيرا في ذلك. فيشدّدون في أعمالهم على الطّبيعةِ الفكريةِ لمنهجهم؛ أي تأويلُ الخطابِ، (ويذكُرُون في ذلك أعمالَ كلٌّ من (سيليسكوفيتش) (Seleskovich[1]) و(لوديرير) (Lederer[2]) و(ديجين) (Déjean[3]) ويتركون الجوانبَ التقنيةَ للترجمةِ الفوريةِ جانبًا.

وفي حقيقة الأمر، لن يكونَ أداءُ التّرجمانِ المقبلِ على التّرجمةِ في المؤتمراتِ ذاتِ الطّابعِ التّقني جيّدًا إلاّ إذا تمّ الإعدادُ لذلك بصفةٍ جيّدةٍ. وسنحاولُ في هذا المقالِ تقديمَ شرحَ أسبابِ ذلك، كما سنتعرّضُ إلى مختلفِ العوائقِ المصطلحيّةِ التي تعيقُ التّرجمانَ في عملِه، ونُبرزَ التكتيكاتِ التي يلجأُ إليها هذا الأخيرُ في سبيلِ تخطّي هذه الصّعوباتِ أو الالتفاف حولها. وسنستندُ في دراستِنا هذه إلى الملاحظةِ الميدانيةِ وإلى نتائجِ التّجاربِ المنجَزةِ بالمخبرِ. وتتشكّلُ العيّنةُ من الزملاءِ الذين تطوّعوا (لإجراء التّجربةِ) وزملاءٍ آخرين اشتغلوا معنا في مؤتمراتٍ ذاتِ طابعٍ تقني (بعضُ العشراتِ في المجملِ). فاللّغاتُ المعنيّةُ بهذه الدراسةِ محدودةُ العددِ (الفرنسيةُ والانجليزيةُ والألمانيةُ والاسبانيةُ واليابانيةُ والعبريةُ)؛ بيدَ أنّ التقاربَ الموجودَ بين المسائلِ والطرقِ، وأيضا وجهاتِ النظرِ للزملاءِ الذين ليسوا طرفًا في العيّنةِ قد تعطي الانطباعَ أنّ التصوّرَ المتوصلَ إليه يعكسُ وبصفةٍ تمثيليةٍ وضعيةَ مجموعِ التراجمة العاملين في مجالِ الملتقياتِ التقنيةِ.

المفرداتُ التقنيةُ في المؤتمراتِ:

تملكُ المفرداتُ التّقنيةُ المتداولةُ في المؤتمراتِ الدّوَليةِ أبعادًا متغيرةً؛ إذ أنّها ليستْ ذاتَ أهمّيةٍ في بعضِ الاجتماعاتِ السّياسيةِ أو الاقتصاديةِ؛ لكنّها قد تبلغُ في المؤتمراتِ العلميةِ والتّقنيةِ مئاتِ الكلماتِ بسهولةٍ. وقد لا يكونُ التّرجمانُ - اللهمّ إلاّ إذا امتلكَ الوثائقَ كلّها - على علمٍ مسبقٍ بالكلماتِ التي سيتمّ تَداوَلُها فعليًا خلالَ هذه المؤتمراتِ، وعليه أنْ يكونَ مستعدًا لمواجهةِ هذا الكمّ الهائلِ من المفرداتِ المحتملةِ. وفعلاً فَمَهْمَا كانت موضوعةُ اللّقاءِ، يُحتَملُ وُرودُ كلماتٍ دخيلةٍ قريبةٍ من ميدانِ الموضوعةِ أو بعيدةٍ عنهُ. وسنضربُ مثَلَ مؤتمرٍ انعقدَ حديثًا دارَ موضوعُهُ حولَ الابتكاراتِ التّكنولوجيةِ، خُصّصَ جانبٌ منهُ لجلسةٍ دامتْ نصفَ يومٍ تمحورتْ حولَ موضوعِ تطبيقاتِ اللّيزرِ، قد تضمّنَ اقتحامًا لميادينَ أخرى كعلومِ الأورامِ السرطانية ومبحثِ أمراضِ الفمِ والتّوليدِ والتّقناتِ المرتبطةِ بالملاحةِ الجوّيةِ وبالفضاءِ والتّلحيمِ وآلاتِ تشكيلِ الأدواتِ...الخ

ولا يوجَدُ تُرجمانٌ ملمٌّ بعشراتِ الآلافِ، بَلْ مئاتِ الآلافِ من المفرداتِ التي تُمثّلُ مصطلحاتٍ محتملةٍ في مؤتمرٍ ما؛ كما لا يمكنُ لأحدِ التراجمةِ استظهارَها جميعَها؛ في حينِ إنّ جهلَ التّرجمانِ للفظةٍ معيّنةٍ أو عدمَ فهمِه لها فهمًا دقيقًا من شأنه أن يؤدّيَ إلى عدمِ فهمِه للفكرةِ ككلٍّ، ممّا يشكّلُ عائقًا في نقلِها كليًا. هذا ويُمكنُ أنْ يتعلّمَ التّرجمانُ – في إطارِ تأديتِه لمهامِه- العديدَ من المصطلحاتِ خلالَ الاجتماعاتِ الثّريّةِ بالنّقاشاتِ الفعليةِ[4]؛ لكنّ العكسَ سيحصُلُ إذا ما تميّزتْ هذه اللّقاءاتُ بتقديمِ عروضٍ قصيرةٍ تتخلّلُها نقاشاتٌ موجزةٌ بحيثُ تكون المهمّةُ مستحيلةً. وإذا أرادَ التّرجمانُ الإحاطةَ بالمصطلحاتِ

وتحصيلَها من أجلِ تأديةِ ترجمتهِ أداءً جيّدًا، فما عليهِ سوى اللّجوءُ لعمليةٍ فعّالةٍ تتمثّلُ في البحثِ التوثيقي.

وتطالبُ الجمعيّةُ الدّوَليةُ لتراجمةِ المؤتمرات – وفي إطارِ اتّفاقياتها- الجهاتِ المُنَظّمَةَ للمؤتمراتِ بتزويدِ الطّاقمِ العاملِ (ومنهُ التّراجمة) بالوثائقِ الضروريةِ لتحضيرِ المؤتمر.. وإذا لمْ يتمكّنْ التّرجمانُ من الحصولِ على هذهِ الوثائقِ أو إذا حصلَ على جزءٍ منها فقط، سيتعرّضُ وهوَ يترجمُ في المؤتمرِ لخطرِ عدمِ فهمِ العديدِ من المفرداتِ بسببِ جهلهِ للمصطلحاتِ، ممّا يجعلُهُ عُرضةً لخطرِ ضياعِ جزءٍ كبيرٍ من المعلوماتِ.

المشكلات:

وفي إطارِ المشكلاتِ التي قدْ تطفو إلى السّطحِ خلالَ المرحلةِ الأولى من التّرجمةِ الفوريةِ أي مرحلةُ الاستماعِ والتّحليلِ، ننوّهُ بالدّورِ الرّئيسِ الذي تؤدّيهِ البُنَى الاحتماليةُ للتلقي لدى المستمعِ؛ فَقَدْ لا ينطقُ المتحدّثُ الألفاظَ بالكيفيةِ نفسِها، ولا تتابعُ الأصواتُ بشكلٍ دقيقٍ يتّفقُ مع تسلسلِ الكلماتِ كما هو معروفٌ عالميًا؛ وبالتّالي عندما يستمعُ الشّخصُ للحديثِ، فإنّهُ يختارُ خصائصَ معينةً للصوتِ المسموعِ أي "الجوانبَ الملائمةَ"، فيؤوّلُها وِفقَ أُفُقِ انتظارهِ وتوقّعاتهِ[5].

وفي هذا السياقِ، تَرى نظريةُ الإعلامِ أنّ فهمَ الرّسالةِ لا يتطلّبُ أكثرَ ممّا تتضمّنُهُ الإشارةُ فحسب بل يقتضي الرّجوعَ إلى جميعِ الإمكانياتِ المحتملةِ التي يملكُها المتلقّي والتي بناءً عليها سيختارُ الإشارةَ التي يراها مناسبةً. هذا ولا تشكّلُ مجموعُ هذه الإمكانياتِ نمطًا موحّدًا، إذ إنّها تملك مظهرًا مميّزًا يتمثّلُ في أنّ بعضَ الإمكانياتِ محتملةٌ أكثر من غيرها، ويؤثّر هذا التنوّعُ في درجةِ الاحتماليةِ في مسارِ فَكِّ الرموزِ لدى المتلقّي. وإذا أدرك متلقّي الرّسالةِ مثلاً أنّ احتمالَ ورودِ الأرقامِ يفوقُ احتمالَ ورودِ الكلماتِ فإنّهُ سيفكّرُ مباشرةً في أنّ الصّوتَ « K » سيكونُ مؤشّرا أقربَ لورودِ لفظةِ « quatre » (أربعة) من ورودِ كلمةِ « catastrophe » (كارثة)[6].

تُشكّلُ المُصطلحاتُ التّقنيةُ مؤشّرًا موجزًا في ظرفِ جزءٍ من الثّانيةِ، (وتتأثّرُ برداءةِ الصّوتِ إذا كانَ الجهازُ الإلكتروني ذا نوعيةٍ رديئةٍ أو كانتْ لهجةُ المتحدّثِ غريبةً)، أو نتيجةَ "التّشويشِ" (بعض الاضطرابات الصوتية)، وبانخفاضِ تركيزِ التّرجمانِ أثناءَ عمليةِ التّرجمةِ. وتظهرُ أهميّةُ العاملِ الأخيرِ جليةً في مفهومِ "توازنِ عمليةِ التّرجمةِ الفوريةِ"؛ إذ يوزّعُ التّرجمانُ طاقتَهُ بين الاستماعِ والتّحليلِ، وإجهادِ الذّاكرةِ (مما يعني وجوبَ الاحتفاظِ ببعضِ العناصرِ لمدّةٍ زمنيةٍ معيّنةٍ قبلَ نقلِها إلى لغةِ الوصولِ) وإنتاجِ الخطابِ في لغةِ الهدفِ.

وقد يتعرّضُ هذا التوازنُ غيرُ الثابتِ بين الجهودِ الثلاثةِ للانقطاعِ بسهولةٍ، وبخاصّة إذا كانَ الخطيبُ يتحدّثُ بسرعةٍ مثلاً، فيتأخّرُ التّرجمانُ في اللّحاقِ به، ممّا يقتضي منه إجهادَ نفسِه في التذكّرِ على حسابِ الاستماعِ، وبالتّالي لا يستطيعُ سماعَ بقيةِ الخطاب جيّدًا (وقدْ تمّ التّطرّقُ إلى مفهومِ "توازنِ عمليةِ التّرجمةِ الشّفويةِ" بالتّفصيلِ في مقالٍ سابقٍ وموسومٍ بـ"صعوبات تبليغِ المعلوماتِ عبرَ التّرجمةِ الشّفويةِ").

من جهةٍ أخرى، إذا اتّسمتْ بُنى التّنبّؤِ بالضّعفِ لدى الترجمان؛ فإنّهُ من المحتملِ ألاّ تساعدَه الإشارةُ التي يستقبلُها في التعرّفِ على الكلماتِ التي تصله عبر الإشارةِ كون الكلماتِ غيرِ المألوفةِ وغيرِ المتوقّعةِ صعبةُ التّشكيلِ على عكس الكلماتِ المألوفةِ؛ ثمّ إنّ التّعرّفَ على الكلمةِ ليسَ إلاّ تمهيداً لفهمِ المعنى الذي لا يتحقّقُ إلاّ إذا كانتْ الكلمةُ معلومةً وخصائصُها الصّوتيةُ والصّرفيةُ تسمحُ بتحليلِها أو إذا كانَ سياقُ ورودِها ووضعيتُها واضحين بما فيه الكفايةِ.

في حينِ قدْ يعجزُ التّرجمانُ عنْ نقلِ الفكرةِ المعبّرِ عنها بمصطلحٍ تقني إلى لغةِ الوصولِ وذلك بسببِ العواملِ التّاليةِ:

- الجهلُ بالمصطلحِ المطابقِ في لغةِ الوصولِ.
- "ثقبٌ في الذاكرة أو نسيانٌ" قد يمنعُ التّرجمانَ منعًا مؤقّتًا من استحضارِ الكلماتِ المناسبةِ في لغة الوصول للتّعبيرِ عن الفكرة.
- فقدانُ التوازُنِ لعمليةِ التّرجمةِ الفوريةِ.
- التّداخلُ اللّساني، ونعني به عدمَ قدرةِ التّرجمانِ على الابتعادِ المؤقّتِ عن لغةِ الانطلاقِ.
- مصادرٌ أخرى تشوّشُ على الترجمان مثلَ (التّعب والضّجيجِ ...الخ).

التحضيرُ:

تُسبّبُ هذه الصّعوباتُ ضياعَ عددٍ كبيرٍ من المعلوماتِ أثناءَ التّرجمةِ وتشوّهُ سمعةَ التّرجمانِ وتضرٌ بنقلهِ لرسالةِ المحاضرِ. هذا وترى سيليسكوفيتش[7] أنّ إحدى الوسائلِ المعتمدةِ عالميًا للوقايةِ من هذه الصّعوباتِ، تكمنُ في الإعدادِ عن طريقِ وثائقِ المؤتمرِ في مجموعِها، وتتمٌ هذهِ العمليةُ عبرَ تصفّحِ وثائقِ المؤتمرِ لاستخراجِ منها المصطلحاتِ والبحثِ عن معانيها من خلالِ سياقاتِ ورودِها وفي المعاجمِ والمراجعِ وبالاستفسارِ أيضا لدى المختصّين. هذا ويفضّلُ أغلبُ التّراجمةِ تهيئةَ المعاجمِ الصغيرةِ حيث تُسجّلُ الكلماتُ وفق نظامٍ تسلسلي من حيثُ ظهورِها في المحاضرةِ، وتُجمَع هذه الكلماتُ حسبَ التّقاربِ المفاهيمي أو تُصنّفُ وفق النّظامِ الأبجدي.

كما يُفضّلُ آخرون التعليقَ على ذات الوثائق في الهامش؛ ولاسيما تلكَ التي تكونُ نصوصُها موجّهةً للتّلاوة. ولا يحفظُ السّوادُ الأعظمُ من التّراجمة عن ظهر قلب قلتُ كلّ المصطلحاتِ المشكّلةِ للمؤتمر؛ بلْ يكتفونَ بتصفُّحها مرّةً أو مرّتين قبلَ انطلاقِ أشغالِ المؤتمرِ، فهم بذلكَ يعتمدونَ على القراءة وضبطِ المصطلحاتِ وتحديدها وتحضيرِ المعاجمِ الوجيزةِ حتّى تترسّخَ الكلماتُ في أذهانهم، فإذا ما طرأَ عليهم طارئٌ أو "عطلٌ ما" أثناءَ التّرجمةِ يلجؤون إلى تصفحِ مُعجمهم داخلَ الحجرةِ (ينظر لما سيلحق).

هذا ومن العوائقِ التي تواجهُ الترجمانَ قِصرُ المدّةِ الزّمنيةِ الممنوحةِ له لمطالعةِ الوثائقِ التي يتجاوزُ عددُ صفحاتِها المئات. والأصلُ في المشكلةِ يكمنُ في تأخّرِ الجهاتِ المنظّمةِ في إرسالِ الوثائقِ، وكذلك الطّابعِ الموسمي للتّرجمةِ الفورية؛ حيثُ قدْ يُجبرُ التّرجمانُ على العملِ شهريا في أكثرِ من عشرِ مؤتمراتٍ متتابعةٍ وفي فتراتٍ محدّدةٍ من السّنة. وبفعلِ هذهِ الظّروف، لا يتمكّنُ التّرجمانُ من التّحضيرِ بتأنٍّ وتمعّنٍ حيثُ قدْ يُجبَرُ أحيانًا على تأديةِ بعضٍ من مهامهِ داخلَ الحجرةِ بفحصٍ دقيقٍ لبحثٍ مُنحَ لهُ عندَ توزيعِ المداخلاتِ بين أعضاءِ الفرقِ المشاركةِ في المؤتمر. وغالبًا ما تكونُ الوثائقُ التي تُسلّمُ للترجمانِ ناقصةً ممّا لا يسمحُ لهُ بالإحاطةِ بالمفرداتِ الفعليةِ للمؤتمرِ، ولهذا ينبغي لهُ أن يتبنّى إستراتيجيةَ تحضيرٍ من شأنها أن تُسعفَهُ في عمله، وتتمثّلُ هاهُنا في البحثِ الأفقي المتعمّقِ والمتعاقب؛ ولعلّ الاطّلاعَ السّريعَ الذي قد يقوم به التّرجمانُ على ميدانٍ ما، قد يساعِدُهُ على فهمِ موضوعاتِ المؤتمراتِ وتوقّعِ ظهورِ البعضِ منها دونَ البعضِ الآخرِ خلال الندوة، ممّا يدفعهُ للتعمّقُ في دراستِها لاحقًا. ولأجل ذلك؛ لا بدّ من البحثِ في الموسوعاتِ والكتبِ المبسّطةِ والمدرسيةِ، واستشارةِ المتخصصين، ثمّ الاطلاع على الوثائقِ الأكثرِ تّقنيةً، والعودةِ مرّةً ثانيةً للمتخصّصين لأجلِ رأي نهائي.

تُمكّنُ هذهِ الخطوةُ التّرجمانَ من اكتسابِ رصيدٍ معرفي مفيدٍ يسمَحُ لهُ بمواجهةِ المفرداتِ المجهولةِ من قبله، والتي من المحتملِ أن تَردَ خلال المؤتمرات، وتعطيه هذه الطريقةُ نظرةً شاملةً عن المفرداتِ المحتملةِ التداولِ في الاجتماعات، وتعرّفُهُ على خصائصِها (كأن يميّزَ بينَ الكلماتِ ذاتِ الأصلِ الإغريقي والكلماتِ القديمةِ والمركّبةِ والأجنبيةِ و الاقتراض، ...الخ.) ممّا يمنحُهُ القدرةَ على التحليلِ وفقَ الوضعياتِ.

البحث عن "المكافئات" في لغة الوصول:

لقد تمّ التشديدُ على ضرورة الفهم من أجلِ الترجمةِ (ينظر سيليسكوفيتش[8])، كونَ شرعيةَ الترجمةِ الحرفيةِ (أو المرامزة) (transcodage) يبدو مطعونًا فيها، بالاستنادِ إلى حجّتينِ رئيستينِ هُمَا:

*الفكرةُ الشّائعةُ في مجالِ اللّسانياتِ الحاليةِ والتي مفادُها أنّ كلّ لُغةٍ تتناولُ الواقعَ من جوانبَ مختلفةٍ وتقسّمُهُ إلى وحداتٍ مختلفةٍ (مونان[9])، ولا تعبّرُ مفردةٌ معينةُ على الواقعِ نفسِهِ الذي يعَبّرُ عنه "مكافئها" في لغةٍ ثانيةٍ.

* فكرةُ حتميةُ تعدّدِ المعاني للّفظة الواحدة، وهي ظاهرةٌ تتكوّنُ تَكَوُّنًا رياضيًا؛ لأنّ "اللّغات تنطوي على عددٍ محدودٍ من الدّلائلِ التي تملكُ وظيفةَ التّعبيرِ عن عددٍ لا متناهٍ من الوضعيات، وعددٍ لا متناهٍ من عناصرِ العالمِ الخارجي، ومن تمثلات الحقيقةِ لدى المتكلّمين المختلفين"[10]؛ وبالتّالي قد تحملُ مفردةٌ ما عدّةَ معانٍ وتحتملُ ترجماتٍ مختلفةٍ اختلافَ المعنى.

وبمجرّدِ أنْ يسمعَ البعضُ منّا عبارةَ "الفهمُ لأجل التّرجمةِ"، يستنتجون بسرعة أنّ مهارةً ما في المجالِ الذي يقع فيه النّصُ كفيلةٌ بضمانِ عملٍ ترجمي جادّ[11]. فإنّ مستوى ما للفهمِ ضروري بطبيعةِ الحالِ لإدراكِ الرّوابطَ المنطقيةَ والوظيفيةَ بينَ عناصرِ الملفوظ، ولانتقاءِ المفرداتِ المناسبةِ للغةِ الوصولِ لكنّ هذا المستوى لا يبلُغُه إلاّ المترجمون والتراجمة المهنيون[12].

أمّا فيما يخص عمليةَ التّحضيرِ، فالسياقُ الذي تحدّدهُ الوثائقُ المُعَدّةُ للمؤتمراتِ، يخفّفُ من مشكلةِ تعدّدِ المعاني للفظةِ الواحدةِ؛ بل يقضي عليه نهائيًا، هذا من جهةٍ؛ ومن جهة ثانية، نجد أنّ التّطوّرَ المتوازي الذي تشهدهُ القطاعاتُ المهمّةُ في مجالي العلومِ والتّكنولوجيا بدولٍ مختلفةٍ منذُ عقودٍ من الزّمنِ يجعلُ المصطلحاتِ التّقنيةَ تُفصّلُ الواقعَ وفقَ رؤيةٍ واحدةٍ أو جدّ متقاربةٍ. هذا وسيكونُ بمقدورِ التّراجمةِ إيجادُ المكافئاتِ السّياقيةِ المناسبةِ للمصطلحاتِ التّقنيةِ ولتلك التي تستعصي على الترجمةِ، لمجرّدِ امتلاكهم للوثائقِ الكافيةِ؛ وبالمقابل، قلائلٌ هم التّراجمةُ الذين يسعَون للتّعاونِ مع المحاضرين والمشاركينَ الآخرين في المؤتمرِ.

ولا بُدّ أن نوضّحَ أنّ متطلّباتِ التّراجمةِ مختلفةٌ اختلافًا واضحًا عن متطلّباتِ المترجمين. وباعتبار أنّ عملَ المترجمين يُحفَظُ بشكلٍ دائمٍ ويُنشَرُ أحيانًا، فعليهم بالالتزامِ بشكلِ النّصّ وإكراهاته، وبالتّالي ينبغي لهُم تحريرَ نصٍّ مُتَرجمٍ منطوٍ على مصطلحاتٍ ذات طابعٍ رسمي، وخالي الألفاظِ الغريبةِ والصّيغِ المكرّرةِ وقليل الكلماتِ العامّيةِ؛ وهوَ ما يؤدّي إلى اختلافِ وضعِ التّراجمةِ عن وضعِ المترجمين اختلافًا جذريًا.

في المؤتمراتِ ذاتِ الطّابعِ التّقني والثّريةِ بالمعلوماتِ، يركّزُ المستمعون للتّرجمةِ انتباهَهم على محتواها ولا ينتبهونَ للشّكلِ إلاّ إذا بدتْ لهم العباراتُ مبهمةً والمصطلحاتُ غريبةً أو نادرةً[13] أو صادمةً ومن هنا يظهرُ أنّ التّراجمةَ يتمتّعونَ بهامشٍ أوسعٍ من الحُرّيةِ،

إذ يستطيعونَ توظيفَ مصطلحاتٍ مستحدثةٍ وغريبةٍ ويتكلّمونَ بلغةٍ عاميّةٍ أو بلغة متخصصة، شريطَة أن تكونَ تلك المصطلحاتُ مألوفةً وواضحةً لدى المستمعين.

منهجية العمل (التكتيكات):

تكونُ عمليةُ التّحضيرِ فعّالةً إذا استوفى التّرجمانُ وثائقَ المؤتمرِ جميعَها وكانَ لهُ متّسعٌ من الوقتِ لدراستها؛ ومشبوهةً إذا لم يتمّ استيفاءُ هذين الشّرطين؛ ولا معنى لها في غيابِ الوثائقِ والمراجعِ؛ لكنّ التّرجمانَ لا يؤدّي جميعَ ترجماته أداءً عفويًا وفعّالاً، حتّى ولو كان في أحسنِ أحواله ومحاطًا بظروفِ عملٍ ملائمةٍ. ويلجأُ التّراجمةُ – علاوةً على البحث الوثائقي – إلى مجموعةٍ من التكتيكات المعروفة تسمحُ لهم بتلافي الصّعوباتِ المصطلحية التي غالبًا ما تتجلّى في المؤتمرات. هذا وتوضّحُ المُدوّنةُ أنّ التّراجمةَ مهما اختلفتْ طريقةُ تكوينهم وتمايزت خبراتُهم وتخالفت لغاتُ عملهم؛ فإنّهم يلجؤون إلى التكتيكات نفسها:

لكي يجتازَ التّرجمانُ حاجزَ التّعرّفِ إلى المصطلحاتِ التّقنيةِ وفهمِها في أولى مراحلِ التّرجمةِ (مرحلةُ الاستماعِ والتّحليلِ)، يعتمدُ على سبعِ تكتيكات وهي:

1-يسعى التّرجمانُ لترجمةِ المصطلحِ ومعناهُ مُهتديًا بالسّياقِ معتمدًا على زادهِ المعرفي مقتفيًا أثرَ المؤشّرات التي تتجلّى لهُ. وقدْ يبدو هذا الأمرُ الذي كنّا قدْ أشرنا إليهِ آنفا بديهيًا؛ بيدَ أنّهُ يتحوّلُ إلى تكتيكٍ في حالِ ما إذا كانَ نابعًا من إرادةِ التّرجمانِ الذي يتطوّعُ لبذلِ مجهودهِ ويختارُ الأمورَ التي يركّزُ عليها انتباهَهُ. ويلجأ التّرجمانُ لهذا التكتيكِ، إذا طبعَ كلامُ المتحدّث لهجةً غريبةً تصعّبُ على التّرجمانِ فهمَ الكلماتِ؛ ويسمحُ هذا التكتيكُ بترجمةِ مصطلحٍ بالكادِ مفهومٍ أو مسموعٍ ترجمةً كاملةً؛ غيرَ أنّه مُكْلفٌ للوقتِ والجهدِ، ممّا يعرّضُ عمليةَ التّرجمةِ لفقدانِ توازُنِها، بحيثُ لا يتسنّى للتّرجمانِ سماعَ بقيّةِ الخطابِ.

2- يستنجدُ التّرجمانُ برفيقهِ وهو ترجمانٌ ثانٍ يتواجدُ داخلَ حجرةِ الترجمةِ غيرُ مدعوٍ للترجمةِ؛ وإنّما يكمنُ دورهُ في مساعدةِ التّرجمانِ النّشطِ (الرّئيس)، بحيثُ يركّزُ تركيزاً شديداً على الاستماعِ، ومنهُ يصغي ويفهمُ بشكلٍ أفضلٍ من التّرجمانِ النّشطِ، ويملكُ حرّيةً أوسعَ في تصفّحِ معجمٍ ما أو أيّة وثيقة أخرى في سبيلِ إيجادِ الحلّ، وهنا ما على التّرجمانِ النّشطِ إلاّ أن يتردّدَ أو يشيرَ للتّرجمانِ المرافقِ أو يومي لهُ أو يكتُبَ لهُ على الورقةِ كلمةً ويُتبعَها بعلامةِ استفهامٍ حتّى يعرفَ التّرجمانُ المرافقُ ما المطلوبُ منهُ؛ وفي الفرقِ الجيدةِ يمكنُ التنبّؤُ بالصّعوباتِ والبحثُ عنِ الحلولِ في وقتٍ وجيزٍ ودون انتظارٍ. ولعلّ هذا التكتيكَ أحسنُ التكتيكاتِ التي يمتلكها التّرجمانُ داخلَ حجرةِ التّرجمةِ؛ لأنّهُ مقتصدٌ للوقتِ والجهدِ، ويمنحُ صاحبَهُ فرصًا كثيرةً لإيجادِ المعلومةِ المنقوصةِ؛ بيدَ أنّهُ يفرضُ تواجُدَ ترجمانٍ مرافقٍ، وهوَ ما يُعتبَرُ شرطًا غيرَ متاحٍ دائمًا.

●تعتمدُ التّرجمةُ الشّفويةُ اعتماداً كبيراً على الجملة العصبية، وتجبرُ التّرجمانَ على الرّكونِ إلى الرّاحة على فتراتٍ متواترة، ومنهُ إذا كانتْ التّرجمةُ تتمٌ داخلَ الحجرةِ الواحدةِ في أكثرِ من لغةٍ فإنّ التّرجمانَ لا يستطيعُ أن يرتاحَ إلاّ بتواجدِ فريقٍ مكوّنٍ من ثلاثة تراجمةٍ على الأقلّ، فكلّما تعبَ ترجمانٌ عوّضهُ رفيقُهُ؛ أمّا إذا تشكّلَ الفريقُ من ترجمانين اثنين؛ فإنّ الواحدَ منهما لا يستطيعُ أن يمكُثَ داخلَ الحجرةِ لفترةٍ طويلةٍ لأنّ نشاطَهُ سيتراجعُ.

●ولهذا فالتّراجمةُ أمامَ حتمية التّحضيرِ خلالَ فترةِ عملِهم.

●أخيراً، يحبّذُ التّراجمةُ العملَ على انفرادٍ ويضجرونَ إذا ما رافقَهُم تراجمةٌ آخرون، لأنّهُم يوقنونَ بنقاطِ ضعفهم، وبالتالي يخجلونَ ما إن اكتشفَ ترجمانٌ آخر ذلكَ.

3- في غيابِ التّرجمانِ المرافقِ، يلجأُ التّرجمانُ إلى البحثِ في الوثائقِ المتوفّرةِ لديهِ داخلَ الحجرةِ نحوَ وثائقِ العملِ والمعاجمِ وقوائمِ المفرداتِ...الخ؛ ومنهُ يعتمدُ هذا التكتيكُ اعتماداً كبيراً على التّحضيرِ؛ لأنّ التّرجمانَ إذا ما نظّمَ مصطلحاتِه تنظيماً ورتّبَ وثائقهُ ترتيباً، سيتسنّى لهُ فيما بعدُ إيجادَ المصطلحِ الدّقيقِ ويسهلُ عليهِ فهمَ المعلومةِ التي يستقبلُها أثناءَ التّرجمةِ. إنّ هذا التكتيكَ ذو أهمّيةٍ لأنّه يُمكّنُ التّرجمانَ من إيجادِ حلٍّ لمشكلتِهِ بمجرّدِ أن يرميَ بطرفةِ عينٍ على الوثيقةِ؛ غيرَ أنّ تصفّحَ المعجمِ يتطلّبُ جهداً جهيداً ووقتاً معتبَراً، وهو ما لا ننصحُ بهِ إلاّ إذا تعلّقَ الأمرُ بمعلومةٍ مهمّةٍ أو إذا كانَ الخطابُ غيرَ ثريٍّ نوعا ما بالمعلوماتِ، وكانَ منسوبُهُ متوسّطَ السّرعةِ.

4- يمكنُ أن يبسّطَ التّرجمانُ الفكرةَ وهوَ يُترجمُها؛ لكنّهُ بهذا لا ينقلُها نقلاً وافياً؛ بيدَ أنّ فهمَها سيكتملُ في ذهنِ المستمعِ إذا كانَ سياقُ ورودِها واضحاً أو إذا كانت مرفقةً بسنداتٍ مرئيةٍ نحوَ وسائلِ العرضِ المتمثّلةِ في صورِ العرضِ الشّفّافةِ والرّسومِ البيانيةِ.

5- تُعتبرُ التّرجمةُ التّقريبيةُ طريقةً آليةً وفعّالةً لأنّ المستمعَ غالباً ما يفهمُ المعنى من خلالِ السّياقِ وبفضلِ زادِهِ المعرفي؛ بلْ لا ينتبهُ أحياناً حتّى للصّعوباتِ التي يتعرّضُ لها التّرجمانُ؛ لا سيما إذا تعلّقَ الأمرُ بأسماءِ الأعلامِ مثلَ "عددُ فرود" و" ملحقةُ ياغي" أو بمصطلحاتٍ تُنطقُ نُطقاً قريباً من نُطقِ مكافئاتِها في لغةِ الوصولِ.[14]

6- إذا كانَ الخطابُ ثريّاً بالمعلوماتِ وكانَ منسوبُهُ سريعاً، يُضطرُّ التّراجمةُ إلى استنفادِ طاقاتهم كلّها وعليهِ إنْ هم لم يفهموا نقطةً معيّنةً أو قدّروا أنّها ليستْ ذاتَ أهمّيةٍ كبيرةٍ، فإنّهمْ سيتجاوزونها ويستمرّون في ترجمةِ باقي الخطابِ.

– إذا لم تكنْ عمليةُ الحذفِ هذهِ نابعةً من خيارِ التّرجمانِ وإرادتِه، فإنّها تُعتبرُ في هذهِ الحالةِ حادثاً لا تكتيكاً؛ حيثُ إنّ من شأنِ جهدي الذّاكرةِ والتّعبيرِ أن يُضعفاَ جهدَ السّمعِ وبالتّالي يُضيّعُ التّرجمانُ المعلومةَ دون وعي؛ بيدَ أنّ هذا الحذفَ إذا ما كانَ خياراً

تكتيكياً؛ فإنّ التّرجمانَ سيتخلّى كلياً عن المعلومةِ حاذفاً المصطلحَ التّقني المعبّرِ عنها، بحيث يمكنُ تبريرَ اللّجوءِ لهذهِ العمليةِ في كونها مقتصدةً للوقتِ والجهدِ، ممّا يمكّنُ التّرجمانَ من التّركيزِ على العناصرِ المهمّةِ من الخطابِ وإقصاءِ العناصرِ الثّانويةِ. وتجدُرُ الإشارةُ هنا إلى أنّهُ كلّما كانتْ الظروفُ التي يعملُ فيها التّراجمةُ صعبةً، زادَ احتمالُ تضييعهم للمعلوماتِ حتّى ولو كانوا على قدرٍ عالٍ من الكفاءةِ.

7- لمّا يلحظُ التّرجمانُ أنّهُ ضيّعَ معلومةً مهمّةً، يمكنُ أن يتوقّفَ عن عمليةِ التّرجمةِ توقّفاً مؤقّتاً مخبراً مستمعيه بتضييعه للمعلومةِ، وهنا سيتدخّلُ المستمعونَ الذين قد يطلبون توضيحاتٍ من المتحدّث مباشرةً أو عندَ نهايةِ العرضِ.

– إنّ هذهِ التّقنيةَ غيرُ شائعةٍ بينَ التّراجمةِ لأنّها تضيّعُ الوقتَ وتضعُ سمعةَ التّرجمانِ على المحكّ ولو على حسابِ نزاهتِه.

– كلُّ هذه التكتيكات باستثناء التكتيك الأوّل يمكنُ أن تخدمَ المرحلةَ الثّانيةَ للتّرجمةِ ألا وهي عمليةُ التّعبير؛ فلكي يتخطّى التّرجمانُ صعوباتِ التّعبيرِ عن المصطلحاتِ الواردةِ في لغةِ الانطلاق ونقلها إلى لغةِ الوصولِ، يلجأُ أيضًا للتكتيكات الآتية:

8- الشّرحُ أو إعادةُ الصّياغة: وهيَ أن يشرحَ التّرجمانُ أو يعيدَ صياغةَ – وهوَ يُترجمُ - مصطلحاتٍ تفتقدُ لمقابلاتٍ في لغتهِ أو غريبةٍ عليهِ أو غيرُ مفهومةٍ لديهِ.

9- التّوطينُ*: ويُقصَدُ به تغييرُ شكلِ المصطلحِ التّقني أو صوتهِ ليبدو متماثلاً لمصطلحاتِ لغةِ الوصولِ؛ فأثناءَ التّرجمةِ من اللّسانِ الفرنسي إلى اللسانِ الانجليزي، يكونُ مقابلُ لفظةِ télédétection مثلاً remote sensing؛ غيرَ أنّه يجوزُ ترجمتها ب teledetection منطوقةً على الطّريقةِ الانجليزيةِ.

إنّ تقنيةَ التّهجينِ هذه منبوذةٌ من لدنِ المتعصّبينَ للغةِ الوصولِ، وغيرُ شائعةٍ في أوساطِ المترجمين؛ غيرَ أنّه يمكنُ تفسيرَ سببِ تبنّيها من قِبلِ التّراجمةِ بتزامنيةِ العمليةِ ووقتيةِ الكلامِ، وهي بذلكَ تساهمُ في توفيرِ الوقتِ والجهدِ وتكونُ فعّالةً في الحالاتِ الثّلاثةِ الآتية:

– إذا كانتْ لغةُ الانطلاقِ ولغةُ الوصولِ كلتاهما تنتميانِ للعائلةِ اللّسانيةِ نفسها مثلما هو شأنُ الاسبانيةِ والفرنسيةِ؛ فإنّ المتلقيَ يفهمُ معنى المفرداتِ الأجنبيةِ لأنّها تشبهُ مفرداتِ لغتهِ الأم وتشتركُ معها في الجذرِ نفسه.

إذا كان "الاستيرادُ المعجمي" عملةً متداولةً بينَ لغتي الانطلاقِ والوصولِ كليهما مثلما هو شأنُ اللّغتينِ اليابانيةِ والعبريةِ اللتين تبنيتا العديدَ من المصطلحات الانجليزيةِ وأوجدتا لها مرادفاتٍ في معجمِها إلى أن أصبحتْ المصطلحاتُ المستوردةُ تتعايشُ سلمياً مع مصطلحاتِ

اللّغةِ المستوردةِ. وفي المجالِ التّقني، يلجأُ التّرجمانُ لعمليةِ التّهجينِ اللغوي موظّفًا مفرداتٍ موجودةٍ سلفًا في معجمِ اللغةِ التي يترجمُ فيها أو مستحدثًا أخرى قريبةً منها.

– إذا كانَ المستمعونَ متعوّدينَ على قراءةِ نصوصٍ تقنيةٍ في لغةِ الانطلاقِ دونما فهمِها بسهولةٍ عندَ سماعِها؛ فإنّهم لا يجدون عناءً في التّعرّفِ إلى المصطلحِ المتخصّصِ الذي قدْ ينطقُهُ التّرجمانُ نطقًا قريبًا من نطقِ هؤلاءِ المستمعينِ للمصطلحِ ذاتِهِ.

ملاحظةٌ: إنّ عمليةَ التّوطينِ هذهِ منتشرةٌ بفعلِ هيمنةِ بعضِ اللغاتِ على الميادينِ العلميةِ والتّقنيةِ.

10- إنّ النّقلَ الصّوتي للمفردةِ إلى لغةِ الوصلِ* قد يضلّلُ المستمعَ، مثلما هو الحالُ عندَ ترجمةِ المفردةِ الانجليزيةِ « yellowfin » بنقلِ خصائصها الصّوتية نفسها إلى الفرنسية التي توفّرُ مكافئا معجميًا لهذهِ العبارةِ وهو « thon jaune ». وتعتبرُ هذهِ الطّريقةُ أقلّ فعاليةً من تقنيةِ التّوطينِ لأنّ نطقَ الكلمةِ نطقًا أجنبيًا قدْ يضلّلُ المتلقّي حتّى وإن كانَ على درايةٍ بها في شكلِها المكتوبِ، فإن هيَ تصلحُ بينَ لغتينِ متقاربتينِ مثلما هو حالُ الايطالية مع الاسبانية، فهي مضلّلةٌ عندَ التّرجمةِ بينَ الانجليزيةِ واليابانيةِ حيثُ يكونُ من الأجدرِ هنا تبنّي طريقةَ التّوطينِ.

11- المحاكاةُ: كأن يُترجَمَ المصطلحُ الاقتصاديُ الانجليزي « maturity date » إلى الفرنسيةِ بالعبارةِ « date de maturité »، وهو الذي يُقصدُ بهِ « date d'échéance » (تاريخُ الاستحقاقِ)؛ وقدْ يكونُ هذا التكتيكُ فعّالاً عندَ التّعاملِ معَ مصطلحاتٍ مُتداولةٍ في مجالِ التكنولوجياتِ الحديثةِ حيثُ تتطوّرُ المصطلحاتُ بشكلٍ متوازٍ في عدّةِ دولٍ؛ بيدَ أنّهُ يتوجّبُ توخّي الحذرِ إذا ما تعلّقَ الأمرُ بمفرداتٍ قديمةٍ فالعبارةُ الفرنسيةُ « tour d'échelle » مثلاً والتي تعني حقّ مالكِ المنزلِ في العبورِ إلى جهةِ جارهِ من أجلِ الاعتناءِ بالجدارِ الذي يفصلُ بينَهُما، قدْ لا تؤدّي معناها الصحيحَ إذا ما هي حوكِيَتْ بالانجليزيةِ.

اختيارُ التكتيكاتِ:

لا يختارُ التّرجمانُ التكتيكاتِ المذكورةَ آنفًا منفردةً ولا اعتباطًا ولا حسمًا، فهو غالبًا ما يتبعُ خطواتٍ عديدةً متواليةً في سبيلِ تخطّي الصّعوباتِ التّرجميةِ، فقدْ يترجمُ أجزاءً من الخطابِ ناقلاً معناها أو مُوَطّنَهَا اعتمادًا على المصطلحاتِ التي بحوزتِه، أو يحذفُ أجزاءً أخرى حذفًا مؤقّتًا منتظرًا مساعدةً من رفيقِه، أو يقترضُ لفظةً ثمّ يشرحُها فيما بعدُ إذا ما سمحَ الوقتُ بذلكَ، أو يحذفُ الفكرةَ مرّةً ومرّتينِ ثمّ يلجأُ إلى تكتيكٍ أنجعَ ما إن يعاودُ المصطلحُ الظهورَ ثانيةً.

*يسمّى عند النقل إلى العربية بالتّعريب (المعرّب)

يعتمدُ التّرجمانُ في اختيارهِ للتكتيكات على ثلاثةِ قوانين خاضعةٍ للعواملِ النّفسيةِ وهي كما يلي:

1/ السّعيُ لتقديمِ المعلومةِ في أفضلِ أشكالِها وفي أوانِها:

ترى (دانيكا سيليسكوفيتش) أنّ التّرجمةَ الشّفويةَ تتمثّلُ أساسًا في "تحصيلِ المحتوى المعرفي ونقله"[15]. وفي المؤتمراتِ ذات الطّابعِ التّقني، يرى التّرجمانُ أنّ مهمّتَهُ الأولى تتمثّلُ في نقلِ المعلومة فيختارُ التكتيكاتِ المناسبةَ لذلكَ ساعيًا لتوظيفِ الأنجعِ منها؛ وعليهِ فإنّ هذا القانونَ يحبّذُ التّقنياتِ التي تضمنُ نقلَ المعلومةِ نقلاً وافيًا، وبالتّالي يُعتبرُ تصفّحُ مسردِ المصطلحاتِ أنجعَ من عمليتي التّبسيطِ والتّوطين، لأنّ الطّريقةَ الأولى تضمنُ إيجادَ المفردةِ المفتقدةَ؛ بينما الطريقتينِ الأخريينِ تنقلان المعلومةَ نقلاً منقوصًا أو عشوائيًا.

2/ قانونُ "تداخل أقلّ":

ينبّهُ هذا القانونُ من الأخطارِ التي تنجرٌ عندَ اختيارِ التّرجمانِ للتكتيكاتِ في سبيلِ ترجمةِ الأجزاءَ المتبقيّةَ من الخطاب، إذ ترتبطُ هذهِ الأخطارُ بالطّاقةِ والوقتِ المستهلكينِ وبمدى استنزافِ التكتيكِ المتّبعِ للجهدِ والوقت. ويرى هذا القانونُ أنّ تقنيةَ الحذفِ على انعدامِ مردوديتها أفضلُ من تقنيةِ التّبسيطِ المكلفةِ للوقتِ والجهدِ بالرّغمِ من ارتفاعِ مردوديتها في نقلِ المعلومةِ.

3/ قانون "جهد أقلّ":

لا يأخذُ هذا القانونُ في الحسبانِ الاعتباراتِ التّقنيةَ؛ بيدَ أنّ أثرَهُ طاغٍ على أغلبِ نشاطاتِ الإنسانِ[16] لاسيما في جانبها اللّساني[17]. ويتجلّى هذا المفهومُ في أبحاثِ (ديجين لوفيال) (Le Feal K.Déjean[18]) (1978) و(موزر) (Moser[19]) (1978) كليهما حول التّرجمةِ الشفويةِ، و(بينشوك) (I.pinchuk[20]) الذي يعتبرُهُ مبدءًا أساسيا لعمليةِ التّرجمة. ويحبّذُ هذا القانونُ بدورهِ التّقنياتِ الأقلّ استنفاذًا للطّاقة.

– تجدرُ الإشارةُ إلى أنّ التقنيةَ الوحيدةَ التي أجمعتْ عليها هذه القوانينُ على اختلافها هي تقنيةُ الاستنجاد بالتّرجمانِ المرافقِ؛ ولهذا فإنّ العملَ في فرقٍ مشكّلةٍ من ثلاثةِ تراجمةٍ أو أربعة أمرٌ مهمٌّ.

*يسمّى كذلك ب "الدّخيل"

يخضعُ التّرجمانُ بقصدٍ أو بدونِ قصدٍ لهذهِ القوانين الثّلاثة حيثُ ترتبطُ أهميّةُ الواحدِ منها بالعوامل النّفسيةِ والأخلاقية، فالتّرجمانُ الذي يضعُ نُصبَ عينيه الضميرَ المهنيَ يختارُ القانونين الأوّلين لأنّهما يساهمان في نقلِ المعلوماتِ نقلاً أفضلَ من نقلِ القانونِ الثّالثِ لها؛ أمّا إذا تعرّضَ التّرجمانُ للتّعبِ وكانَ يشتغلُ في ظروفٍ غيرِ مريحةٍ ولم يتوفّرْ على وثائقِ المؤتمرِ أو لاحظَ عدمَ اكتراثِ القائمينَ على شؤونِ المؤتمرِ بالتّرجمةِ الشّفويةِ، فإنّهُ سينتهجُ بدون شكٍّ قانون "العمل بجهد أقلّ"؛ والمترجمُ النّزيهُ هو من يصارحُ مستمعَهُ بتضييعه للمعلومةِ؛ لكنّ تكرارَ ذلكَ خلالَ التّرجمةِ نفسها يضربُ مصداقيتَهُ ويقلّلُ من مفعولِ الخطابِ، ولهذا يبتعدُ التّراجمةُ عن هذهِ التّقنيةِ متذرّعينَ بأنّهُ لا مناصَ من تضييعِ معلوماتٍ مهمّةٍ في ظلّ الظّروفِ السّيئةِ المحيطةِ بالتّرجمةِ.

العواملُ المتحكّمةُ في جودةِ التّرجمةِ:

إنّ المعلوماتِ الواردةَ في ثوبِ المصطلحاتِ التّقنيةِ تختلفُ نسبُ ضياعِها كلّيًا أو جزئيًا في التّرجمةِ الفوريةِ، إذْ تبلُغُ 80 بالمائة تارةً ولا تربوا عن 10 بالمائةِ طوراً، وهذا استناداً إلى المدوّنةِ التي درسناهاَ وعليه فهذهِ الإحصائياتُ مثيرةٌ للجدلِ، غيرَ أنّنا وبعدَ تحليلنا للمدوّنةِ اكتشفنا بأنّ هناكَ ثلاثةُ عواملٍ قدْ تتحكّمُ في قدرةِ التّرجمانِ على التّعاملُ مع صعوباتِ التّرجمةِ في شقّها المصطلحي، وهي على النّحو الآتي:

1/ سرعةُ كلامِ المتحدّث:

يبدو جليًا أنّ سرعةَ كلامِ المتحدّث أهمٌ العواملِ المؤثّرةِ؛ فبالرّغمِ من أنّ حسابَ نسبةِ تأثيرِ هذهِ السّرعةِ على فقدانِ المعلوماتِ أمرٌ مستعصٍ؛ إلاّ أنّه من الواضحِ كلّما أسرعَ الخطيبُ في كلامِه، كلّما ارتفعت نسبةُ ضياعِ المعلوماتِ والتي ما إن تبلغَ حدّاً معيّنًا، لن يتمكّنَ أيٌّ عاملٍ آخر من إصلاحِ الخللِ.

2/ طريقةُ تقديمِ الخطابِ: تلاوةً أمْ ارتجالاً:

إنّ ترجمةَ الخطابِ المتلوّ أصعبُ من ترجمةِ المداخلاتِ المرتجلةِ؛ لأنّ محتواهُ المعرفيّ ثريٌّ ومنسوبَهُ سريعٌ وخيالَهُ فقيرٌ[21]؛ بيدَ أنّهُ وحدَهُ الكفيلُ بتمكينِ التّرجمانِ من المعرفةِ القبليةِ بالمصطلحاتِ التّقنيةِ وغالبًا ما تُفضي ترجمةُ النّصوصِ المتلوّةِ إلى خطاباتٍ مبهمةٍ نوعًا ما، يشوبُها التّداخلُ اللّغوي ويصعُبُ على المتلقّي فَهمَها؛ لكنّ المدوّنةَ تبرزُ أنّ ترجمةَ هذا النّوعِ من الخطاباتِ تحملُ في طيّاتِها مصطلحاتٍ متخصّصةٍ كثيرةٍ معبّرةٍ عن الأفكارِ الواردةِ في لغةِ الانطلاقِ[22].

3/ خبرةُ التراجمةِ ومعارفُهم المتخصّصةُ:

يُجمعُ عددٌ كبيرٌ من التّراجمة أنّهم لا يحفظونَ المصطلحاتِ التّقنيةَ إلاّ عندَ قدومِ موعدِ المداخلةِ لكن سرعانَ ما ينسوها بعدَ ذلك[23]، ويقولُ بعضُهم إنّهم يحصّلونَ المصطلحاتِ التّقنيةَ وينمّوها على مرّ السّنين[24]؛ لكنّ يبدو أنّ المدوّنةَ التي بينَ أيدينا تصبُّ في خانةِ الموقفِ الثّاني، فالإحصائياتُ توضّحُ أنّ المصطلحاتِ التّقنيةَ التي يلمُّ بها التّراجمةُ المحنّكونَ مجهولةٌ من لدنِ الجددِ، وهو ما يسمحُ للفئةِ الأولى بترجمةِ الخطابِ ترجمةً متناسقةً؛ في حينِ تبقى الفئةُ الثّانيةُ مكتوفةَ الأيدي. هذا وتُعَدُّ مكسبًا الذّخيرةُ المعرفيةُ التي يحصّلُها الشّخصُ في إطارِ تكوينٍ في مجالٍ ما أو من خلالِ الخبرةِ التي يكتسبُها من مهنةٍ معيّنةٍ، إن ما هوَ دُعيَ لترجمةِ خطاباتٍ تصبُّ مواضيعُها في مجالِ اختصاصه؛ بيدَ أنّهُ لا يستطيعُ مضاهاةَ التّرجمانَ في وظيفتهِ كلّما ابتعدَ موضوعُ المحاضرةِ عن هذا المجالِ، وهو حالُ ذلكَ المتخصّصِ في مجالِ الإحصاءِ الذي راحَ يُترجمُ مواضيعَ ذاتَ الصّلةِ بهذا المجالِ ترجمةً أفضلَ من ترجمةِ زملائه التّراجمةِ غيرِ المتخصّصين؛ لكنَ سرعانَ ما تدنّى مستواهُ مقارنةً بمستواهم بمجرّدِ أن أصبحَ موضوعُ المحاضرةِ يدورُ حولَ الإحصائياتِ الدّيمغرافيةِ.

كما يسهلُ تعديدُ عاملينِ آخرين رغم صعوبةِ قياسِ أثرهما وهما:

4/ استراتيجيةُ التحضيرِ المنتهجةُ:

يتجلّى بشكلٍ عامٍ أنّ تحضيرَ المصطلحاتِ أفضل بكثيرٍ من تحضيرِ المعارف؛ لأنّ التّقني المتخصّصِ في مجالهِ يهتمُّ بجزئياتِ الخطابِ، فهوَ يرى عمومًا في التّرجمانِ السّاعي لفهمِ الخطابِ وإفهامهِ ذلكَ الشّخصَ غير الكفؤِ. وعليهِ، فإذا اطّلعَ التّرجمانُ على ميدانٍ ما بواسطةِ الكتبِ المبسّطةِ وغيرها، سيلمُّ بخطوطهِ العريضةِ التي ستُعرضُ في النّقاشاتِ والاجتماعاتِ السّياسيةِ ويتجنّبُ الإحراجَ لكنّ هذا النّوعَ من التّحضيرِ يصبحُ أقلّ فعاليةً إذا ما تعلّقَ الأمرُ بالمؤتمراتِ ذاتِ الطّابعِ التّقني حيثُ تكمنُ أهمّيةُ الخطابِ في جوانبهِ الدّقيقةِ، وتقولُ لوديرير في هذا الشّأن : "إنّ ما يجعلُ وضعيةَ التّرجمانِ تختلفُ عن وضعيةِ المتحدّث عمومًا اهتمامُ الأوّلِ بالمعنى العامِ للخطابِ أكثرَ من اهتمامهِ بجزئياتهِ أي وحداتُ المعنى."25 ولكي يتمكّنَ التّرجمانُ من تتبّعِ الخطابِ عليهِ أن يفهمهُ على مستوياتهِ النّوويةِ والجزئيةِ وما بين الجزئيةِ، إذ ينبغي لهُ أن يفهمَ الرّوابطَ الوظيفيةَ بينَ الجملِ والعباراتِ وكذلكَ تسلسلَ الأفكارِ؛ إلاّ أنّ هذهِ العمليةَ تجهدُ التّرجمانَ وتجعلُ أداءهُ متدنّيًا.

توضّحُ المدوّنةُ أنّ هناكَ تراجمةٌ كثرٌ استطاعوا أن يترجموا الخطابَ ترجمةً جيّدةً دونَ أن يفهموهُ بكلّ تفاصيلِه؛ ولكي تكونَ طريقةُ التّحضيرِ فعّالةً ما على التّرجمانِ إلاّ أن يُسبِقَ عمليةَ البحثِ في المصطلحاتِ التّقنيةِ بشرحٍ وفهمِ أساسياتِ العلومِ والتّقنياتِ التي تنضوي تحتَ لوائها هذه المصطلحاتُ لكن يمكنُ أنْ يكونَ أداءُ التّرجمانِ جيّداً على الميدانِ حتّى ولو لم يمرّ عبر هذهِ المرحلةِ.

5- اللّغةُ التي يعبّرُ بها الترجمانُ:

من المتعارفِ عليهِ أنّ الجمعيةَ الدّوليةَ لتراجمةِ المؤتمرات AIIC تُلزِمُ التّرجمانَ بالتّرجمةِ إلى لغتهِ الأمّ أو ما يشبهُها؛ أمّا إذا اقتضتِ الضّرورةُ وفقًا لمقتضياتِ السّوقِ، يمكنُ أن يترجمَ إلى لغتهِ الأجنبيةِ الأولى أي اللغة (ب)،[26] إذ ترى (سيليسكوفيتش)[27]، في هذا الشّأن، أنّ أداءَ التّرجمانِ في لغتهِ الأمّ يكونُ أحسنَ من أدائه في لغته الثّانية، أمّا (بروس بران) (Bros-Brann[28]) يذهبُ إلى أبعدِ من ذلكَ موضّحًا أنّ التّرجمةَ الفوريةَ تتعدّى كونَها مجرّدَ ترجمةٍ حرفيةٍ للخطابِ الأصلِ؛ وعليه لا يمكنُ أن نترجمَ إلاّ إلى اللّغةِ الأمّ لكنّ المدوّنةَ لم توضّح فروقًا كبيرةً في هذا الشّأن، فإذا اتّفقنا على أنّ حالاتٍ مثلَ ركاكةِ الأسلوبِ وأخطاءِ اللّغةِ تكثُرُ عندَ التّرجمةِ من اللّغةِ الأمّ إلى اللّغةِ الثّانيةِ؛ فإنّ حالاتِ عدمِ فهمِ المصطلحاتِ التّقنيةِ فهماً دقيقًا، وكذا حذفَ الأفكارِ تكثرُ عندَ التّرجمةِ من اللّغةِ الثّانيةِ إلى اللّغةِ الأمّ؛ لكن على ما يبدو أنّ التّرجمانَ يمكنُ أن يتجاوزَ صعوباتِ التّعبيرِ في اللّغةِ (ب) إذا ما كانَ يمتلكُ قدرةً عاليةً على فهمِ الخطابِ في اللّغةِ (أ) .

الخاتمة:

إنّ عمليتي جمعِ المعطياتِ واستغلالِها (دراستِها) في مجالِ ترجمةِ المؤتمراتِ ذاتِ الطّابعِ التّقني حديثتا العهد، كما أنّنا لازلنا بعيدين عن التّحليلِ الدّقيقِ للإحصائياتِ المتعلّقةِ بذلكَ؛ فنحنُ لم نقطعْ بعد أشواطًا متقدّمةً من البحثِ في مجالِ التّرجمةِ الفوريةِ؛ وعليهِ كيفَ بنا أنْ ندرسَ ظواهرَ أكثرَ تعقيداً وعشوائيةً ونحنُ لم نتخطّ بعدُ مرحلةَ استجلاءِ الخطوطِ العريضةِ للظّاهرةِ نفسِها؟

تُبرزُ المعطياتُ التي بحوزتنا والمتعلّقةُ بالجانبِ المصطلحي أنّ السّوادَ الأعظمَ من المعلوماتِ التي يضيّعُها التّرجمانُ خلالَ المؤتمراتِ ذاتِ الطّابعِ التّقني يرجعُ سببُها إلى عجزِ التّرجمانِ عن فهمِ المصطلحاتِ التّقنيةِ والتّعبيرِ عنها (ترجمتها). ونظراً لكثرةِ المصطلحاتِ وتنوّعِها في كلّ محاضرة، فإنّ التّرجمانَ لا يكونُ فعّالاً في أدائه إلاّ إذا حضّرَ جيّدًا قبلَ كلّ اجتماعٍ. هذا ويتجلّى من خلالِ المدوّنةِ أنّ جودةَ الأداءِ ومردوديّتَهُ مرتبطتينِ بمدى تحضيرِ التّرجمانِ للمصطلحاتِ التي سيجابهها لمّا يستدعى لترجمةِ النّصوصِ المتلوّةِ والمعادةِ صياغتها.

إنّ السعيَ لنقلِ المعلوماتِ نقلا كاملاً أثناء الاجتماعاتِ التّقنيةِ يفرضُ تبنّـي طرائـقَ غيرَ تلكَ الشّائعةَ:

– إنّ التّرجمةَ الأكثرَ فعاليةً هيَ تلكَ التّرجمةُ التي تقتربُ من التّرجمةِ المنظورةِ ولا تبتعدُ كثيراً عن الخطابِ المرتجلِ.

– ينبغي إعادةُ النّظرِ في فكرةِ " التّرجمة من اللّغةِ (ب) إلى اللّغةِ (أ) هي الأفضلُ" ، إذ يجبُ على دعاة هذهِ الفكرةِ أن يقدّموا توضيحاتٍ لسانيةٍ في المستقبلِ، ثمّ إنّ نقاطَ الضّعفِ المكتشفةَ على مستوى اللّغةِ (ب) مقارنةً باللغةِ (أ) تمهّدُ الطّريقَ للاجتهادِ في التّحسينِ اللّغوي المتخصّصِ، هذا الجانبُ الغائبُ حاليا عن برامجِ المدارسِ المتخصّصةِ في التّرجمةِ.

– إنّ البحثَ المصطلحي مهمٌ في مرحلةِ التّحضيرِ، والأخذُ بهذهِ الفكرةِ يفترضُ إعادةَ النّظرِ في المناهجِ المتبنّاةِ؛ إذ أنّ التّراجمةَ الذين حاجتهم للمصطلحاتِ أكبر من حاجةِ المترجمينَ التّقنيين لها، يعملونَ في ظروفٍ صعبةٍ وهم يتعاملون مع القواميسِ والمعاجمِ، ممّا يؤدّي بهم إلى تقديمِ ترجمةٍ تقريبيةٍ كانت ستكونُ أحسنَ إذا ما هم وظّفوا أدواتٍ معجميةٍ جيّدةٍ؛ لكنّ التّحضيرَ للتّرجمةِ وتبنّي خططٍ أثناءها لا يكفلان تخطّي الصّعوباتِ كلّها والتّي غالبًا ما تُسبّبُ ضياعَ كمٍّ معتبرٍ من المعلوماتِ (هذا الضياعُ يحدثُ في ذهنِ التّرجمانِ، كما لم تُدرسُ بعدُ آثارُ هذا الضياعِ على مدى استقبالِ المتلقي لهُ، وهُنا ينبغي الانطلاقُ من فرضيةِ النّسبةِ)

وعليه يمكنُ أن نُشيرَ إلى أنّ هناكَ نوعينِ من التّرجمةِ الشّفويةِ، تتمثّلُ الأولى في التّرجمةِ الكلاسيكيةِ حيثُ يلبسُ التّرجمانُ ثوبَ المتحدّث فينقُلُ شخصيتَهُ وأسلوبَهُ تزامنًا مع نقلهِ للمعلوماتِ؛ بينما تتعلّقُ الثّانيةُ بالتّرجمةِ التّقنيةِ حيثُ يكونُ التّرجمانُ متدخّلاً مختلفًا عن المتحدّث متحرّرًا من شخصيتهِ ساعيًا لنقلِ المعلومةِ نقلاً وافيًا. هذا وتختلفُ الأوصافُ والمؤهّلاتُ الخاصّة بهذينِ الاختصاصينِ، ممّا يدعو إلى تبنّي طرائقَ تكوينٍ ومناهجَ خاصّة بكلّ اختصاصٍ على حدة.

الهوامش:

[1] SELESKIVITCH, Danica, *l'interprète dans les conférences internationales,* Paris, Minard, 1968.

[2] LEDERER, Marienne, *la traduction simultanée-fondements théoriques*, Paris, Larousse, 1978.

[3] DEJEAN LE FEAL, Karla, *lectures et improvisations-incidences de la forme de l'énonciation sur la traduction simultanée*, doctorat de 3e cycle, université de la Sorbonne nouvelle, Paris, 1978.

[4] SELESKIVITCH, Danica, *l'interprète dans les conférences internationales,* Paris, Minard, 1968, p 155.

[5] LEVINSON,S et LIBERMAN, M, « la reconnaissance de la parole par ordinateur » dans *pour* la science, édition française de Scientific American, n° 44, juin, 1981.

[6] HORMAN, Hans, *introduction à la psycholinguistique*, Paris, Larousse, 1972, p 78.

[7] SELESKIVITCH, Danica, *l'interprète dans les conférences internationales,* Paris, Minard, 1968, p 151.

[8] SELESKIVITCH, Danica, *langages,langue et mémoire*, Paris, Minard, 1975, pp 41-53.

[9] MOUNIN, George, *les problèmes théoriques de la traduction*, Paris, Gallimard, 1976, p 48.

[10] GUELBERT, Louis, *la créativité lexicale*, Paris, Larousse, 1975, p15.

[11] KOURGANOFF, Vladimir, « quelques traquenards du thème scientifique anglais », dans Traduire, n° 103, juin/I, 1980, p04.

[12] Gille, Daniel, « textes spécialisés : techniciens ou traducteurs ? », dans Traduire, n° 105, décembre, IV, 1980.

[13] LEDERER, Marienne, *la traduction simultanée-fondements théoriques*, Paris, Larousse, 1978 , p168.

[14] SLAMA-CAZACU, Tatiana, *langage et contexte*, La Haye, Mouton, 1961.

[15] AIIC, *Enseignement de l'interprétation, dix ans de colloques (1969-1979)*, Genève, 1979, p34.

[16] ZIPF, G.K, *Human Behavior and the principle of least effort*, New York, Hefner Publishing Co, 1956.

[17] MILLER, George A, *langage et communication*, Paris, PUF, 1956.

[18] DEJEAN LE FEAL, Karla, *lectures et improvisations-incidences de la forme de l'énonciation sur la traduction simultanée*, doctorat de 3e cycle, université de la Sorbonne nouvelle, Paris, 1978.

[19] MOSER, Barbara, « A hypothetical Model and its practical applications », dans D.Gerver and H.W.Sinaiko : language interpretation and communication, New York and London, Plenum Press, 1977.

[20] PINCHUK, Isadora, Scientific andTechnical Translation, London, André Deutsch, 1977.

[21] DEJEAN LE FEAL, Karla, *lectures et improvisations-incidences de la forme de l'énonciation sur la traduction simultanée*, doctorat de 3e cycle, université de la Sorbonne nouvelle, Paris, 1978.

[22] DEJEAN LE FEAL, Karla, « l'enseignement des méthodes d'interprétation », dans Jean Delisle, l'enseignement de l'interprétation et de la traduction de la théorie à la pédagogie, Ottawa, Edition de l'université d'Ottawa, 1981, p95.

[23] AIIC, *Enseignement de l'interprétation, dix ans de colloques (1969-1979)*, Genève, 1979, p64.

[24] LEDERER, Marienne, « l'approche de l'inconnu » dans E.Weintraub, M.Lederer, J.de Clarens : « enseigner l'interprétation », Etudes de linguistique appliquée, n° 12, octobre-décembre, 1973, p118.

[25] LEDERER, Marienne, *la traduction simultanée-fondements théoriques*, Paris, Larousse, 1978 , p53.

[26] SKUNCKE,Marie-France, « rapport du colloque sur l'enseignement de la simultanée », Bulletin de l'AIIC,IV/2, aout, 1976, p104.

[27] SELESKIVITCH, Danica, *l'interprète dans les conférences internationales*, Paris, Minard, 1968, p 224.

[28] BROS-BRAN, Eliane, critical comments on HC. Barik's article « interpreters talk a lot, among other things », Bulletin de l'AIIC IV/1, Genève, mars, 1976, p17.

استراتيجيات الترجمة في الصحافة الرياضية

المؤلف 1: حنان رزيق المؤلف 2: إيمان بن محمد

ملخص: نتناول في هذه الدراسة موضوعا مهمّا من المواضيع المتعلّقة بالإعلام المتخصّص-الذي يعدّ مطلبا في التشريعات الإعلامية الجزائرية- ألا وهو الإعلام الرياضي والرهانات التي تواجهه، لاسيما إشكالية دقّة الخبر الرياضي أثناء نقله من لغة إلى أخرى، خاصّة في ظلّ الواقع اللّغوي الجزائري وتأثيره على هذا النقل.

وتعدّ الترجمة الصحفية أحد مقومات الصحافة الحديثة؛ حيث تولي مختلف وسائل الإعلام أهمية بالغة للترجمة وتستفيد جلّ مؤسسات الإعلام من خدمات المترجمين، **فماهي تحدّيات نقل الخبر الرياضي من لغة إلى أخرى، وما هي استراتيجيات ترجمة النص الصحفي الرياضي في ظل خصائصه التي تميّزه عمّا سواه؟**

للإجابة عن هذه التساؤلات، سنعرّج على كلّ من مفهوم النص الصحفي الرياضي وخصائصه ثم على استراتيجيات الترجمة، لنقوم بعدها بتحليل أحد النصوص الصحفية الرياضية، والمتمثّل في برقية وكالة الأنباء الجزائرية الخاصّة بتغطية البطولة الإفريقية للدراجات في مصر (دراجات/بطولة إفريقيا: **ميدالية ذهبية للجزائري حمزة منصوري**)، لنحاول في الأخير تقديم بعض الاقتراحات التي من شأنها التسهيل من عملية نقل الخبر الرياضي بكلّ دقة.

الكلمات الدالة: صحافة، صحافة رياضية، ترجمة، استراتيجية، استراتيجية الترجمة، النص الصحفي، وكالة الأنباء الجزائرية، برقية.

Abstract

There is no dispute that sports hold today a very important position as a field impacting individuals and nations. its news are followed throughout the world by a large number of people using different languages, making thereby the translation an essential tool for sports' news circulation. We focus through this paper, on the specificities of journalistic text conveying sports' information, as well as on the relevant translation strategies. Subsequently, this paper aims at defining the best translation strategies to be used in such type of texts. Finally, some recommendations are found to be useful for improving the journalistic sports text translation and overcoming the different hindrances linked to its translation.

Key words:

sports, sports' press, languages, translation, journalism, strategy, translation strategy, journalistic text.

مقدّمة: تُعنى دراستنا هذه بالجانب الترجمي للنص الرياضي الصحفي، إذ تتمتّع أخبار الرياضة بانتشار واسع، وبمتابعة كبيرة من لدن العديد من الأشخاص والمجتمعات الناطقة بلغات متنوعة ومختلفة فتتدخّل الترجمة لتسهيل عملية نقل الخبر الرياضي وفهمه في كلّ أنحاء العالم، فهي إحدى مقوّمات الصحافة الحديثة؛ حيث تولي مختلف وسائل الإعلام أهمّية بالغة للترجمة، كما وتستفيد جلّ مؤسسات الإعلام من خدمات المترجمين، **فماهي استراتيجيات ترجمة النص الصحفي الرياضي؟**

بغية الإجابة عن هذا التساؤل سنعرّج على كلّ من مفهوم النص الصحفي الرياضي وخصائصه وكذا تطور التنظير الترجمي وعلاقته باستراتيجيات الترجمة ونتطرق بعدها إلى الأنواع المختلفة لهذه الاستراتيجيات الترجمية، لنقوم في الأخير بتحليل أحد النصوص الصحفية الرياضية، والمتمثّل في برقية وكالة الأنباء الجزائرية الخاصة بتغطية البطولة الإفريقية للدرّاجات في مصر (درّاجات/بطولة إفريقيا: ميدالية ذهبية للجزائري حمزة منصوري)، ساعين بذلك إلى استنباط الاستراتيجيات المستعملة لترجمتها.

بعدها بتحليل

2 النصّ الصحفي الرياضي: يعود تاريخ الصحافة الرياضية إلى عهد الإغريق واهتمامهم الشديد بتسجيل إنجازاتهم وبطولاتهم الرياضية، وكذا ولعهم الشديد بالتغنّي بها من خلال مختلف أنواع الأشعار والملاحم والإلياذات؛ أمّا اليوم، فقد اكتست الصحافة الرياضية أبعادا مهنية وتجارية أخرى؛ حيث أصبحت من بين أكثر الأنواع الصحفية شعبية ورواجا بين مختلف شرائح المجتمع، "هي تلك الصحافة التي تعالج أساسا الموضوعات الرياضية، والتي توجه أساسا إلى الجمهور المعني بالرياضة المختصّ أو المهتمّ أو الهاوي؛ أي إنّها تتوجّه إلى هذه الشرائح المختصّة والمعنية بالأنشطة الرياضية"[1] .

ويمتاز النصّ الصحفي الذي تستعمله الصحافة لإيصال الخبر الرياضي بعدّة خصائص أهمّها بساطة اللّغة والترابط والتجانس دون الانتقال المفاجئ المربك بين الجمل والفقرات ومحاولة جذب الانتباه والسعي إلى الإقناع والتأثير[2]، كما يضطلع النص الصحفي الرياضي بعدّة وظائف على غرار الإعلام والإخبار، والشرح والتفسير والتوضيح والتعليل، والنقد والتعليق، والتثقيف الرياضي، والتوثيق والتأريخ، وحتى التنقيب عن الفساد وكشف الانحرافات[3].

أمّا لغة الرياضة، سواء أكانت في ميدان الصحافة أم في ميدان آخر، فهي لغة تخصصية؛ أي إنّها لغة طبيعية تُستعمل كناقل للمعرفة المتخصّصة[4]، وبالتّالي، تندرج ترجمتها ضمن مجال الترجمة التخصصية، فلا يكفي المخزون المعرفي المشترك بين أكبر عدد من الأشخاص للقيام بعمليتي فكّ رموز الرسالة وإعادة ترميزها، فيتم الاستعانة بالمعارف المتخصّصة[5]، كما تتميّز هذه اللّغة بغناها بالمصطلحات الرياضية، لذا فإنّ التمكّن الجيّد من المصطلح وكذا الإلمام بجانبيه النظري والتطبيقي أمر ضروري لإتقان هذا النوع من الترجمات[6].

الاستراتيجية: ارتبطت كلمة "استراتيجية" بالمجال العسكري وبالخطط الحربية، فلطالما تعلّقت بكلّ ما يستعمل من مخططات للتفوّق على العدو والانتصار عليه، ونجد مفهوم الاستراتيجية مستدبّا في مختلف اللّغات الأوربية أو اللغات الإغريقية/اللاتينية، ففي الألمانية نجد strategie، وفي الروسية strategija وفي الهنغارية (المجرية) strategi ، وعندما نقول agein stratos فهو مصطلح الإستراتيجية ذاته مقسم إلى جزأين ويعني "الجيش الذي ندفع به إلى الأمام". وبوصل طرفي الكلمة stratos و agein نحصل على strategos وهذا يعني " الجنرال "، والفعل strategô يعني قاد أو أمر؛ أمّا الصفة منها strategikos والتي تجمع strategika فهي تعني وظائف وأعمال الجنرال بالمفهوم العسكري وتعني الصفات التي يمتلكها الجنرال، الاستراتيجية إذا هي فنّ القيادة للجيش أو بشكل أشمل هي فن القيادة[7].

وعلى هذا المنوال اقترح قاموس المعاني الالكتروني تعريفا متمثّلا في أنّ الاستراتيجية فنٌّ منَ الفُنُونِ العَسْكَرِيّةِ وَيُقْصَدُ بِهِ التّخْطِيطُ وَتَحْدِيدُ الوَسَائِلِ الّتِي يَجِبُ الأخْذُ بِهَا فِي القِمّةِ وَالقَاعِدَةِ لِتَحْقِيقِ الأهْدَافِ البَعِيدَةِ، من جهة؛ ومن جهة أخرى، فإنّ الاستراتيجية تحمل معنى أشمل من الميدان العسكري فهي خُطّة شاملة في أيّ مجال من المجالات "وضعت الحكومة إستراتيجيّة مستقبليّة للنهوض بالاقتصاد القوميّ"، كما تُعرّف كذلك على أنّها براعة التّخطيط وذلك بغضّ النظر عن ميدان ذلك التخطيط.

الاستراتيجية في الترجمة: يشهد مفهوم استراتيجيات الترجمة غموضا كبيرا، فكثير ما يخلط بينه وبين بعض المفاهيم الترجمية الأخرى (على غرار أساليب الترجمة أو غيرها)؛ غير أنّنا ومن خلال التعريف اللّغوي السابق يمكننا أن نستنتج أنّ الاستراتيجية هي مجموع الطرائق المستعملة للتغلّب على الصعوبات والعقبات لبلوغ هدف معين، وبإسقاط هذا التعريف على ميدان الترجمة؛ فإنّ الاستراتيجية في الترجمة هي مجموعة الأساليب والتقنيات والمقاربات والنظريات...الخ التي يتمّ استعمالها بغية تجاوز مشاكل الترجمة وعقباتها للوصول إلى أحسن ترجمة ممكنة.

"تُعدّ الاستراتيجية مفهوما أشمل من مفهوم الأسلوب، ويحيل استعماله بالتالي إلى الطريقة المستعملة لترجمة عنصر/ وحدة ما (بما فيها نص ككل) ... فالاستراتيجية إذا تربط بين الأساليب"[8]

أنواع استراتيجيات الترجمة: لقد فرّق (بال) (Bell) 9 (1998: 188) بين نوعين من الاستراتيجيات وهما: الاستراتيجية الشاملة global strategy وهي التوجّه الكلّي المطبّق على وحدة ترجمية معيّنة، والاستراتيجية المحلّية local strategy وهي الأساليب والطرائق المستعملة لترجمة جزء أو أجزاء من وحدة ترجمية كاملة على غرار الكلمات والتعابير الجاهزة.

أمّا (فينوتي) [10](Venuti) (1995) فقد استعمل مفهومي التوطين والتغريب للدّلالة على الاستراتيجية الترجمية، فالتوطين domesticating هو تملّك النص وإعادة كتابته وفق متطلبات اللّغة المستقبلة ليتقرّب النص من القارئ ويسهل عليه فهمه واستيعابه، أمّا التغريب foreignizing فهو يسعى للحفاظ على الاختلافات اللّغوية والثقافية من خلال الانحراف عن القيم المحلية السائدة، وبالتالي فالنص المترجم لا يقرأ كالنص الأوّل؛ و لكن على العكس لابد له من أن يحمل آثارا واضحة عن كونه ترجمة.

هذا ويلخّص الجدول التالي ما سبق:

الاستراتيجية الشاملة (طرائق الترجمة)	الاستراتيجية المحلية (أساليب الترجمة)
الاستراتيجية الكلية المطبقة على وحدة ترجمية (كاملة) معينة: أ) التوطين ب) التغريب	الأساليب المستعملة لترجمة جزء أو أجزاء من وحدة ترجمية كاملة على غرار الكلمات والتعابير الجاهزة...الخ: التكافؤ، التصرف، الحذف، الإضافة...

جدول1: أنواع استراتيجيات الترجمة

وسنركّز اهتمامنا فيما يلي على إحدى برقيات وكالة الأنباء الجزائرية، المتعلّقة بتغطية البطولة الإفريقية للدراجات في مصر، ساعين بذلك إلى التعرف على الاستراتيجيات المستعملة لترجمتها:

Cyclisme/ Championnats d'Afrique : l'Algérien Hamza Mansouri en or.vendredi, 17 février 2017 16:15

أمثلة من البرقية باللّغة الفرنسية	أمثلة من البرقية المترجمة إلى اللّغة العربية	التعليق
Cyclisme/ Championnats d'Afrique: l'Algérien Hamza Mansouri en or	دراجات/بطولة إفريقيا: ميدالية ذهبية للجزائري حمزة منصوري	استعمل المترجم أسلوب التطويع وهو التعبير عن الفكرة ذاتها بوجهة نظر مغايرة، إذ عوّض الصورة البيانية في التعبير الفرنسي Mansouri en or بأسلوب مباشر بسيط متمثل في ميدالية ذهبية لمنصوري. فتخلّى المترجم عن الصورة البيانية وترجم المعنى فقط (وتلافى بالتالي استعمال منصوري ذهبيا وذلك كما جاءت في اللّغة الفرنسية)، وآثر التعبير بأسلوب عربي بغية تقريب الفكرة للقارئ العربي وتوطين الأسلوب. غير أنّ التكافؤ لم يتحقق فلم يصل المترجم إلى الأثر ذاته الموجود في النص الأصل، فكان بالإمكان استعمال منصوري من ذهب (صورة بيانية عربية مكافئة) ليتمّ الحفاظ على المعنى والشكل والأثر مع احترام عبقرية اللّغة العربية في الآن ذاته.
Le coureur algérien Hamza Mansouri	فاز الدرّاج الجزائري حمزة منصوري	احترم المترجم سياق مصطلح coureur وترجمه بدرّاج فالترجمة الحرفية لـcoureur كانت لتكون "متسابق" غير أنّ المعرفة الجيّدة بالمصطلح وسياقه سمحت للمترجم باستعمال الترجمة بالتكافؤ التي خدمت المعنى والشكل.
en course contre la montre individuel	السباق ضدّ الساعة فردي.	لجأ المترجم إلى استعمال الترجمة الحرفية عند ترجمة هذه المصطلحات الرياضية، كونها تفي في هذا السياق بالمعنى، كما أنها مصطلحات متعارف عليها في اللّغة العربية.
course en ligne élite.	سباق على الخط – نخبة	لجأ المترجم إلى استعمال الترجمة الحرفية عند ترجمة هذه المصطلحات الرياضية؛ لكنها لم تف في هذا السياق بالمعنى، فالترجمة المتحصل عليها هي ترجمة غير متعارف عليها في لائحة الإتحاد العربي للّعبة، إذ يُتَرجَم مصطلح course en ligne ب الفردي العام كما هو منصوص عليه في قانون الاتحاد الدّولي UCI. من جهة أخرى؛ فإنّ المصطلح Elite في السياق الرياضي الخاص برياضة الدراجات يقبل عدة ترجمات واستعمال المترجم لمصطلح النخبة هو من بين الاختيارات المتاحة؛ غير أنّ استعماله في هذا السياق بالتحديد هو

		استعمال غير موفق، فالمقصود بالمصطلح Elite هنا هي الفئة العمرية للدراجين الذين تفوق أعمارهم 23 سنة، ولا يقصد به النخبة أي تصنيف الدراجين أو مستوى أدائهم. وبالتالي؛ فإنّ الترجمة الأكثر ملاءمة لهذا السياق هي سباق الفردي العام – لفئة 23 سنة فما فوق.
Mansouri a remporté au sprint la course	وسجل منصوري في السباق توقيتا قدره 2سا 31د 03ج	عبارة au sprint تعني فاز بالسباق في اللحظات الأخيرة بعد منافسة مع المتسابقين الآخرين حتى آخر نَفَس فلم يكن بعيدا عن منافسه المباشر أي لم يفز بفارق كبير. ولقد اكتفى المترجم بنقل التوقيت مع إغفال المعنى المحدد للعبارة au sprint وكان حريًا بترجمتها ب "وفاز منصوري في اللحظات الأخيرة بالسباق" أو ب "وفاز منصوري "بالسرعة النهائية". وبالتالي لم يوفّق في نقل المعنى كاملا ويرجع ذلك ربما إلى سهو المترجم عن هذا التفصيل المهمّ.
qui se déroulent à Louxor (Egypte)	الجارية بمدينة الأقصر المصرية	اعتمد المترجم على الترجمة بالإضافة محترما بذلك طريقة تعبير اللّغة العربية وعبقريتها التي تحبذ إضافة بعض التفاصيل والإيضاحات على غرار إضافة (شهر) قبل ذكر اسم الشهر مثلا، شهر جانفي أو شهر مارس أو غيرها، أو على غرار الترجمة المقترحة من لدن مترجم وكالة الانباء والمتمثلة في إضافة (مدينة) قبل الاسم (الأقصر) وغيرها كثير من الأمثلة.
devant son compatriote Oussama Chablaoui. Le Marocain Abdellah Loukili complète le podium.	متقدّما على الجزائري الاخر أسامة شبلاوي و المغربي عبد الله لوكيلي	غفل المترجم عن نقل معنى son compatriote وكان أحرى بترجمتها ب"مواطنه" للتركيز كما هو الحال في النص الأصل على الجنسية الجزائرية لكل من الفائز ووصيفة.

جدول2: تحليل برقية وكالة الأنباء الجزائرية

6- النتائج

1-ينبغي على المترجم الصحفي في ميدان الرياضة أن يظهر اقتدارا في التعامل مع مهارات الكتابة الصحفية التحريرية، فليس كافيا (بالنسبة له) مجرّد الإلمام بقواعد الكتابة باللّغة المترجم إليها؛ وإنّما من الضروري أن يلمّ بخصوصية الكتابة الصحفية ومهاراتها (محمود، 2009: 17) وكذا الإحاطة بخصوصيات الميدان الرياضي والتمكّن من مصطلحاته.

ويشهد الواقع الصحفي الرياضي الترجمي بعضا من:

- الأخطاء في نقل المصطلحات؛
- إهمال نقل بعض التفاصيل المهمّة في النصّ الأصلي؛
- إيراد بعض المقابلات غير المكافئة ممّا يؤدّي إلى غياب الدقّة في بعض الأحيان وهذا ما يؤثّر سلبا على المعنى العام للنصّ الأصلي؛

2-تمنح الأولوية في الترجمة الصحفية الرياضية للتوطين بغية ملاءمة الخبر الصحفي للجمهور المحلّي فالأساليب المستعملة في الترجمة الصحفية هي على العموم الأساليب التي تخدم استراتيجية التوطين.

بمعنى أنّ الاستراتيجية المحلّية (أي مختلف الأساليب الترجمية) تكون بالمجمل في خدمة الاستراتيجية الشاملة (استراتيجية التوطين)، "يصبح التوطين المطلق الاستراتيجية السائدة عند التطرّق إلى ترجمة الخبر، فتُشَكّلُ المواد الخبرية لتلائم الجمهور المستهدف وتخاط على قياس احتياجاتهم وتوقعاتهم "[11] (Bielsa et Bassnett, 2009 : 10)

غير أنّنا نلاحظ في الواقع الصّحفي الترجمي المتعلّق بميدان الرياضة، بعض أساليب استراتيجية التغريب وتداعياتها على غرار الترجمة الحرفية، خاصّة فيما يخصّ نقل المصطلحات، ويرجع ذلك إلى غياب المكافئ في اللّغة المنقول إليها لأنّ بعض المصطلحات الرياضية تنتمي في الأساس إلى واقع اللّغة الأجنبية، فاللّغة العربية لا تنتج المصطلحات؛ بل تقترضها من اللّغات الأخرى.

7- **بعض التوصيات**: التعاون بين المترجمين وفنيّي الاختصاصات الرّياضية المختلفة، للوصول إلى أصح ترجمة ممكنة؛

- فتح تخصصات جامعية تُعنى بالترجمة الصحفية الرياضية؛
- الاحتكاك بين الصحفيين والفنيّين المختصّين في مختلف أنواع الرياضات من خلال التربصات الميدانية؛

- السهر على ترقية أنشطة التكوين المتواصل والقيام بدورات لتحسين المستوى وتجديد المعلومات لفائدة المترجمين والصحفيين؛

الملحق:

البرقية:

http://www.aps.dz/sport/53490-cyclisme-championnats-d-afrique-l-alg%C3%A9rien-hamza-mansouri-en-or

ترجمة البرقية:

http://www.aps.dz/ar/sport/39962%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%AC%D8%A7D8%AA%D8%A8%D8%B7%D9%88%D9%84%D8%A9%D8%A7%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%AF%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A%D8%A9%D9%84%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1%D9%8A-%D8%AD%D9%85%D8%B2%D8%A9-%D9%85%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B1%D9%8A

قائمة المراجع

1. ابو زيد، ف. (1990). **فن الكتابة الصحفية**، ط4. القاهرة: عالم الكتب.

2. المدني، غ. (2006). **الصحافة الرياضية النشأة التطور**، ط2. القاهرة: دار الهاني للطباعة والنشر.

3. Bell, R. T. (1998). *Psychological/cognitive approaches*. In M. Baker (Ed), Routledge encyclopedia of translation studies. London & New York: Routledge.

4. Bielsa, E . Bassnett,, S. (2009): *Translation in Global News*. Londres : Routledge.

5. Gil-Bardají, A. (2010). "La résolution de problèmes en traduction : quelques pistes. Meta : journal des traducteurs / Meta: Translators' Journal, 55(2), 209-415

6. Guidère, M. (2008). Introduction a la traductologie: Penser la traduction, hier, aujourd'hui, demain. Belgique: de Boeck

7. Lörscher, W. (1991). Translation Performance, Translation Process and Translation Strategies: A Psycholinguistic Investigation. Tübingen : Gunter Narr Verlag.

8. Mailhac, J. (2006). Descriptions vs. Instructions in Grammar Teaching, Foreign Language Teaching in Tertiary Education. Athens: Ekdoseis Dionikos.

9. Mounin, G. (1976). Linguistique et traduction. Bruxelles : dessert margada

10. Newmark, P. (1988). A Textbook of Translation. Hertfordshire: Prentice Hall.

11. Venuti, L. (1995).The Translator's Invisibility : A History of Translation. Londres : Routledge.

12. Lerat, P. (1995). Les langues spécialisées. France : presses universitaires de France.

13. Lethuillier, J. (2003). L'enseignement des langues de spécialité comme préparation à la traduction spécialisée, META, 48, (3), 379-392.

12. Presas Marisa:

http://www.cogtrans.net/pubs/Presas-Corbella2005.pdf

قاموس المعاني

http://www.almaany.com/ar/dict/ar-

12. صلاح نيوف (مدخل إلى الفكر الإستراتيجي):

http://boulemkahel.yolasite.com/resources/

الهوامش:

[1] غازي زين عوض المدني، **الصحافة الرياضية النشأة التطور**، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، (2006)، ط2، ص 15

[2] فاروق أبو زيد، **فنّ الكتابة الصحفية**، عالم الكتب، القاهرة، (1990)، ط4، ص 180

[3] المدني، مرجع سابق ص 31

[4] Lerat, P. (1995). Les langues spécialisées. France : presses universitaires de France p20.

[5] Lethuillier, J. (2003). "L'enseignement des langues de spécialité comme préparation à la traduction spécialisée", META, 48, (3), 379-392.

[6] Guidère, M. (2008). *Introduction a la traductologie: Penser la traduction, hier, aujourd'hui, demain*. Belgique: de Boeck p138.

[7] صلاح نيوف، مدخل إلى الفكر الإستراتيجي، http://boulemkahel.yolasite.com/resources/ تاريخ 2013 زيارة الموقع مارس 2016

[8] Mailhac, J. (2006). Descriptions vs. Instructions in Grammar Teaching, Foreign

[9] Bell, R. T. (1998). *Psychological/cognitive approaches*. In M. Baker (Ed), Routledge encyclopedia of translation studies. London & New York: Routledge.

[10] Venuti, L. (1995).*The Translator's Invisibility : A History of Translation*. Londres : Routledge.

[11] Bielsa, E., . Bassnett,, S. (2009): Translation in Global News. Londres : Routledge.

فکر عالمی مترجم

الأبعاد الأنثروبولوجيّة والثقافيّة للعولمة*

المؤلف: مارك إبليس ترجمة: عبد الحميد بورايو

1 - العولمة كتجربة أنثروبولوجيّة: مهما فكّرنا في المجادلات حول الصفة المستجدّة أو غير المستجدّة للعولمة، نجد أنفسنا مجبَرين على تقرير أنّ ذاتنا في العالم توجد مباشرة موسومة بهذه الوضعيّة. لنستدع فقط إدراكنا الفطريّ للفضاء والزمن. حتّى في مستوى هذه الأشكال البديهيّة للإحساس، من أجل شرح تعبير كانت Kant الشهير، حصل شيء له سمة متعلّقة بحدسنا بالمسافة وبالتزامن. وهكذا بيّنه (دافيد هارفي) [1] (David Harvey)، إذ يقع تحوّل تمثيلنا للفضاء وللزمن أثناء فترة يموقعها بين اكتشافين لإنشتاين هما نظرية النسبية المحدودة (1905) ونظرية النسبية العامة (1916). إنّها فترة السلاسل الأولى للتركيب في مصنع فورد (FORD). تقسيم المهامّ وتجسّدها في الفضاء يضمن فعاليّة قصوى وسيولة كبرى لفيض الإنتاج. بفضل هذا التنظيم الفضائي، يحدث تسريع الزمن. إنّ أوّل إشارة إذاعة تمّ إرسالها في نفس الفترة من برج إيفل Effel يسجّل أيضا إمكانية تجاوز الفضاء. سلطة الاتصالات بدون سلك ظهرت بوضوح في نفس العام مع الشيوع السريع لنبإ غرق سفيتة الطيطانيك Titanic. أصبح يوجد منذ ذلك الوقت زمنا عموميّا متجانسا وشاملا يُستخدَم من خلال كلّ الفضاء. والثمانية وثلاثون مليارا من المكالمات الهاتفية التي جرت في الولايات المتحدة في 1914 عكست سلطة تدخل الزمن والفضاء العمومي في الحياة الخاصة.

وفي نهاية القرن العشرين، لم يعد في الإمكان فصل تكنولوجيات الاتّصال الجديدة عن تسارع عامّ لصيرورات اقتصاديّة واجتماعيّة، ولم تعد المسافة والزمن تشكّلان عوائق كبرى بفضل أقمار الاتصال الصناعيّة واللوح. أدّى تكثيف الترابطات البينيّة إلى إعادة تنظيم فعليّة للزّمنيّة ممّا سمح لأشخاص يتواجدون على مسافات معتبرة بأن يتقاسموا نفس التجربة. أمكن ملاحظة كيف أنّ أحداثا منقولة كبرى –وليكن الأمر متعلقا بحرب، مباراة كرويّة، أو حفل لموسيقى (الروك) (ROCK)- كان تلقّيها ممكنا معا في مختلف أنحاء الكرة الأرضية. نفس الشيء، التبادلات المالية أصبحت تُمارَسُ في وقت حقيقيّ بدون مراعاة بعد المراكز المعنية. حسب (هارفي) (Harvey)، هذا الانضغاط للفضاء-الزمن هو معطى أساسيّ للعالميّة. تقصير للزمن وتضييق للفضاء هما وجهان لنفس الظاهرة.

إنّ صيرورة تكثيف وتسريع مثل هذه تميّز الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة؛ تقع تماما في امتداد التحوّلات التقنية لبدايات القرن العشرين؛ ومع ذلك، تندرج في السياق الأكثر عموميّة لأزمة فَرْطِ التراكم الذي أصاب الرأسماليّة ابتداء من سنوات السبعينيات، والذي أوصل إلى قبول النموذج الجديد لإنتاج ما بعد-الفورديّة post-fordiste. شوهد حينذاك نموّ نظام تراكم مرن. فالمرونة تفرض نفسها ليس فقط في محيط الانتاج؛ لكن أيضا في سير سوق العمل، في تصوّر المنتجات والنماذج. حسبما كتبه (هيرفي) (Harvey)، يُشَاهَدُ نموُّ« قطاعات إنتاج جديدة تماما أساليب جديدة في تعويض الخدمات المالية، وفوق ذلك كلّه، تكثيف لمقادير التجديدات التجاريّة التكنولوجية، والتنظيميّة. »[2] وسمحت المرونة بتحسين رفع رأس المال بتسريع إنجاز الإنتاج والاستهلاك. فالتعهّد والنقل، بتشغيل تكنولوجيات مراقبة إلكترونيّة، هي وسيلة تحديد زمن رقم الأعمال-turn over لرأس المال. بفضل الطرق الجديدة في تبادل المعلومة وبفضل عقلنة طرق التوزيع، تنتقل السلع في السوق بوتيرة أسرع، فالخدمات المالية أصبحت تُؤَدّى خلال أربع وعشرين ساعة على أربع وعشرين ساعة.

ومن المؤكّد جدّا، أنّ المرونة تصيب أشكال الاستهلاك مع التتابع السريع للموضات. تكون الموضة عادة سريعة الزوال: ليس هناك مثل « دكتاتوريّة» الموضة من أجل تغذية مستمرّة لرغبة التجديد، فمن أجل جلب المستهلك نحو ألبسة، أشياء، ألوان موسيقيّة، ألعاب هي نفسها محكوم عليها بالتجديد سريعا. وهذه القابليّة لتبخّر الرغبة التي بلغت أوجّها في افْتِتَانٍ بـ «الأشياء سريعة الاستعمال» تتماشى مع عالم التراكم المرن. عالم يتطلّب صورا، تَمَظْهُرَاتٍ، حيث تسبق الإشارة وتغطّي على الواقعيّ. وهكذا يصف جان بودريّارد (Jean Baudrillard) ما بعد الحداثة كانتصار للسطحيّ، للصورة المتحرّكة: تسجّل أمريكا بالنسبة له « انتصار السطح والوضعنة الخالصة على عمق الرغبة»[3]. ومن جهته، يبرز (بول فيريليو) (Paul Virilio) في مؤلّفه جماليّات الاختفاء[4] مجتمعا حيث لم يعد الفضاء والزمن يمثّلان بعدين ملزمين بالنسبة للأفراد.

وما يستقطب انتباه المتخصّصين بخصوص جوّ ما بعد الحداثة، هي طبعا السيولة الترابطات، الشبكات. وكيف يمكن تصوّر إعادة صياغة العالم؟ يظلّ هارفيHarvey متعلّقا بشكل من التنظير يسند للبنية القاعديّة (أسلوب الإنتاج والتبادل) دور المحرّك الأوّل. فلأنّ الرأسماليّة كانت في أزمة وتمّ خلق أشكال جديدة من التنظيم (ما بعد الفورديّة) أصبحت المرونة هي القاعدة. أصبحت أساليب الحياة وتمثيلات العالم تصاغ في تحوّلات أكثر عمقا. نعثر هنا على تأويل ماركسيّ، تقليديّ جدّا إجمالا. قريبا من هذا يضع هارفي

Harvey في مركز تأمّله شرط ما بعد الحداثة، وليس تحليل الرأسماليّة. إنّها التجربة الحديثة للزّمن في طور تشكّلها، يقدّمها لنا في صفحات مخصّصة للعمران، للفنون التشكيليّة وللآداب؛ حيث يهاجم العابر، المتشظّي، المنقطع، الفوضويّ، بالنسبة له ما يميّز ما بعد الحداثة، بقدر ما نجد ذلك عند بودلير Baudelaire نجده في هندسة الأبراج. وتجربة الزمن هذه والطريقة التي تنتهي بها في وسم الفضاء وعلاقتنا بالمدينة لا تنفصلان عن العولمة. في نفس الوقت، يُفْهَمُ أنّها لا تُخْتَزَلُ فقط في حتميّة تقنية اقتصاديّة وأنّ النظريّات التي تركّز قبل كلّ شيء على تحوّلات الاقتصاد تسدّ الطريق أمام نواح جوهريّة.

من المؤكّد أنّ كلّ ذلك صحيح. يذكر عالم الاجتماع أنثوني جيدّنس (Anthony Giddens)[5] كثافة العلاقات الاجتماعيّة على سطح الكرة الأرضيّة ويلحّ على تمدّد (stretching) العلاقات ما بين الوقائع المحلّيّة والوقائع البعيدة. هذا التموقع للمحلّيّ في الشبكة بالنسبة له هو المظهر الأساسي للعولمة. يشهد على ذلك، من بين أشياء أخرى، أنّ الرخاء المتزايد لمنطقة عمرانيّة في سنغافورة Singapour يكون في علاقة سببيّة، عبر شبكة معقّدة من علاقات اقتصادية شاملة، مع ما يصيب منطقة بيتسبورق Pittsburgh من فقر. حيث قد يكون بفعل التعرّض لتبعيّة بينيّة أثر مأساويّ على الحياة عندما يؤدّي إلى إلغاء مناصب عمل. لقد تمّ، منذ الآن فصاعدا، القضاء على المسافة الزمنيّة والتفاوت فيها، بفعل التدفّقات القصوى.

إنّ ما يميّز العالم الحديث، هو الحركة، أكثر طبعا من البنيات والتنظيمات المستقرّة. تشهد على ذلك تنقّلات البشر، وأيضا النموّ الخارق للعادة للاتصال الجماهيري، عن طريق الصور العابرة لمختلف أصقاع الكرة الأرضيّة. ومن وجهة نظر أنثروبولوجيّة يمكن تعريف العولمة باعتبارها تسريعا لتدفّقات رأس المال والكائنات البشريّة والسلع والصور والأفكار. أنتج هذا التكثيف للتفاعلات والترابطات البينية علاقات تتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية التقليدية. نفس الشيء أوصل« تمدّد » أطر الفعل إلى خرق حدود حتّى الأماكن الأكثر هامشية. فالصورة الذائعة الصيت للقرية الكونيّة لماك لوهان McLuhan يجب أن تفهم في معناها الدينامي: فالوعي الْمُعَوْلَم، قبل كلّ شيء، هو التبعيات البينية، التي تَبْنِي، رغمًا عنّا، وَعْيَنَا بالكون.

لقد كان الفرد قبل الآن يعيش ويفكّر ضمن حدود معيّنة. انطلاقا من مجرّد وجهة نظر جغرافيّة. وكانت الدولة الوطنيّة تمثّل مرجعا مستقرّا: في محيطها، يتّخذ البعد المحلّي أهمّيّة خارقة للعادة، مانحة لأعضاء المجتمع نقطة تجذّرهم الْمُفَضّلَة. وفي هذا

السياق، كانت البنيات الهويّاتيّة تُنْتَجُ في لعبة تقابل دائمة بين الذات والآخر، بين الداخل والخارج. إذ أنّ الهجرات، من ناحية، تدفّقات الوسائط العامّة؛ ومن ناحية أخرى، كسروا النظام القائم حينذاك. كما يقترح (أرجون أبادوراي) (Arjun Appadurai)، هذه الوضعيّة لا تعدّل فقط الحياة الماديّة للبشر، لكنها تنزع نحو منح دور غير مسبوق للمخيّلة[6]. وليس معنى ذلك أنّ المجتمعات السابقة لم تستدع بصفة واسعة، في إنتاجاتها المنهجيّة والأدبيّة أو الفنّيّة هذه الكفاءة؛ لكن منذ الآن فصاعدا لم تبق المخيّلة محدّدة بمجالات تعبير مخصوصة. لقد سيطرت على الممارسات اليوميّة، خاصة في وضعيّات الهجرة أين الناس مضطرّون لأن يبتدعوا في المهجر عالما خاصّا بهم، مستعملين جميع الصور التي توفّرها لهم الوسائط.

2 – **الأبعاد الثقافيّة للعولمة**: يمكننا إذن أن نتساءل إن لم يكن من الأهداف الرئيسيّة للمشروع الأنثروبولوجيّ تمثّل الأبعاد الثقافيّة للعولمة. وهذا لا يتطلّب فقط تموقعا لمختصّين يأتون لكي يكملوا معرفتنا بالنواحي الاقتصاديّة للظاهرة بمساهمة متمحورة على الثقافة. ويتعلّق الأمر بالأحرى ببيان أنّ البعد الثقافي هو في مركز الصيرورة، نظرا للمكانة التي تشغلها اليوم مخيّلة العولمة. ومع نتائج لم تكن متوقّعة، ظلّ خلال مدّة طويلة منظّرو الحداثة وناقدو الثقافة الجماهيريّة يطرحون حتمية دنيويّة العالم، المضفاة أكثر فأكثر على العقلانيّة العلميّة، تمّ التحقّق من أنّه على العكس من ذلك جعلت الوسائط من إعادة استعمال المخيّلة الجمعيّة من جديد أمرا ممكنا. وتشهد حركات اليوم الدينيّة، من بين أشياء أخرى، على هذا البحث عن تساميّات جديدة. أضف إلى ذلك، انتشار الصور التي من الممكن أن تبدو غير لائقة تماما بالنسبة لمن يتلقّاها هي أيضا ذريعة لصيغ في التملّك حيث تتجلّى إبداعيّة معتبرة. وهذا في انتعاشها بفعل تدفّق الصور وبعيدا عن الوقوع تحت تأثير فضاضة غلاة منتقدي الحداثة، تجد المخيّلة آفاقا جديدة. بفضل صور الفيديو، تعطي جماعات المهاجرين معنى لتجربتها، تتشكّل في كيانات جماعيّة في محيط غريب. ما علينا سوى ملاحظة التجارب الجمعيّة المرتبطة بالوسائط والطريقة التي تتشكّل بها عامّة الجمهور حول زعيم كارزمي، أو حول أحداث رياضيّة تهمّهم مباشرة حتّى وإن كانوا يعيشون بعيدين بآلاف الكيلومترات. كمثال، هذا المسلسل في حلقات الذي تتم مسرحته بصفة كبيرة والذي يتمثّل في كأس العالم لكرة القدم، المتابَع بحماسة من قِبَلِ الجمهور في كلّ مكان على سطح الكرة الأرضية. ولا تختلف عن ذلك رياضات أخرى، كما تشهد هذه المباراة للعبة الكركت cricket الشهيرة بين هنود وباكستانيّين

في كأس أستارزيا Austrasia التي جرت في إمارة الشارقة سنة 1996 وقد جنّدت خمسة عشر مليون متفرّج، من بينهم طبعا مواطنو الفرق المتنافسة، الموزّعين عبر العالم[7].

هناك تدفّق وترابط بينيّ كان من نتائجهما أيضا صنع ما مثّل بالنسبة للإثنولوجي، <<فلكيّ المجرّات البشريّة[8]>>، وشيء لا يعوّض: الخصوصيّات الثقافيّة. ألم تفضّل الأنثروبولوجيا على الدوام دراسة ماهو خصوصيّ، ما يميّز ثقافة ما نظرا لتجذّرها في الأرض والتاريخ؟ شيوع رؤية نسبيّة تنكر كلّ شكل من أشكال الإثنية المركزيّة، خاصة تلك التي تتأسّس على <<تعال>> ضمنيّ للثقافة الغربيّة، هي من خصائص المقاربة الأنثروبولوجيّة. على قدر ما يقال من أنّ الأنثروبولوجيّين متحمّسون للاختلاف، هم دوما يبحثون عن الأصيل، يجدون أنفسهم يُوَاجَهُونَ بواقع موسوم بصيرورات استئصال واجتثاث من الأوطان.

تؤثّر الهجرات في العمق على عوالم ثقافيّة كانت الحدود بينها تبدو وكأنّها غير قابلة للخرق. هل يمكن الحديث فقط عن اجتثاث ثقافي؟ لأنّه إذا ما كان التدفّق حادثا ما بين مختلف القارّات، يبقى التساؤل إذا ما كان لا يشتغل في اتجاه وحيد. فالأمثلة المذكورة دالّة، إلى حدّ يسمح لنا التوصّل إلى وجود نشاط موجّه توجيها واحديّا من المركز (الولايات المتحدة) نحو الأطراف: كتب أولف هانّرز Ulf Hannerz:<<شيئا فشيئا، ثقافة الأطراف تتمثّل أكثر فأكثر الدلالات والأشكال المستورَدة، لتصبح بالتدريج أقلّ اختلافا عن ثقافة المركز[9].>> هذا الانمحاء الذي يصيب الاختلافات مرادف لتجانس متنام. لقد أصبح ماكدونالد McDonald's وديزني Disney رمزين لهذه الإمبرياليّة التي تسعى إلى توحيد التعبيرات الثقافيّة. هل يمكن القول حينئذ بأنّ العولمة تتلخّص في مجرّد هيمنة خالصة؟

تؤثّر العولمة في المجتمعات في إعادة رسم الفضاء الاقتصادي الكوني وتَجْلِيَةِ سُلْطَاتٍ؛ تندسّ أيضا في حياتنا اليومية عن طريق تناقل الصور، أشياء استهلاكيّة، تناقل لا تقف في وجهه الحدود ولا المسافات. تبادل معمّم، كان من نتائج اقتصاد السوق كونه، يسمح بتقاسم نفس الانجذاب نحو أنماط من الغذاء، من اللباس أو من الموسيقى. هذا هو ما يشهد على تغيير في العمق. فالسكّان الأستراليّون الأصليّون أصبحوا يتابعون مسلسلات شمال-أمريكيّة، وكوكاكولا أصبحت إلى حدّ كبير مشروبا شعبيّا في إفريقيا كما في الصين أو في الولايات المتحدة؛ حتّى أنّه أصبح في الإمكان تناولها في قرى إفريقيّة أو في القطب الشماليّ؛ أصبحت مطاعم ماكدونالد McDonald's تلقى نفس النجاح في أمريكا العميقة وفي شنغاي – أصبح هذا لا يدهش أحدا. أكثر من ذلك، هذا النسق في الاستهلاك أنتج

نوعا من الفضاء« غير المعيّن» الذي يميّز حسب (مارك أوجي) (Marc Augé)[10] الحداثة الْمُتَجَاوِزَة »، بمساحاته الكبيرة، مطاراته، محطّات خدماته، سلاسله الفندقيّة. كتب يقول: "الأماكن غير المعيّنة تخلق التعاقدية الإفراديّة[11] في نفس الوقت، تشكّل عالما مشتركا حيث يمكن لكلّ واحد أن يجد ما يخصّه من مؤشّرات، مهما كان بعده عن موطنه الأصليّ.

وهل يمكن الحديث بالنسبة لهذا الموضوع عن شكل جديد من الثقافة التي تفرض نفسها تدريجيّا، متجاوزة الحدود ودون أن تمسّ الهويّات والتجذّرات في الأرض العزيزة على الأنثروبولوجيا التقليديّة؟ على العكس، هل هناك خطر بالزوال يبقى قائما، يسير نحو مجانسة غير مستساغة تسير نحو القضاء نهائيّا على ما صنعته الحضارات، في تنوّعها، من أشياء لها قيمتها؟ هذه الأسئلة تحتاج إلى الطرح في عصر تناضل فيه شعوب في سبيل حفظ تراثها وحيث مفهوم الاستثناء مثارا في أوروبا بغرض الدفاع عن بعض القطاعات مثل السينيما في مواجهة تدفّق إنتاج ثقافيّ غزير.

عندما تثار المسألة الثقافيّة، من الواضح أنّ القضيّة تتعلّق بنقاش سرعان ما يتّخذ بعدا سياسيّا ويستدعي على الدوام شيطنة للآخر ذات أشكال متطوّرة إلى حدّ ما والتي لا تتوقّف عند إدانة إمبرياليّة الثقافة الجماهيرية ذات السمة الأمريكيّة؛ بل تتزعّم مقاومة المقهورين من كلّ الأصول في مواجهة هذا الغازي الذي ما انفكّ يفرض مسلسلاته التلفزيونيّة، أفلامه الهليوديّة أكلاته الجاهزة وأحذيته الرياضية المصنوعة بأثمان رخيصة من قبل شعوب وقع استغلالها بصفة مفضوحة. على جبهة الثقافة، هل انتصر بيغ بروثر (*Big Brother*) نهائيّا؟ ليس هناك من شكّ في أنّ إدانة الإمبرياليّة الثقافيّة تستند على أساس واقعيّ فعلا.في نفس الوقت، لابدّ من الإقرار أنّ أغلب المجتمعات لم تفقد شيئا من خصوصيّتها.

إنّ هيمنة الأكل السريع الموجود في كلّ مكان في العالم قادت (جورج ريتزر)Ritzer (George)[12] إلى الحديث عن« مكدونالداويّة» McDonaldisation المجتمع الذي لا يَخُصُّ تأثيرُها الإطعامَ فقط، لكن أيضا التربية، العمل والترفيه، الحمية الغذائيّة، العائلة وحتّى السياسة. يتعلّقُ الأمر بأسلوب استهلاك يفضّل الفعاليّة ويوفّر إمكانيّة سدّ حاجة أوّليّة باقتصاد أكثر للوقت وللنقود في نفس الوقت. فمفهوم « ماكدونالدز» McDonald's يشغّل عقلانيّة دقيقة جدّا. فكلّ شيء بالفعل محسوب، من طول قطع البطاطس إلى كمّيّة اللحم، بحيث يحصل الزبون على ما يقابل نقوده. على هذا الأخير أيضا أن يصرف أقلّ ما يمكن من الوقت، بحيث يتناول وجبته

في أقلّ ما يمكن من الزمن. خصيصة أخرى لماكدونالدز McDonald's تتعلّق بالاستشراف: أين نحن في العالم، هل بالإمكان الحصول على نمط معين من الغذاء العائلي. أخيرا، صيرورة عمليّة الإنتاج تنزع إلى تحديد التكاليف باستدعاء تكنولوجيات تقلّص إلى أدنى حدّ الطاقات البشريّة المستخدمة.

وبخصوص نوعه، هذا النمط من الإطعام هو طريقة أخرى في تنفيذ ما قام بتجسيده بصفة مدهشة شارلي شابلان في الأزمنة الحديثة. نكون في زمن إعادة الإنتاجيّة[13]، يجد الزبون نفسه في جوّ عائليّ ولن يكون من حقّه سوى رفاه أدنى؛ لكي لا يتأخّر أكثر؛ ممّا قد يترتّب عنه تحديد مدخول هذا النمط من المؤسّسات. ماكدو، كما يقال بصفة حميمة، هو رمز لهذه الأشكال من الاستهلاك التي شاعت انطلاقا من الولايات المتحدة في العالم، فنالت نفس النجاحات في باريس، في موسكو أو في بيكين.

وفي قطاع آخر، نجح أداء ديزني في تغليب ذيوع إنتاجاته بين الأطفال وفي إقامة حضائر ترفيهية حتّى في أوروبا، له معه نقاط مشتركة. له نفس النزوع نحو عقلنة صيرورة عملية الإنتاج، الحدّ الأقصى من الفوائد والذيوع بين الملايين من الزبائن، وتجاوز كلّ حدود الأوطان، ليس في الوجبة، وإنما في الصور التي تشكّل مخيّلة الناس المنتمين لأصول متنوّعة.

لم تقم الماكدونالدويّة McDonaldisation إلاّ ببيان أطروحة العولمة التي فُهِمَتْ على أنّها أمبرياليّة ثقافيّة ومجانسة لأساليب استهلاك و للمخيّلة على الصعيد الكوني غير مستساغة. تستدعي لذلك كلّه عددا من التحفّظات، كما بيّن جيمس ل.واطسون (James L.Watson)في كتاب مخصّص بالذات لتلقّي ماكدونالدز McDonald's في آسيا الشرقيّة[14]. يرجع واطسونWatson إلى أطروحة القرية المُعَوْلَمَة حيث تفرض هيمنة تتطلّب على الدوام اندماجا أكثر وتوحّدا من خلال أوليّة شبكات الاتصال والشركات العابرة للحدود الوطنية، إلى حدّ تقليص الأوطان في حضيرة ذات موضوع شامل ومتجانس، في« ماك وورلد» McWorld ضخم، حسب تعبير بنيامين باربر (Benjamin Barber[15]). يوضّح إلى أيّ حدّ، في القارة الآسيويّة، يختلف تلقّي نسق ماكدونالدز حسب البلدان المستقبلة.

لم يكن انتشار نموذج الأكل السريع بسرعة قصوى مرتبطا حسب واطسون Watson بفرض نمط من الإنتاج المتماثل من بلد إلى آخر، لِيُطَبِّقَ نموذجٌ يُسَلِّطُ على جموع الناس المستهلكين بدون تمييز. على العكس من ذلك، يعود نجاحُه لمرونته الكبيرة، لقدرته على التكيّف مع وضعيات ثقافية مختلفة جدّا. يكفي إلقاء نظرة على الموادّ

المقترحة على مختلف البلدان. وفي إسرائيل مثلا، أين تمنع المعتقدات تقديماللحم والألبان معا، يتمّ تقديم البيغ ماكBig Mac بدون جبنة. الماكدونالدز الهندية، في ما يخصّهم، تخضع لتحريم لحم البقر عند الهنود وتحريم لحم الخنزير عند المسلمين: يقترحون ماكنوغجت McNugget بالخضر وماهاراجا ماك Maharaja Mac بلحم الغنم.

ولكنّ تبديل التشكيلة الأصليّة للمنتجات لا يتوقّف عند هذا الحدّ: ظهرت في تركيا الياغورثات yogourts؛ في إيطاليا، توجد سلطات من العجائن ويتمّ تقديم إسبيرسّوesperessos؛ في طايوان، في اليابان وفي هونغ كونغ هناك الطاريّاكي بورغر Teriyaki Burgers؛ وهناك الهنبورغر hamburgers المكوّنة من الخضر في الأراضي المنخفضة، الماك سباغيتي McSpaghetti في الفيليبين، ما كلاكس McLaks(قاعدته سمك السلمون) في النورويج وفرانكفورترFrankfurters في ألمانيا، هذا دون ذكر الماكهوف McHuevo في الأوروغواي...يسجّل (واطسون) (Watson) بأنّ ما هو ثابت فعلا في الكرة الأرضية من ماكدونالدز، ليس الهامبورغرhamburgers، البيغ ماك Big Mac كما يتبادر للذهن، لكنّه فقط الفري فرنش French fries، عنصر غذائي لا يمكن أن يوسم بأنّه يانكي yankee.

ويوصل هذا الاستنتاج إلى رفع اللبس عن أطروحة الأمبريالية الثقافية: نفس الشيء، إذا ما كانت ماك دونالدزMcDonald's تنزع إلى فرض نموذج للاستهلاك مسوّ بين الناس جميعا (انتظر دورك في الرتل مثل الجميع)، وتلاحظ استثناءات، مثلا في ريوديجانيرو، أين يمكن طلب شمبانيا كشراب مرافق للبيغ ماك Big Mac، وهو أمر لا يمكن تصوّره في الولايات المتحدة. بخصوص الاستقبال في المطاعم، إذا ما كانت ابتسامة النادلين في الولايات المتحدة تستدعي الرضا، مثل هذا السلوك في هونغ كونغ أو في كوريا، يثير حذر الزبائن. إنّ الأمر إذن يتعلّق بأوجه مركّزة: يعني ذلك وفق طريقتهم ما يقصدون نقله للمستهلكين.

وعند سرد هذه التناقضات، ينتهي (واطسون) (Watson) إلى أنّه من مساوئ أطروحة الإمبرياليّة الثقافيّة ، بكلّ بساطة وبصفة خالصة، تجاهل التاريخ والخصوصيّات المحلّيّة. فالمستهلكون ليسوا آليات؛ فصيرورة توطين محلاّت الماكدونالدز McDonald's تتضمّن مرحلتين على الأقلّ: في الأولى هناك إشباع لفضول الاستيراد وتفضيلٍ لخاصية « غرابة exotique » الإنتاج، لكن في مرحلة ثانية، يكون من الضروريّ تكييف العناصر الغذائيّة المقترحة مع الرغبات المحلّيّة اجتنابا لظاهرة الرفض. في الواقع، توطين النموذج هو

نتيجة تواطؤ: إذا ما كان قد أدرج تغييرات في الثقافة الأهليّة، لا بدّ أيضا من أن يكون قد عدّل من خصائصه العامّة لكي يكون متماشيا مع العادات والسنن المحلّي.

وتُعَدُّ حالة **ماكدونالدز** McDonald's مثالا دالاّ على أحسن وجه. يمكن من خلالها إدراك حدود رؤية واحديّة للعولمة مُتَصَوَّرَة باعتبارها فرضُ نفس النموذج الاستهلاكيّ على صعيد الكرة الأرضيّة. خطاب الأمبرياليّة العالميّة يفترض سلبيّة كلّيّة للمواطن؛ بينما يبدو الواقع أكثر تعقيدا. يكون الأمر متعلّقا بالأحرى بصيرورات إعادة حيازة متنوّعة تضع في حسابها مختلف التجلّيات. عبر الوسائط يتم نقل صور لها علاقة بمجالات متنوّعة جدّا، من الخيال إلى الاقتصاد، من السياسة إلى الرياضة، والتي هي قصص تنتظر الحيازة الممكنة من قبل هذا الجمهور الافتراضي. لا يشاهد مسلسل أمريكيّ بنفس الطريقة إذا ما كان المشاهد يابانيّا أو إسرائيليّا. تختلف حيازة المنتوجات الثقافيّة حسب السياقات، ويمكنها أن تسهم في دعم الخصوصيّات الفرديّة والهويّات، عكس كلّ شكل من أشكال المجانسة. وهناك أعمال حول تلقّي المنتوجات الثقافيّة الجماهيريّة ذات دلالة بهذا الخصوص، مثل هذه الدراسة حول تلقّي الأفلام الهوليوديّة من قبل مجموعة من السكان الأصليّين الأستراليّين، الوارلبيري Warlpiri[16]. هؤلاء الأخيرون، في قصصهم الخاصّة، يستعملون علاقات القرابة بين الأفراد ويعجبون من عدم التحديد الدقيق لها في مادّة هذه الأفلام: فلا تعرف جدّة روكي ولا من يعتني بزوجة أخيه. في المقابل، اهتمام الوارلبيريWarlpiri بالحوافز الفرديّة للشخصيات ضئيل، ما دام في محيطهم تطغى الطبقة على الفرد. أين ينزعون في تأويلهم لسلوك الشخصيات إلى ردّها إلى ثقافتهم الوطنيّة.

إنّ الاستقبال بعيد عن أن يكون محايدا، فهو يشغّل مرجعيات تاريخية تحكم تأويل الرسالة. وهناك مثال آخر يوضّح أهمّية هذا النشاط التأويلي؛ يتعلق الأمر بتلقّي سلسلة دالاس عن طريق عيّنة تتضمّن مجموعات مختلفة من الإسرائيليّين[17]. بعضهم من أصل روسي، يرون في سلوكات الشخصيات انعكاس لحتمية اجتماعيّة، بينما الإسرائيليّون من أصل مغربي اندهشوا للطابع الفضّ لهذا العالم، إنّه غابة حقيقيّة حيث الأفراد يجب أن يصارعوا من أجل فرض ذواتهم. اهتمّ المتفرّجون العرب بالعلاقات العائليّة والورطات الأخلاقيّة. على عكس الرّوس، ما أدهشهم، هو قدرة الأفراد على أن يتحمّلوا مسؤوليتهم وأن يفرضوا حكمهم الحرّ.

وهكذا، بعيدا عن أن يكون مرادفا للمجانسة، حركيّة الثقافة تضع على المحكّ صيرورات أكثر تعقيدا. ففكرة عالم ثالث يتمثّل بصفة سلبية إنتاجات الغرب باعثة على

الهزء. فهي من ناحية تفترض أنّ عمليّة تلقّي صور والتمكن من أساليب استهلاك آتية من الخارج تعني تمثّل القيم الخاصّة بالمجتمع المرسَل لها، بينما ما يُـرَى بوضوح أنّ ثقافة الاستقبال تغيّر الصيغة وتعيد تأويل الرسالة حسب سننها.من ناحية أخرى، أطروحة الإمبرياليّة الثقافيّة ترتكز على التعارض بين المركز والأطراف، التي يمكن أن نقيس محدوديّتها، وهي تجهل معطى أساسيّا للعولمة: بعيدا عن أن تكون موجّهة في اتجاه وحيد، حركة تنقّلها موسومة بتنوّع الدفق. ليس من باب الصدفة أن تسلّط هذه المسائل الضوء على الأنثروبولوجيا الحديثة وإذا ما كانت هذه الأخيرة لا تهتمّ فقط بالدفق الثقافي؛ ولكنّ بالطريقة التي تتكيّف بها المجتمعات مع هذه الوضعيّة أو تقاومها، مع ظواهر تذهب من الحيازة إلى الرفض.

ويتأكّد ذلك بوضوح بخصوص مادّة المطبخ: يماثل توسّع ظاهرة الماكدونالدز عالميّة المطبخ القادم من آسيا، سواء أكان صينيا، طايوانيّا، هنديّا أم كوريّا. يمكن أن نقول نفس الشيء عن الموسيقى: صلصا، ريغي، راي، راب، دامونت لوبيون حتّى البلوز والبوب ميوزيك. نفس الشيء، يمكن التذكير بالأثر الذي أحدثته الصناعة السينيمائيّة للشرق الأقصى. بعبارات أخرى العولمة الثقافية هي قضيّة أكثر تعقيدا ممّا تظهر عليه أوّل وهلة. ما يميّز العصر الحالي، هو التنوع الخارق للعادة للأشكال الثقافية، التي لا تنفصل عن ديناميّة الهجرات، عن وجود جماعات متجانسة عابرة للقارات، عن تكثيف الانتقالات المهنيّة والسياحيّة. وفي هذه الشروط، صورة كرة أرضية في طريقها إلى المجانسة والاستغراب تنقضها الوقائع. ما يرتسم، هو بالأحرى الوجه الجديد لمجتمعات حيث تمزج الحدود بين الأصيل والتقليديّ والدعامات الثقافيّة الآتية من حضارات بعيدة؛ لكنّها تنتقل من أطراف الكرة الأرضيّة إلى أقصاها.

الهوامش

***ترجمة لمبحثين فرعيين من الفصل الأول، مستلّين من كتاب مارك أَبِلِيسْ، عنوانه "أنثروبولوجية العولمة" العنوان الرئيسي للمقال، من عندنا، واحتفظنا بالعنوانين الفرعيين للمبحثين كما جاءا في النص الأصلي للكتاب والموسوم:**

[1] D.Harvey, The Condition of postmodernism, An Esquiry into the Origin of cultural change, Cambridge, Blakuell, 1990.
[2] Ibid., p.147.
[3] J.Baudrillard, Amérique, Paris, Grasset, 1986.
[4] P.Virilo, Esthétique de la disparition, Paris, 1980.
[5] A.Giddens, The Conséquences of Modernity, Cambridge, Polity Press, 1990.
[6] A.Appadurai, Après le colonialisme, Les conséquences culturelles de la globalisation, Paris, Payot, 2001-chapitre I.
[7] Ibid.
[8] C.Lévi-Strauss, « Introduction à l'œuvre de Marcel Mauss », in M.Mauss, Sociologie et Anthropologie, Paris, PUF, 1950.
[9] U.Hannerz, « Scenarios for Peripheral Cultures », in A.D.King (dir.), Culture, Globalization and the World System. Contemporary Conditions for the Reprosentation of identity, Binghamton, Department of art and art History, State University of New York at Binghamton, 1991, p.122.
[10] M.Augé, Non-lieux, Introduction à une anthropologie de la Surmodernité, Paris, Seuil, 1992.
[11] Ibid. p .119.
[12] G.Ritzer, The McDonaldization of society, An Investigation into the Changing Character of Contemporary Social Life, Thousand Oaks, Pineforge Press, 1996.
[13] W.Binjamin, « L'oeuvre d'art à l'époque de sa reproductibilité technique » (1939), Œuvres, t.III, Paris, Gallimard, 2001, p.269-316.
[14] J.I.Watson (dir.), Golden Arches East. McDonald's in East Asia, Stanford University Press, 1997.
[15]B.Barber, Djihad versus Mc World, Paris, Desclée de Browver, 1996.
[16]E.Michaels, Bad Original Art, Tradition, Media, and Technogical Horisons, Minneapolis, University of Minnesota Press, 1994.
[17] T.Liebes, E.Katz, The Export of Mening, Cross-culturel Readings of Dallas,New York, Oxford University Press, 1980.

الإقناع وعلم النفس الاجتماعي

إيفانا ماركوفا ترجمة أ.د مفيدة بلهامل

تعود المحاولات الأولى لتغيير آراء الآخرين إلى العصور الماضية وهي قديمة قدم اللّغة البشرية نفسها. فقد جذب موضوع لإقناع، والخطابة والتلاعب بآراء الآخرين اهتمام السياسيين والمثقفين والأدباء والفلاسفة لعدة قرون. ومع ذلك فإنّ دراسة الإقناع عن طريق علم النفس الاجتماعي حديثة نسبيا؛ حيث إنّ موضوع الإقناع هو في حدّ ذاته تخصص جديد فهو لم يبدأ في الظهور إلا خلال الحرب العالمية الثانية، ولم يلبث أن أصبح أحد الموضوعات المفضّلة للدراسة.

وتحتلّ الأبحاث حول الإقناع في الوقت الراهن، جزءا مهمّا من الدراسات في علم النفس الاجتماعي كما تتقاطع مع مجالات رئيسية أخرى مثل نظريات التأثير والاتجاهات، وتغيير المواقف والسلوكيات، والتقارب والاختلاف، والقبول الاجتماعي والاتصال والدعاية.

وتخصّص معظم الكتب الدراسية في علم النفس الاجتماعي في الوقت الراهن قسما أو فصلا فيها يتناول موضوع الإقناع. ففي كتاب الإقناع الأخير الموسوم ب:"التطورات في النظرية والتطبيق (ديلارد وبفو 2002)[1]، الذي يتكون من 874 صفحة، ويفترض أن يعكس الحالة الراهنة للأبحاث، يذكّر مؤلّفاه بأنّه في منتصف القرن العشرين كانت "الأساليب العلمية الاجتماعية، التي تعتمد في الوقت نفسه على النظريات المجردة والرصد المنتظم، قد تم تطويرها تدريجيا "وأن هذا الدليل" يوفر المنظور الأحدث في علوم الاتصال "[2]

وقد تولّد هذا المنظور -من وجهة نظر مفاهيمية-، من الدراسات التي بنت افتراضاتها على الإقناع الجماهيري الشامل، والدراسات الكمية للاتجاهات والتنبؤ بالسلوكيات التي تمّ تطبيقها على الجنود الأمريكيين خلال الحرب العالمية الثانية. وقد مثّل هذا العمل الضخم لاحقا الأساس في الدراسات التي أجراها من قبل (كارل هوفلاند) (Carl Hovland) والتي انبثق عنها – بعد نهاية الحرب- برنامج الاتصالات الشهير " يال " (*Yale*) (YCP) (**)[3].

وقد انطلق هذا البرنامج في دراسته للإقناع من الصياغة الشهيرة لـ: لاسويل (Lasswell): "من؟ يقول ماذا؟ لمن؟ ومع أي أثر؟ ". وجذبت البحوث التي تمّ إنشاؤها بواسطة هذا البرنامج (YCP) في الخمسينيات والستينيات، العديد من علماء النفس

الاجتماعي المشهورين نحو الولايات المتحدة. أمّا النموذج الاتصالي الذي استند إليه فيؤكّد أنّه في حالة ما إذا كان أحدهم قد "اقتنع"-حقيقة- فإنّه يشير إلى الحالات التي يتمّ فيها تغيّر سلوك المتلقي من خلال المعاملات الرمزية (الرسائل). وهذه الأخيرة تتصرف من خلال التأثير بالجذب والقوة القسرية على عقل وعواطف الشخص، وخلال خضوعه "للإقناع"[4]. ويفترض هذا النموذج أنّ الفرد، من خلال قدرته على التفكير بشكل منطقي، يتقبل المعلومات، يقوم بتقييمها وتطويرها ويستخلص الاستنتاجات المنطقية منها. وتنبع كل النظريات الكلاسيكية في علم النفس الاجتماعي التجريبي، مثل التنافر، وتغير الموقف، ونظرية التلقيح، ونموذج ELM (نموذج الوضع الاحتمالي) وغيرها كثير من التوضيحات والتطورات التي تنبثق من هذا المنهج.

وعلى الرّغم من أهميّته الكبيرة، فإنّ هذا النموذج لا يقدم سوى جانبا من علاقة الإقناع بعلم النفس الاجتماعي المعاصر. وقد وضعت نظريات إقناع أخرى متطورة باعتماد افتراضات مختلفة، بعدما نقلت اهتمامها إلى دور الإقناع في المجتمعات المعقدة اليوم، وفي التكنولوجيا وكذا في وسائل الإعلام. وقد ركّزت هذه المناهج على الجانب الاتصالي والتأثير الاجتماعي وكذا على العمليات الجماعية أكثر من التركيز على تغيير المواقف أو السلوكيات. وهي المواد التي تشكّل العدد الأول[5] من مجلة "Diogène " وتترجم هذا التنوع في المقاربات والمناهج. حيث نجد في الوقت نفسه الدّراسات التي تركّز على المواقف وتغيير الاتجاهات وكذا المقالات التي تتمحور حول دراسات التأثير والاتصال.

ويقدم كلّ من (ريتشارد بيتي) (Richard Petty) و(بابلو برينيول) (Pablo Briñol) اتجاها معاصرا لعلم النفس الاجتماعي، ويقترحان شرحا للعمليات النفسية الأساسية في تغيير المواقف. كما يحدّدان إطارا نظريا يسمح بشرح الظروف التي يمكن فيها لطرق الإقناع المختلفة إيقاع التأثير على حكم الجمهور؛ ومن ثمّ التحديد الدقيق للمتغيرات التي تشكّل الآليات النفسية الفاعلة في عملية الإقناع. وقد شرح الباحثان هذه العملية عبر فئات مختلفة بما يوفّر طريقة مفيدة ويقدّم دليلا عمليا لتنظيم وتيسير الحصول على المطبوعات الرائدة في هذا المجال.

ومع ذلك، فإنّ معظم المؤلّفين يتناولون موضوع الإقناع من زاوية عمليات التأثير والاتصال الاجتماعي، ويقومون بذلك من وجهات نظر مختلفة، حيث يتناول (جورج جوسوينو) (Jorge Jesuino) مسألة العلاقة بين النفوذ الاجتماعي والإقناع. ويقدّم في مجال الأبحاث حول تأثير، نماذج أمريكية وأوروبية، وتركّز هذه الأخيرة على المناهج ومجموعات الاستقطاب؛ حيث يؤكّد (جوسوينو) (Jesuino) أنّ العمل على الإقناع ينبغي أن

يركّز أكثر على بناء المعنى عن طريق الموضوعات، وذلك اعتمادا على نموذج البنائية الحوارية - على سبيل المثال – حسب - "بياجيه" (Piaget)، "باختين"(Bakhtine)، "فيجوتسكي "(Vygotsky) و(موسكوفيتشى) (Moscovici)،

وقد نبّه (مارتن بايير) (Martin Bauer) إلى الطبيعة الجزئية لتفسير التأثير الاجتماعي الذي يركّز على المداخل غير الموضوعية، ولذلك فهو يقترح بأنّ نظرية التأثير الاجتماعية ينبغي أن تشتمل أيضا على فكرة الموضوعية المشتركة، فهي تتعامل مع التأثير الاجتماعي بداية من ظاهرة الأمر الواقع، والذي يجب أن يوليه علم النفس الاجتماعي مزيدا من الاهتمام في السياق التكنولوجي المعاصر حيث العلاقات الشخصية تمر أكثر فأكثر بواسطة الأشياء والقطع الأثرية.

ومع قدم اللّغة، فقد عرف موضوع الإقناع الكثير من التحولات التاريخية. فقد حدثت هذه الأخيرة في ظروف اجتماعية وثقافية مختلفة؛ حيث قام (ستيفان لورنس) (Stéphane Laurens) بتحليل عدد من ظواهر التأثير مثل الحيازة، والتنويم المغناطيسي، والاقتراح، والمشي أثناء النوم وذلك بهدف إظهار مختلف طرق تجسيدها عبر التاريخ. وأشار إلى حقيقة أنّه في بعض الحالات يمكن أن يؤدّي التأثير إلى ولاء سلبي وتعسف الفرد في السلطة؛ في حين أنّه في ظروف أخرى، نادرة بالتأكيد لكن يتمّ التغافل عنها في كثير من الأحيان، يحدث التأثير العكسي؛ حيث يمكن أن يكون التأثير ذا قيمة لتحفيز الإبداع والذكاء والتفكير النقدي وحدة الحواس.

وتنبّه (كليليا ناسيمنتو-شولز) (Clélia Nascimento-Schulze) إلى أهمّية الدراسات في مجال الاتّصال الإقناعي في المجتمعات المعقدة في الوقت الراهن، وخاصّة في ما يتعلّق بالنشر والكشف العلمي. ففي حالة البرازيل-مثلا-، وهي الدولة التي تتطور بسرعة، فقد بذلت العديد من الجهود لزيادة الاهتمام الاجتماعي نحو هذا العلم. وقد وجهت المبادرات المبذولة نحو مضاعفة المؤتمرات والمجلات الاستهلاكية، ووسائل الإعلام الجماهيرية وكذا المتاحف العلمية؛ حيث نظر إلى المعرفة والابتكارات العلمية كمسرعات للتنمية الاقتصادية للوطن. وقد يمكن أن نتساءل ما إذا كان انتشار هذه الأنشطة إيجابيا أو سلبيا، ومن ثمّ هل هو موجه أكثر نحو التعليم أو الإقناع؟

والتغيرات التي توجه مفهومنا لواقعنا الراهن، تنبع أيضا من حقيقة أننا على تواصل دائم من خلال شبكة تكنولوجيا المعلومات، حيث أدخلت وسائل الإعلام المعاصرة أساليب جديدة من الإقناع، ومن ثمّ أيضا تحديات جديدة للشركات اليوم. فقد كشفت " (هيلين جوف) (Helene Joffe) عن الروابط الموجودة بين الصور والإقناع من جهة، وبين المشاعر

مثل الخوف والنفور أو التعاطف من جهة أخرى. كما عملت على تسليط الضوء على عدد من الجوانب المهملة في بعض الأحيان من الجانب الإقناعي وكذا الإمكانيات الجديدة التي تتيحها وسائل الإعلام.

وتخصّصت كتابات الباحث الصيني (لى) (Li) في تناول الخصوصيات المميّزة للثقافة الصينية. وقد أثرت البحوث في علم الكونيات لـ (يانغ) (yang) و(يين) (yin)، التي استندت إلى اثنتين من القوى المحرّكة للكون، على الحياة الاجتماعية والعلاقات بين الذات والآخرين. فهذه المتقابلات من القوى المتنافرة والمتكاملة في الوقت نفسه، مثل المتفوق / المرؤوس، الأنا / الآخر، الفرد/ المجتمع تترابط في ما بينها بعلاقة حوارية منطقية في إطار عملية التواصل والإقناع. وتمثّل هذه العملية بدورها، المفتاح لتحقيق الانسجام ولحلّ النزاعات التي تنشأ أثناء التفاعل اليومي. وقد تميزت الصين الحديثة بالمواجهة الإيديولوجية عن طريق الهدم وإعادة البناء في الأنظمة العقائدية والسياسية والاقتصادية المتنافرة حيث تتعايش في الصين المعاصرة كل من الكونفوشيوسية التقليدية، والماركسية الأرثوذكسية وكذا الرأسمالية جنبا إلى جنب.

وبالإضافة إلى هذه المواضيع الرئيسية المتعلقة بالمواقف الاجتماعية وعمليات التأثير، فقد تمّت إثارة أفكار أخرى تركّزت في معظمها حول علم النفس الاجتماعي المعاصر ودور الفكر الواعي في دراسته للتأثير في مقابل إهمال التأثير عن طريق اللّاوعي. ومع أنّ عمليات اللّاوعي معروفة منذ زمن طويل، فإنّه لم تتمّ دراستها بشكل منتظم. كما يؤكد "سيرج موسكوفيتشي " ذلك، ويبدو أن علم النفس الاجتماعي بتحرجه من مسألة عمليات التأثير عن طريق اللّاوعي، أبعد هذا الموضوع من مجالاته البحثية. فالتأثير عن طريق اللّاوعي في الواقع يتقاطع مع "الرموز التقليدية للّياقة التي تحصن مجال علم النفس كتخصّص محترم من إمكانية تسلل الجنون والنفسية الاجتماعية إليه " [6]، ومع ذلك، فقد اكتسبت دراسة اللّاوعي في مجال الإقناع والتأثير اهتماما جديدا. وهو ما يشير إليه عدد من الكتاب بتفسيرهم لوجود التأثيرات التلقائية ضمن آليات الإقناع (Jesuino، لورنس، Marková).

الإقناع هو ظاهرة تجري في السياق الواسع جدا للاتصال. وترتبط بظواهر أخرى مثل "الأمر الواقع" كما يرى (باور)(Bauer)، والبلاغة حسب (سكارنتينو)(Scarantino)، والعنف عند (سانشيز مازاس) (Sánchez Mazas)، والاقتراح والتنويم المغناطيسي كما يرى (لورانس) (لورنس)، وعمليات التعلّم كما عند (بيتي و برينيول) (Petty et Briñol) والدعاية كما ترى (مركوفا)(Marková).

ومن خلال تعميق هذه الظواهر، سوف يخرج علم النفس الاجتماعي من حدود التخصّصات ويرتبط بالعلوم الأخرى للإنسان والمجتمع

المراجع

1 - MILLER, G. R., « On Being Persuaded : Some Basic Distinctions », dans : M. E.ROLOFF et G. R. MILLER (éds.), Persuasion: New Directions in Theory and Research, Thousand Oaks, Sage 1980, pp. 11-28 ; réimp. dans : P. DILLARD et M. PFAU, (éds),The Persuasion Handbook. Developments in Theory and Practice, Thousand Oaks, Sage 2002,

2 -MOSCOVICI, S., « The Return of the Unconscious », Social Research, 60, 1993

3- Marková Ivana ; Persuasion et psychologie sociale ; Diogène; 1/2007 (n° 217)

4- http://www.cairn.info/revue-diogene-2007-1-page-3.htm ;(26 fevrier 2017)

الكلمات المفتاحية

1 -الإتصال الإقناعي – 2 - علم النفس الاجتماعي -3 - الاتصال والدعاية – 4 - آليات التأثير الجديدة-5 -الأنظمة العقائدية والسياسية – 6 -الأساليب العلمية الاجتماعية - 7 - الرصد المنتظم - 8 - التنبؤ بالسلوكيات – 9 - القبول الاجتماعي – 10 - التأثير عن طريق اللّاوعي - 11 - التأثيرات التلقائية- 12 - الرموز التقليدية للّياقة 13 - نموذج البنائية الحوارية -14 - مجموعات الاستقطاب- 15 - التلاعب بآراء الآخرين – 16 - الولاء السلبي -17 - سيرج موسكوفيتشي (Serge Moscovici) – 18 – إيفانا ماركوفا (Ivana Marková) – 19 - برنامج يال للاتصال (YCP) - 20 – Revue Diogene - 21 - ستيفان لورنس" (Stéphane Laurens)

النص الأصل باللغة الأجنبية

Persuasion et psychologie sociale

Ivana Marcova

Les premières tentatives de changer l'opinion d'autrui sont aussi anciennes que le langage humain. Pendant des siècles, la persuasion, la rhétorique et la manipulation des opinions ont suscité l'intérêt des hommes politiques, des éducateurs, des écrivains et des philosophes. À l'opposé, l'étude de la persuasion par la psychologie sociale est relativement récente. La psychologie sociale est elle-même une discipline très jeune. Elle s'est constituée en discipline pendant la Deuxième guerre mondiale, et la persuasion en est devenue d'emblée l'un des thèmes favoris. Aujourd'hui, les travaux sur la persuasion occupent une part importante des recherches en psychologie sociale et recoupent d'autres domaines majeurs tels que les processus d'influence, les

attitudes et les changements d'attitude, la convergence et la déviance, l'acceptation des normes sociales, la communication et la propagande.

On trouve une section ou un chapitre consacré à la persuasion dans la plupart des manuels de psychologie sociale. Dans le récent *The Persuasion Handbook ; Developments in Theory and Practice* (Dillard et Pfau 2002) qui se compose de 874 pages et est censé refléter l'état actuel de la recherche, les auteurs rappellent qu'au milieu du XX^e^ siècle « les méthodes des sciences sociales, se servant à la fois de théories abstraites et d'un travail systématique d'observation, se sont progressivement développées » et que ce manuel « présente la perspective la plus récente en science de la communication » (Dillard et Pfau 2002, pp. IX-X). D'un point de vue conceptuel, cette perspective naît des imposants travaux sur la persuasion de masse, l'étude quantificative des attitudes et la prévision des comportements qui ont été menés sur les soldats américains pendant la Deuxième guerre mondiale. Ce travail massif a été à l'origine des études ultérieures réalisées par Carl Hovland et qui ont donné naissance, après la guerre, au célèbre *Yale Communication Program* (YCP). Ce programme prenait pour point de départ de l'étude de la persuasion la célèbre formulation de Lasswell : « Qui dit quoi, à qui et avec quel effet ? ». Les recherches générées par le YCP au cours des années cinquante et soixante ont attiré nombre d'excellents psychologues sociaux vers les États-Unis. Le modèle communicatif sur lequel il s'appuyait affirmait que le fait d'« être persuadé » désigne des situations où l'on modifie le comportement du récepteur à travers des transactions symboliques (des messages). Ces dernières agissaient par attrait et force coercitive sur la raison et les émotions de la personne en train d'« être persuadée » (Miller 1980/2002). Ce modèle présuppose qu'un individu, grâce à sa faculté de raisonner logiquement, accepte l'information, l'évalue, l'élabore et en tire des conclusions logiques. Des théories classiques de la psychologie sociale expérimentale, telles que la dissonance, le changement d'attitude, la théorie de l'inoculation, le modèle ELM *(Elaboration Likelihood Model)* et tant d'autres procèdent d'élaborations et de développements de cette approche.

3

Pour imposant qu'il soit, ce modèle ne raconte qu'une partie de l'histoire de la persuasion dans la psychologie sociale contemporaine. D'autres théories de la persuasion se sont développées à partir d'hypothèses différentes, se tournant vers le

rôle de la persuasion dans les sociétés complexes d'aujourd'hui, dans la technologie et dans les médias. Ces approches se focalisent moins sur le changement d'attitudes que sur la communication, l'influence sociale et les processus groupaux. Les articles qui forment ce numéro de la revue *Diogène* reflètent cette diversité d'approches. On y trouvera à la fois des études consacrées à des recherches axées sur les attitudes et le changement d'attitudes et des articles focalisés sur l'étude de l'influence et de la communication.

4

Richard Petty et Pablo Briñol présentent une tendance actuelle de la psychologie sociale qui se propose d'expliquer les processus psychologiques sous-jacents aux changements d'attitude. Ils esquissent également un cadre théorique permettant d'expliquer les conditions sous lesquelles les différents mécanismes persuasifs sont susceptibles d'influencer le jugement des gens et examinent minutieusement les variables dont se composent les mécanismes psychologiques qui entrent en jeu dans le processus persuasif. Ils articulent ce processus en différentes catégories signifiantes et fournissent de la sorte un guide permettant d'organiser et faciliter l'accès aux principales publications en la matière.

Cependant, la plupart des auteurs abordent la persuasion sous l'angle des processus d'influence et de communication sociale, et le font à partir de perspectives différentes. Jorge Jesuino aborde la question des rapports existant entre l'influence sociale et la persuasion. Il met en présence, dans le domaine des recherches sur l'influence, les modèles américains et européens, ces derniers se concentrant sur les processus et la polarisation de groupe. Jesuino affirme que les travaux sur la persuasion devraient se centrer davantage sur la construction de la signification par les sujets, selon le modèle, par exemple, d'un constructivisme dialogique à la Piaget, Bakhtine, Vygotsky et Moscovici.

Martin Bauer fait valoir le caractère partiel d'une explication de l'influence sociale axée sur l'intersubjectivité et suggère que la théorie de l'influence sociale devrait aussi inclure l'idée d'interobjectivité. Il traite de l'influence sociale à partir du phénomène du fait accompli, auquel la psychologie sociale devrait accorder une attention accrue dans le contexte technologique contemporain, où les relations interpersonnelles passent de plus en plus par la médiation des objets et des artefacts.

Tout aussi ancienne que le langage, la persuasion connaît maintes transformations historiques. Ces dernières surviennent en différentes conditions socioculturelles. Stéphane Laurens analyse des phénomènes d'influence tels que la possession, l'hypnose, la suggestion, le somnambulisme et le mesmérisme pour montrer leurs divers avatars historiques. Il souligne le fait que, dans certains cas, l'influence peut conduire à une allégeance passive et arbitraire de l'individu à l'autorité, tandis que, dans d'autres circonstances, certes plus rares mais souvent négligées, c'est l'effet inverse qui se produit. L'influence peut s'avérer précieuse pour stimuler la créativité, l'intelligence, la pensée critique et l'acuité des sens.

Clélia Nascimento-Schulze attire notre attention sur l'importance des études sur la communication persuasive dans les sociétés complexes d'aujourd'hui, notamment en ce qui concerne la transmission et la divulgation scientifiques. Dans le cas du Brésil, un pays en train de connaître un développement rapide, nombre d'efforts sont déployés pour accroître l'attention sociale vers la science. De telles initiatives ont amené à multiplier les conférences, les revues grand public, les médias et les musées de la science. La connaissance et les innovations scientifiques sont vues comme des accélérateurs du développement économique du pays. On peut se demander si cette prolifération d'activités est positive ou négative, si elle porte davantage sur l'éducation ou sur la persuasion.

Les changements survenus dans notre perception du temps procèdent aussi du fait que nous sommes reliés en permanence par le réseau des technologies de l'information. Les nouveaux médias ont introduit de nouvelles méthodes de persuasion et posé de nouveaux défis aux sociétés d'aujourd'hui. Helene Joffe explore les liens entre images et persuasion, d'une part, et des émotions telles que la peur, la répulsion ou l'empathie, d'autre part. Elle porte au jour un certain nombre d'aspects parfois négligés de la persuasion ainsi que de nouvelles possibilités offertes par les médias.

Le texte de Li est consacré aux traits spécifiques de la culture chinoise. La cosmologie du *yang* et du *yin*, articulée autour de deux forces directrices de l'univers, marque également la vie sociale et les relations entre le moi et les autres. Ces couples de forces antinomiques et complémentaires à la fois, telles que supérieur/subordonné, moi/autrui, individu/société, sont dialogiquement interdépendantes dans le processus de la communication et de la persuasion. Ce processus, à son tour, représente la clé

pour atteindre l'harmonie et pour résoudre les conflits qui se présentent dans l'interaction quotidienne. La Chine moderne a été marquée par la confrontation idéologique, par la destruction et la reconstruction. Les systèmes idéologiques, politiques et économiques antagoniques que sont le confucianisme traditionnel, l'orthodoxie marxiste et le capitalisme coexistent dans la Chine actuelle.

Outre ces thèmes porteurs, ayant trait aux attitudes sociales et aux processus d'influence, d'autres idées sont abordées dans ce volume. La plupart de la psychologie sociale contemporaine se focalise sur le rôle de la pensée consciente dans l'étude sur l'influence, négligeant l'inconscient. Alors que l'existence de processus inconscients est connue depuis longtemps, elle n'a pas fait l'objet d'études systématiques. Comme l'affirme Serge Moscovici (1993), la psychologie sociale semble être gênée par l'inconscient, qu'elle a tenu à l'écart de ses recherches. L'inconscient rompt en effet avec « les codes traditionnels de bienséance qui protégeaient une psychologie respectable de toute intrusion de la folie et de la psyché sociale » (p. 39). Toutefois, l'étude de l'inconscient dans le domaine de la persuasion et de l'influence connaît un nouvel intérêt. Plusieurs auteurs l'évoquent tout en décrivant la présence d'automatismes dans les mécanismes de la persuasion (Jesuino, Laurens, Marková).

La persuasion est un phénomène qui se déroule dans un plus large contexte communicatif. Elle est reliée à d'autres phénomènes tels que le « fait accompli » (Bauer), la rhétorique (Scarantino), la violence (Sánchez Mazas), la suggestion et l'hypnose (Laurens), les processus d'apprentissage (Petty et Briñol) ou encore la propagande (Marková). À travers l'approfondissement de ces phénomènes, la psychologie sociale sort de ses limites disciplinaires et se lie à d'autres sciences de l'homme et de la société.

Références

- DILLARD, P. et PFAU, M., (éds), *The Persuasion Handbook. Developments in Theory and Practice*, Thousand Oaks, Sage 2002.

- MILLER, G. R., « On Being Persuaded : Some Basic Distinctions », dans : M. E.ROLOFF et G. R. MILLER (éds.), *Persuasion: New Directions in Theory and Research*, Thousand Oaks, Sage 1980, pp. 11-28 ; réimp. dans : P. DILLARD et M. PFAU, (éds),*The Persuasion Handbook. Developments in Theory and Practice*, Thousand Oaks, Sage 2002, pp. 3-16MOSCOVICI, S., « The Return of the Unconscious », *Social Research*, 60, 1993, pp. 39-93.

الهوامش:

[1] - DILLARD, P. et PFAU, M; The Persuasion Handbook; Developments in Theory and Practice; Thousand Oaks, Sage 2002.

[2] -Ibid ; pp. 10-9

[3] -**(**) (YCP)** / Yale Communication Program

[4] - MILLER, G. R., « On Being Persuaded : Some Basic Distinctions », dans : M. E.ROLOFF et G. R. MILLER (éds.), *Persuasion: New Directions in Theory and Research*, Thousand Oaks, Sage 1980, pp. 11-28 ; réimp. dans : P. DILLARD et M. PFAU, (éds),*The Persuasion Handbook. Developments in Theory and Practice*, Thousand Oaks, Sage 2002, pp. 3-16

[5] - Marková Ivana ; Persuasion et psychologie sociale ; Diogène; 1/2007 (n° 217) ; pp 3-6.

[6] - Serge Moscovici **;** , S., « The Return of the Unconscious », *Social Research*, 60, 1993, pp. 39-93.

الأسس الفسيولوجية للتمرين العضلي

المؤلف: أ. أستاذ لهواري بشير ترجمه: د. نذير طيار

المدخل: يقوم لاعبُ التنس أو المصارعُ بأفعال فردية أو مركّبة، متعدِّدة يمكن اختصارها في التالي: هو يجري، يَضْرِب، يُسقِط خصمَه، يَدْفَعُ، ويُثَبِّت. يُنَشِّطُ مجموعُ هذه الحركات الجسمَ برمّته وعلى نحو تمييزي.

في كلّ ممارسة بدنية، يؤدي الرياضي إنجازا حركيا أو رياضيا، عبر استعماله الطاقة لخلق القوة الضرورية لتحريك الجسم، هذا من جهة. ومن جهة أخرى عبر استعمال المعلومات لإنتاج عمل منسجم مع محيطه. هذان العاملان (الطاقة والمعلومات) مِنْ موارد جسم الرياضي، ولكن هناك عوامل أخرى.

ويجب أن نميِّز: مختلف مؤهلات الرياضي

- **المؤهلات المورفولوجية**: القامة، الوزن، عرض المنكبين والحوض، إلخ...؛
- **المؤهلات البيولوجية**: القدرة الحيوية، نسبة الدهون، الاستهلاك الأقصى للأوكسجين، توزيع الألياف العضلية؛
- **المؤهلات البدنية**: هناك مجموعتان مصنفتان:

* **المؤهّلات الشرطية**: التي تستدعي التجهيز، الانخراط في اللعب وإعادة تركيب الطاقة العضلية الضرورية لاشتغال الجسم (الطاقات الهوائية واللاّهوائية)؛

* **مؤهلات التنسيق العصبية-العضلية**: التي تستدعي تنسيق الحركات وترشيدها وضبطها (القوة، المرونة، الإتقان، المهارة الحركية)؛

- **المؤهلات التقنية التكتيكية**: ذات علاقة بالثقافة المحمولة عن الاختصاص الممارَس؛
- **المؤهلات الأخلاقية والسيكولوجية**: هي العناصر غير القابلة للتقسيم في الإنجاز، لأنها كائنة برأس الممارسين: الشخصية، مستوى المعارف العامة، التحفيز، الإرادة، مقاومة الكرب stress، تقبل الألم، الرغبة في النجاح؛

•**التدريب**: المبادئ المختلفة للتدريب، الأهداف، الاختبارات، التخطيط قصير المدى وبعيد المدى؛

•**العوامل المساعدة على الإنجاز**: التغذية، التعب، الشروط المادية، التسخين، المتابعة الطبية، الانخراط الاجتماعي؛

•**المحيط**: إطار الحياة، شروط الحياة، مستوى المعرفة العلمية للمدرِّب، سياق الأداء (الارتفاع (عن سطح البحر)، مستوى البحر، الأهمية الإعلامية)؛

•**الإدارة**: هي تنظيم المدرِّب لكل مركّبات الإنجاز، في تفاعلها العلائقي وتناغمها. يقوم هذا العمل على تحليل شامل للمدرِّب في علاقة مفضلة مع الرياضي. إنها العلاقة: مدرِّب-رياضي.

أداء الرياضي هو إذا، نتاج عوامل متعددة.

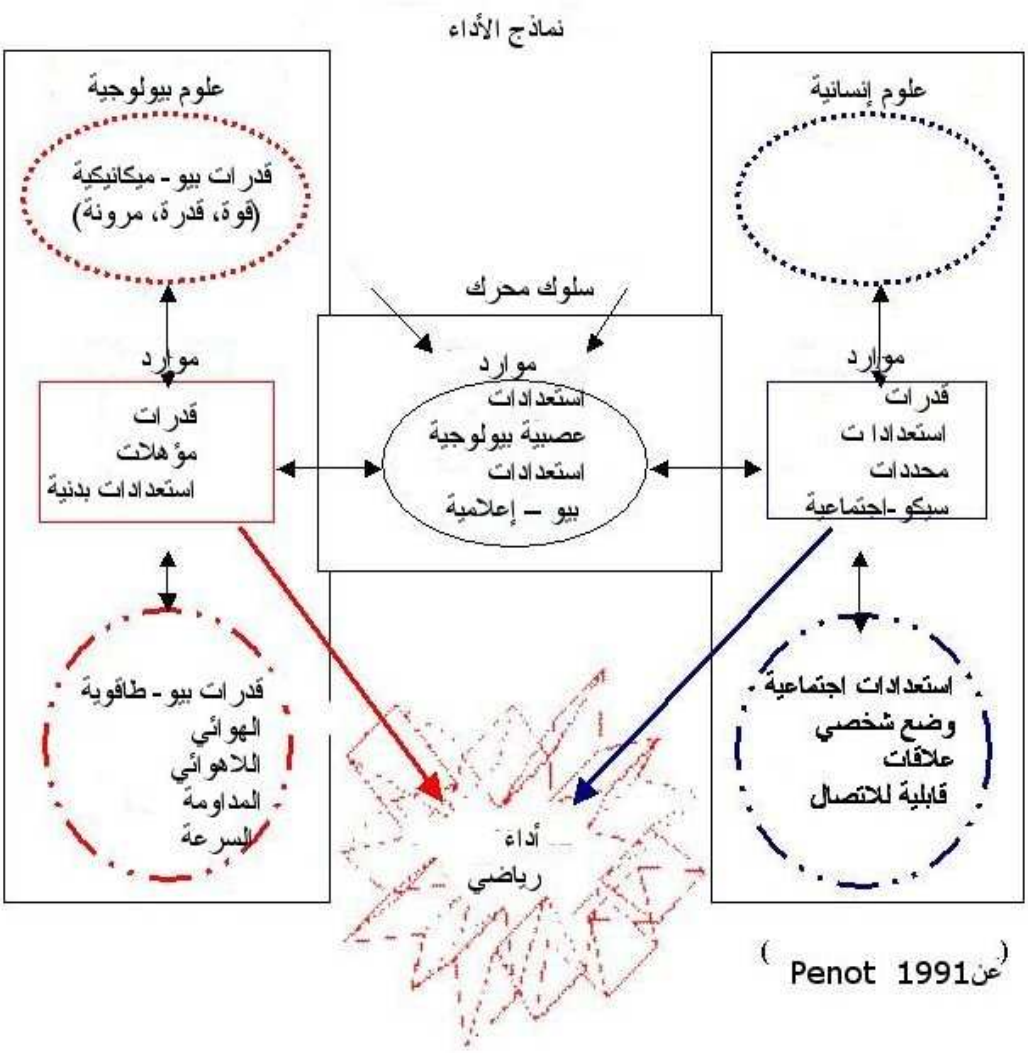

نماذج الأداء:

بيو- إعلامي (الجهاز العصبي – وظيفة الضبط)؛

بيو- ميكانيكي (الوظيفة الحركية – الجهاز العظمي –الجهاز العضلي – الجهاز المفصلي)؛

بيو- طاقوي (الوظيفة الدورانية – الوظيفة التنفسية – الوظيفة الهضمية –وظيفة الإفراز (الإفراغ)؛ في البدء، يكون التدفق البيولوجي للطاقة

تمكِّن المقاربة الفسيولوجية من معرفة آليات تكيُّف الجسم - في وضعيات كهذه - مع الجهد ومع إنتاج الطاقة الضرورية لتحقيقه (أي الجهد)؛ هي تمنح وسائلَ تعهُّدِ أو تحسين الصفات المكتسَبة لأجل ممارسة نشاط معيّن. كما تمكِّن من معرفة كيفية تحويل الجسم للطاقة الكيمياوية المخزّنة في الغذاء إلى طاقة ميكانيكية وطاقة حرارية.

تأتي كلّ الطاقة الموجودة على الكرة الأرضية من الشمس، وتصلنا على شكل ضوء (طاقة ضوئية). تحوِّل ملايينُ النباتات الخضراء من كوكبنا جزءً من هذه الطاقة إلى طاقة كيمياوية. هذه الأخيرة تستعملها النباتات الخضراء لإنشاء الجزيئات العضوية (دهون (ليبيدات)، سكّريات (غلوسيدات)) انطلاقا من ثاني أوكسيد الكربون (CO_2)، والماء (H_2O)، والأزوت (N_2). يسمّى هذا المسار«التحليل الضوئي». إنّ الإنسان بحكم تغذّيه من نباتات وحيوانات لإشباع حاجاته الغذائية، تابعٌ مباشرة للنباتات وللشمس كذلك، لضمان طاقته.

نعلم الآن أنّ الحركات تحدُث بفضل تحويل الطاقة الكيمياوية للأغذية التي تصبح بدورها عناصر مغذية nutriments وتنتِج طاقةً ميكانيكية.

يقع هذا التحول داخل العضلة intramusculaire.

الدم: موقع النقل والمبادلات

يحتوي جسم الإنسان على ملايين عديدة من الخلايا مختلفة الأنواع. خمسون مليون من هذه الوحدات تموت كلّ ثانية، ولكنّها تُستبدَل باستمرار.

عبر الدم الموجود في الأوعية (الشرايين والأوردة)، والمدفوع بالمضخة القلبية تأتي الخلايا العضلية، لأخذ الأوكسجين الضروري للحياة، على مستوى الأسناخ (الحويصلات الهوائية) الرئوية**alvéoles pulmonaires**، كما تأتي لأخذ الأغذية والماء على مستوى قناة الهضم، بعدها، وعبر الدم مجددا العابر لجميع الأعضاء وجميع الأجهزة، تقع المبادلات ويجري طرح الفضلات.

محاولة لأجل الفهم

عند قيامنا بأيّ جهد (سباحة، ركض، بستنة) نلاحظ تسارع التنفس والقلب، وهذه التكيّفات ليست سوى نتيجة زيادة الحاجة إلى الطاقة لدى العضلات المستدعاة بالتمرين. تَنتُج هذه الطاقة في قسمها الأكبر من احتراقٍ يقع داخل العضلة. وكما يحدث في جميع الاحتراقات، لا يمكن للوقود أن يحترق طويلا بدون مساهمة الأوكسجين، وهكذا يصبح الأوكسجين الوقود الحارق في عملية الاحتراق تبعا لشدة التمرين ومدّته، يمكن للاحتراق أن يستعمِل أنواعا مختلفة من الوقود التي سنجدها: في العضلة أو منقولة عبر الدم.

1- بالنسبة للتمارين الطويلة ذات الشدّة الضعيفة، يتكوّن الوقود من نسبة ضئيلة من الغلوسيدات ونسبة كبيرة من الليبيدات التي تشكل، في الواقع، الجزء الجوهري منه.

2- عندما ترتفع السرعة والشدة ارتفاعا تدريجيا، تنقص النسبة المئوية لليبيدات، وترتفع نسبة الغلوسيدات.

3- عندما نجري بسرعة طويلا وبشدة قصوى، فإنّنا باستهلاكنا الغلوسيدات فقط وتحديدا الغُلَيْكوجين، يمكننا الثبات على هذا الدرب.

4- لإجراء حصص تكون السرعة فيها قصوى ولكنّ لبضعة ثوان؛ فإنّ العضلة هي التي تحوي الوقود اللازم والمسمّى كرياتين فوسفات.

الأكل لأجل إنتاج الطاقة

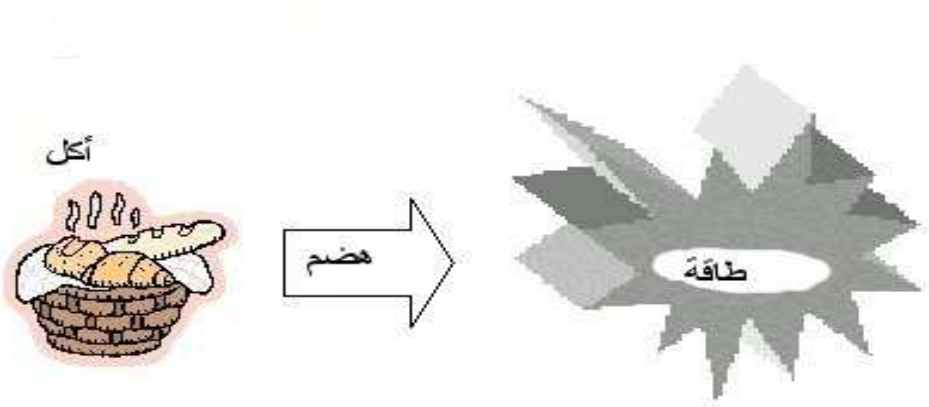

إنّ الأغذية التي نُدْخِلها في جوفنا لا تُستعمَل مباشرة على المستوى الخلوي. هي مكوّنة أساسا من كربون، وهيدروجين وأوكسجين. أحد أهداف الهضم هو كسرُ الجزيئات المركّبة بهدف جعل الجسم أكثر قابلية لها (على شكل حوامل substrats) واستعمالُ الطاقة بتخزينها داخل جزيء اسمه: الأدينوزين ثلاثي الفوسفات (ATP).

ألـ ATP (الأدينوزين ثلاثي الفوسفات) هو جزيء مكوّن من الأدينين **adénine**، والريبوز **ribose** (سكر خماسي) المترابطيْن مع ثلاث مجموعات من الفوسفات. هذا ألـATP حاضر في الليف العضلي. لأجل التبسيط يمكن القول أنّ طاقة تُحرّر عندما يَفُكُّ آخر فوسفات ارتباطه بجزيء ألـ (ATP).

EM ← طاقة + Pi + ADP = ATP

أدينوزين ثنائي الفوسفات = ADP/ فوسفات = Pi / طاقة عضلية = EM

هذا الحامل (ألـ ATP) حاضر بكمّية صغيرة جدا في العضلة. ولا يمكنه الحفاظ على انقباض عضلي أكثر من3 ثوان. ألـ (ATP) هو الحامل الوحيد الذي بإمكان الليف العضلي استعمالَه كي يشتغل.

من اللاّزم إذن، قيام مصادر أخرى للطاقة بإعادة تركيب دائمة للـ (ATP) لأجل عمل عضلي مستمر.

تعيد الخلايا تركيب ألـ (ATP) عبر طريقين وثلاثة مسارات:

الطريق اللاهوائي الذي لا يستعمل الأوكسجين

1) **النظام ATP–CP**: تُجَدّد ألـ (ATP) بفضل الطاقة المنتَجة عبر المخزون الخلوي لـ CP. إنّه مسار لاهوائي لالبني anaérobie alactique.

2) **النظام الغليكوليتي**: هناك مغذٍّ طاقويٌّ، الغلوكوز (المحمول عبر هضم الأغذية) الذي ينتج الطاقة الضرورية لإعادة تركيب ألـ (ATP). إنه مسار لاهوائي لبني anaérobie lactique.

الطريق اللاهوائي الذي يستعمل ألأوكسجين

3) **النظام الأوكسجيني**: يستدعي هذا النظام أكسدة الأغذية (غلوسيدات، ليبيدات، بروتينات) بحضور الأوكسجين لإنتاج الطاقة الضرورية لإعادة تركيب ألـ (ATP). إنّه مسار هوائي .

1- **النظام ATP-CP (كرياتين – فوسفات):** هو النظام الأبسط والأسرع لتجديد ألـ (ATP) انطلاقا من مركّب طاقوي حاضر في الخلايا. هو مسار هوائي لالبني. يسمى هذا الجزيء الفوسفو-كرياتين (PC). يقابل هذا النظام جهودا خاطفة ولكنها شديدة، مثل السرعة. هذا المسار سريع ولا يتطلب حضور الأوكسجين (لاهوائي) وفوق ذلك هو لالبني (إنتاج ضعيف لحمض اللبن). خلال الثواني الأولى من التمرين العضلي ذي الشدّة القصوى (عدو سريع)، تستقرّ كمية ألـ (ATP) في مستوى ثابت نسبيا؛ ولكن بعد 7 ثوان من الجهد الأقصى، تصبح مستويات ألـ (ATP) وألـ (CP) أضعف من أن تسمح بضمان انقباضات عضلية. بعد هذه المرحلة، على العضلات أن تقوم إجراءات أخرى لمواصلة التغطية الطاقوية.

الشكل المفضّل للجهد في هذا النظام ATP-CP هو: السرعة

2- **النظام الغليكوليتي:** هو وسيلة أخرى لإنتاج ألـ ATP تستلزم تحرير طاقةٍ عبر تدرُّكِ **degradation** الغلوكوز الذي يمثل 99% من السكّريات المتنقّلة في الدم. يسمّى هذا الإجراء تحلّل الغلوكوز **glycolyse**. هو مسار لاهوائي لبني.

ينتج هذا الغلوكوز عن هضم الكاربوهيدرات وتدرُّك الغليكوجين الكبدي. عند السكون (الراحة) تتكفل بالغلوكوز العضلةُ، والكبدُ التي تحوّلُه إلى غليكوجين عضلي. هذا الأخير له ميزة القدرة على التخزّين والتدرُّك حسب الطلب.

الشكل المفضل للجهد في هذا النظام هو: المقاومة.

يجري هذا الإنتاج للطاقة في البروتوبلازم العضلي. إنتاج الطاقة مهمٌّ ولكن خلال مدة قصيرة نسبيا (من 30 ثانية مع شدة قصوى إلى دقيقتين مع شدة أقل). إسهام الأوكسجين غير كاف (لاهوائي) الأمر الذي يحوِّل - عبر رسم بياني معقّد - حمض البيروفيك إلى حمض لبني.

حضور كمّية مهمّة من الأحماض اللبنية في الدم سيربك التوازن الحيوي (انخفاض ألـ pH (الأس الهيدروجيني) في الدم وعلى التمرين أن يتوقّف (تيبس في الساقين، وثقل في الذراعين، إلخ)

الشكل المفضل للجهد في هذا النظام هو: المقاومة

3- النظام الأكسيجيني: النظام الخلوي الأخير لإنتاج الطاقة هو النظام الهوائي (أكسدة الأغذية). يحدث هذا التفاعل في الميتوكوندريات «المصانع الحقيقية للأوكسجين» الموجودة في اللّيف العضلي. يُمكّن حضور الأوكسجين (الطريق الهوائي)

من وقوعِ اشتغالٍ بشدة معتدلة، ولكن خلال مدة طويلة. هذا التدرّك للغلوسيدات والليبيدات وبعض البروتينات عبر الطريق الهوائي، يترافق مع إنتاج «بقايا» ذات أثر ضعيف على التعب في المدى القصير:

◊ يستلزم الماءُ عرقا مطروحا؛

◊ يُطرح غاز الكربون عبر التنفس؛

إنّ العضلات والكبد هي التي تخزِّن ما يكافئ حوالي 2000 كيلوسعيرة على شكل غليكوجين. بالنسبة للجهود طويلة المدد (45 دقيقة على الأقل)، فإن الليبيدات هي التي تتدخل بشكل خاص.

الشكل المفضل للجهد في هذا النظام هو: المداومة Endurance (أداء مجهود متوسط ومتواصل)

سِعَة capacité **وقوة** puissance، يمكِن تمييزُ كل ليف طاقوي بسعةٍ (قدرة) تسمح بمدةِ اشتغالٍ (مستقلة عن التدفق débit): كلما كان التمرين قويا، كان الاشتغال قصير المدة والعكس صحيح.

1) **السعة:** هي الكمية الكلية من الطاقة المتاحة في الخزان.

2) **القوة:** هي الكمية القصوى من الطاقة القابلة للاستعمال خلال وحدة زمنية (تدفق الحنفية)

يملك كل نظام:

- سعة؛
- قوة؛
- المدة = السعة\القوة؛

لهذين المفهومين آثارٌ ثانوية مباشرة على التدريب. على المربّي وعبر اختيار تمارين العمل، أن يرفع مستوى كل نظام لكي ينتِج أقصى قوة وبأسرع وأطول ما يمكن.

عليه أن ينظّم تدريبه بهدف -ليس التحسين المثالي لمردودية اختصاص فحسب؛ وإنّما باللعب على وسائط الاستشفاء والشدّة والمدّة.

ملخص المميزات الأساسية لمختلف الفروع الطاقوية

نقلا عن م.برادي (1989)

	لاهوائي لالبني	لاهوائي لبني	هوائي
حوامل substrats	ATP CP	غلوسيدات (غلوكوز وغليكوجين)	غلوسيدات ليبيدات بروتينات (نسبة مئوية ضعيفة)
أجل الفعالية القصوى	معدوم	20 إلى 30 ثانية	دقيقة إلى 3 دقائق
قوة	مرتفعة جدا ++++	مرتفعة ++	مرتبط بالحجم الأقصى للأوكسجين
زمن نفاذ القوة القصوى	2 إلى 3 ثوان	25 إلى 40 ثانية	3 إلى 15 دقيقة
غير محدود	ضعيف جدا +	ضعيف +	سعة
زمن نفاذ السعة (المخزون)	بين 7 و20 ثانية	دقيقتان	مرتبط بنسبة الحجم الأقصى للأوكسجين المستعمل
عوامل مقيِّدة للتمرين	قوة: نظام إنزيمي وعصبي-عضلي. سعة: انخفاض تركيز مخزونات ألـ CP	قوة: إنزيمات من تحلل الغلوكوز اللاهوائي وعدد من الألياف السريعة سعة: انخفاض ألـ PH العضلي.	قوة: تعب عضلي محلي سعة: هبوط معدل الغليكوجين

ملخص

الطريق 1:الفوسفاجينات ATP-CP - في العضلة - بدون أوكسجين - بدون إنتاج لحمض اللبن - سعة 20''	لاهوائي لالبني 7''
الطريق 2: تحلل غلوكوز - غلوسيدات - انعدام (أو ضعف) الأوكسجين - إنتاج حمض اللبن - سعة 2' - قوة 15''\20''	لاهوائي لبني 45''
الطريق 3: تدرُّك هوائي - غلوسيدات – ليبيدات – بروتينات - بالأوكسجين - إنتاج ألـ H_2O - إطلاق ألـ CO_2 - قوة 2' - سعة غير محدودة	هوائي 6'\9'

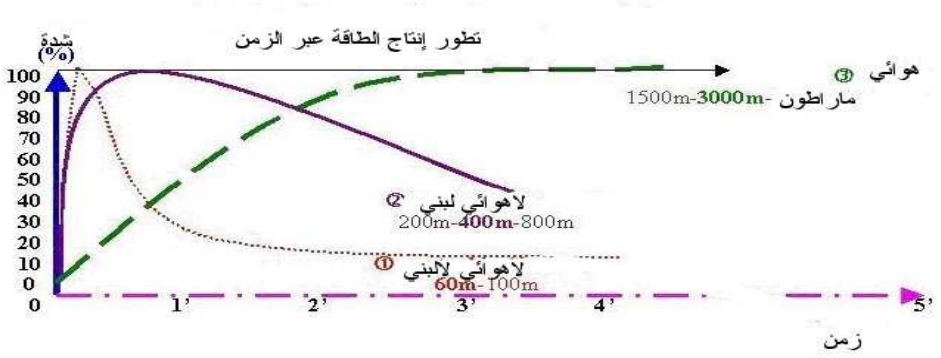

تبيّن قراءة هذه المنحنيات الثلاثة:

أنّ الطرق الثلاث 1، 2، 3 لا تتدخّل على نحو تتابعي، هي تتشابك تدريجيا وبالترتيب عبر مسارات مختلفة. كما تملك انطلاقا فوريا؛ ولكنّها ذاتُ آجالِ تدخّلٍ مختلفة وإمكانياتها مبسوطة على طول الزمن.

تذكير بالأحجام التنفسية: تتمثل الحركات التنفسية في تجديد الهواء داخل الرئتين. وهي تحدُث على نحو إيقاعي وتناوبي. نميِّز الشهيقَ والزفيرَ.

◊ يقابل الشهيق تمدُّد القفص الصدري، عند دخول الهواء الجوي إلى الرئتين؛

◊ يقابل الزفير انقباض القفص الصدري، وبالتالي إخراج الهواء الموجود داخل الرئتين. هذه الحركات ممكنة بفضل حركية القفص الصدري والمرونة الرئوية؛

◊ تقابل التهوية الرئوية (VP) التواتر التنفسي (FR) من 10 إلى 12 حركة/الدقيقة. يتغير هذا التواتر تبعا للنشاط (عمل عضلي، نوم) أو العواطف؛

الأحجام التنفسية:

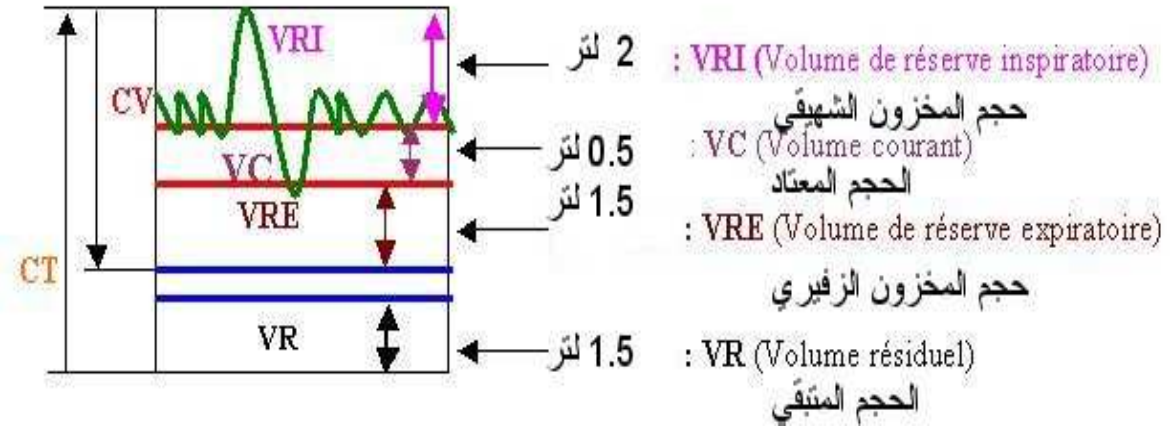

تُقاس الأحجامُ بمقياس التنفس spiromètre، ونقيس 4 أحجام:

1. الحجم المعتاد بـ 0.5 ل. حجم الهواء لأجل تنفس هادئ (VC)
2. حجم المخزون الشهيقي بـ 2 ل. حجم الهواء الإضافي خلال شهيق شاق (VRI)
3. حجم المخزون الزفيري بـ 1.5 ل. حجم الهواء المجليّ خلال زفير شاق (VRE)
4. الحجم المتبقي بـ 1.5 ل. حجم الهواء غير المجليّ والذي يبقى باستمرار في الرئتين (VR).

السعات التنفسية: هناك سعتان تمثلان مجموع الأحجام المختلفة:

1. السعة الحيوية (CV). تمثل مجموع الأحجام وعادة بين 4 و5 لترات.
2. السعة الكلية (CT). هي مجموع كل الأحجام الرئوية، ويمكنها بلوغ 6 ل.

التكيف الوظيفي مع الجهد: يستلزم التمرين الرياضي تعديلا في إيقاع التهوية الرئوية، وفي سعتها التي تساوي حوالي 6 لترات عند السكون (10 إلى 12 حركة x 0.5 لتر من الحجم المعتاد)

يصبح طلب الأوكسجين أهمّ على مستوى الخلايا العضلية المشارِكة في الجهد. في بداية التمرين، هناك ارتفاع في سعة الحركات التنفسية وإيقاعها. يزيد هذا الارتفاع شيئا فشيئا مع ارتفاع شدة التمرين العضلي. إذا أصبحت هذه الشدة معتدلة وقد كانت في البداية عسيرة، تثبت الإيقاعات التنفسية والدورانية: هناك توازن بين الاستهلاك وإسهامات الأوكسجين، إنّها وضعية ثابتة، تقابل مفهوم النفس الثاني حيث يبدو الجهد سهلا (مثال: الهرولة).

في المقابل، كلّما دعّم الرياضي جهدا شديدا، زاد التدفّق (يمكن للحجم المعتاد أن يصل إلى 3.5 لتر وللإيقاع أن يرتفع إلى 45 بل 70 حركة/الثانية الأمر الذي يمنح 120 إلى 200 لتر من الأوكسجين في الدقيقة). في اللّحظة التي يبلغ فيها التمرين الحدود التي يستعمل عندها كل الأوكسجين المتاح على المستوى العضلي، نقول: إنّ الرياضي بلغ قوّته القصوى الهوائية puissance maximale aérobie (**PMA**). تعبِّر ألـ **PMA** عن نفسها بالواط Watt وتشير إلى قوّة شدة الجهد الموافقة للإمكانيات القصوى للرياضي لتزويد عضلاته بضخ قوي (الحجم الأقصى للأوكسجين (VO_2 Max).

يقول الفسيولوجيون إنّ الرياضي بلغ حجمه الأقصى من الأوكسجين (دفق أقصى للأوكسجين) بين 6 و7 دقائق بالسرعة القصوى الهوائية (VMA)). يعبّر عن ألـ VMA بالكلم/سا. هذا المعطى ضروري لتحقيق مخططات تدريب فردية. ألـ VO_2 Max صفة يحددها الموروث الجيني، وهو أكبر عند الذكور من الإناث. يمكننا تطوير ألـ VO_2 Max من 15 إلى 30 %؛ سيما خلال مرحلة البلوغ وهذا إلى غاية 25 سنة. يقيّم هذا بالميللتر من الأوكسجين في الكلغ العضلي وفي الدقيقة (مل/د/كلغ) في المخبر أو الميدان. يمكننا أن نعثر لدى الرياضي عالي المستوى على قيمة80 ك/د/كلغ، في حين أن الجالس يبلغ بصعوبة 46 إلى 50 مل/د/كلغ.

رغم هذه الوضعية الحرجة بالنسبة للرياضي عند الحجم الأقصى للأوكسجين، يمكن لهذا الأخير أن يرفع مجددا شدّته (العدو السريع على خط اليمين في سباق 3000م) باستدعاء مساراته اللاهوائية. وهذا ينتج لبنية كبيرة في الدم lactatémie ويخلق **دَيْن الأوكسجين** الذي عليه تسديده خلال استشفائه récupération. وسيحدُث في هذه المرحلة، طبعا، ضيقٌ في التنفَس مع توقف التمرين.

دين الأوكسجين: خلال فترة الاستشفاء، يتقلّص الطلب الطاقوي تقلصا كبيرا بحكم انتهاء التمرين. وعلى العكس من ذلك، يبقى استهلاك الأوكسجين(VO_2) مرتفعا نسبيا خلال مدة ترتبط مدتها بشدة التمرين.

الفارق بين حجم (VO_2) في الاستشفاء وحجم (VO_2) في السكون يسمى ديْن الأوكسجين (هيل – 1922).

من اليسير ملاحظة أن القيم التنفسية والقلبية في ختام جهد، مهما كان نوعه، لا تعود إلا تدريجيا إلى قيمها الابتدائية.

يعني هذا الاستشفاء البطيء أنّ استهلاك الأوكسجين يعود ببطء إلى قيمته عند الانطلاق. يُعرّف دين الأوكسجين بكمية الأوكسجين المستهلَكة الزائدة خلال فترة الاستشفاء بالنظر إلى فترة السكون.

الرياضي المشتغل مع نقص الأوكسجين في بداية الجهد، يسلك طريقا (مسارا) مجرّدا من أداة القدرة على المواصلة. إنّه حال زبون يقترض من البنك للحاجة. عليه إذن تسديد هذا القرض بنسبة أعلى من نسبة البداية: الدين أعظم من العجز.

وذلك لأنّ أهمّية هذا الديْن من الأوكسجين مرتبطة بشدة الجهد المؤدي إلى هذا العجز ومدته. كلّما كان الجهد عنيفا كان زمن الاستشفاء أطول.

إعادة تركيب المخزونات الطاقوية خلال الاستشفاء

ألـATP-CP أو الديْن اللالبني: يمثل عجزا ضعيفا من الأوكسجين. يعثر على أيضِ métabolisme السكون خلال 3 إلى 5 دقائق.

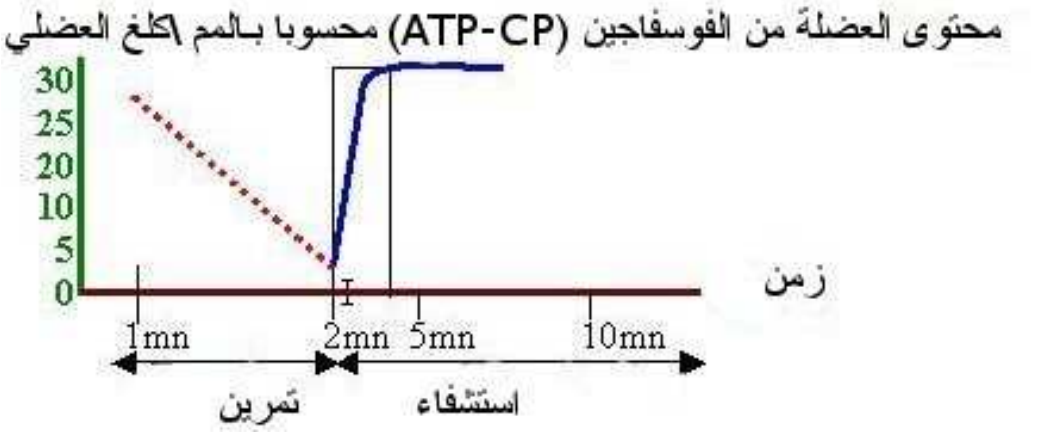

كيف يُستعمَل هذا الاستهلاك الزائد من الأوكسجين خلال طور الاستشفاء؟

جهد من النمط اللاهوائي اللالبني: يستخدم فائض الأوكسجين في إعادة تشكيل مخزونات الفوسفاجين (ATP-CP) يعاد تركيب أكثر من 84% من الكرياتين في دقيقتين.

غليكوجين عضلي أو دين لبني: مُنْتَجة خلال تمرين شديد جدّا، مع إنتاج مهمٍّ للّبنات (لاكتات). الدين عظيم جدا ولأجل إعادة تركيب المكوّنات الطاقوية نحتاج إلى استشفاء طويل من 10 إلى 48 ساعة (وحتى 5 أيام)

جهد من النمط اللبني: يُستخدَم فائض الأوكسجين خصوصا في:

1-إعادة تشكيل الفوسفاجينات

2-تحويل حمض اللبن إلى غليكوجين، 88% تُطْرَح في 75 دقيقة من الاستشفاء.

3-استعادة درجة حرارة جسمية عادية.

4-إشباع حاجات العضلات التنفسية إلى الأوكسجين لأجل استشفائها.

هذا التحليل لِديْن الأوكسجين مهم جدا للمدرِّب: في برمجة تمرين بالقوّة اللاّهوائية اللاّلبنية مثال: (60م، 80م، 100م) أو هوائية معتدلة (مشي سهل) ويكون إنتاج اللبَنَات قليل الأهمية. وهذا يتطلّب استشفاءً قصيرا.

ففي برمجة تمرين بالسعة اللاهوائية اللالبنية التكرار مثال: (60، 80، 100، 120، 150) على المدرّب أن ينظّم قطعا استشفاء كاملا بين السلاسل إذا كان الهدف هو العمل في الطريق ATP-CP. يجب أن تكون لهذا الاستشفاء مدّة (زمن) وطبيعة (سلبية - عند التوقف) أو (نشطة – مشي).

لأجل التدريب في الطريق 2، مع إنتاج مهم للَبنات القوة اللاهوائية اللبنية مثال: (250م-300م-400م) على الاستشفاء أن يكون أطول. كذلك ينصح بإجراء استشفاء نشط. (مشي خفيف من 15 إلى 30د).

في حالة السعة اللاهوائية اللبنية مثال (400-500-600-800) يمكننا العمل ضمن **التعب اللبني** fatigue lactique (استشفاء أقل) لأجل:

تعويد الجسم على تحقيق حصص ذات جرعة مهمّة من اللبنات (اللاكتات). وهذا يستدعي تحفيزا لأنّ الجهد ذو شدّة عالية جدّا (ينصح بها للشباب)

المدد الدنيا والقصوى للاستشفاء، المقترحة إثر تمرين أقصى

مسار الاستشفاء	زمن الاستشفاء	
استرداد مخزونات الفوسفاجين في العضلة ATP-CP (سباق سريع)	3د على الأقل	5د على الأكثر
تسديد الديْن اللالبني (سباق سريع)	3د	5د
إعادة تركيب الغليكوجين العضلي	10سا باستمرار 5 سا بالفاصل	46سا 24سا
التخلص من حمض اللّبن في الدم والعضلات	30د استشفاء نشط 1سا استشفاء سلبي	1سا 2سا

التكيف الوظيفي مع الجهد

◊ يقاس الحجم الأقصى للأوكسجين (**VO2 max**) بالميللتر في الدقيقة وفي الكلغ (مل/د/كلغ). إذا رفعنا تدريجيّا شدّة جهد، يرتفع الاستهلاك أيضا إلى غاية نقطة معيّنة. فوق هذه النقطة، لن يجرّ كل تقدّمٍ جديدٍ تزايداً في امتصاص الأوكسجين: وهذا هو ألـ **VO2 max**.

تقاس ألـPMA (القوة القصوى الهوائية)بالواط watt وتشير إلى القوة التي يُبلَغ فيها ألـ**VO2 max** .

يُعَبّر عن ألـVMA (السرعة القصوى الهوائية) بالكلم/سا، خلال الاختبارات المخبرية أو الميدانية. وهو معطى أساسي بالنسبة للمدرِّب، لإقامة برنامج تدريب فردي.

يزيد **التردّد (التواتر) القلبي** على نحو خطي، تبعا للتمرين وكذلك استهلاكُ الأوكسجين. إنّها إجابة قلبية- وعائية على شدّة التمرين.

لفهم طبيعة التمارين المقترحة في الميدان، يجب معرفة مميزات المسارات التي تمكّن من إعادة تركيب ألـATP: الحوامل المستعمَلة، أجلُ التدخل، القوّة (الكمّية القصوى من الطاقة القابلة للإنتاج في وحدة زمنية)، سعة أو مداومة، عوامل محدِّدة للقوة، عوامل محدِّدة للقدرة المداومة، المنتوج النهائي للتفاعلات، أجل عودة الجسم إلى السكون إلخ....

مفهوم الحجم الأقصى للأوكسجين VO2 max: يوافق الحجم الأقصى للأوكسجين VO2 max، طوال التمرين، الكمية القصوى من الأوكسجين المستهلَك من الجسم

في دقيقة. ومع اعتبار أجلِ تدخّل الفرع الهوائي، لن يكون بالإمكان تنشيط ألـ VO2 max إلا من أجل جهود تتجاوز الدقيقتين.

ألـ VO2 max (معبرا عنه باللتر في الدقيقة أو الميللتر في الدقيقة وفي الكلغ من الوزن الجسمي) مقيّد أساسا بعمل الجهاز القلبي –الوعائي والاستنفاذ الإنزيمي (ميتوكوندريات) للألياف العضلية المثارة. ترتبط سعته بالتجهيز الوراثي والتدريب المجرى قبل سن الخامسة والعشرين. من وجهة نظر إحصائية يكون ألـ VO2 max أكبر عند الرجال منه عند النساء.

مفهوم المداومة: تسمّى السعة الهوائية، ويُعبِّر مفهوم المداومة عن إمكانية الاستمرار في التمرين وفق الشدّة المختارة. ترتبط مدّة تمرين، يُوَظِّف على نحو تفضيلي النظام الهوائي، بالنسبة المئوية للـVO2max المستعمَل وبمستوى التدريب. بالقوة القصوى الهوائية تنفذ طاقة شخص غير مدرب بين 4 و6د. يمكن لشخص مدرّب أن يحافظ على قوته القصوى الهوائية بين 7 و 15د.

مفهوم العتبة:

تمرين بشدة معتدلة: يجري التمرين في وسط هوائي aérobiose ويمكن متابعته طويلا (المداومة القصوى الهوائية=E.M.A)(Endurance Maximale Aérobie).

تمرين بشدة مساوية للـ P.M.A: على شدة التمرين أن تنخفض لكي يستمر الجسم في العمل داخل وسط هوائي aérobiose.

تمرين بشدة عالية جدا: تكون الطاقة ذات الأصل الهوائي غالبة.

منطقة العمل اللاهوائي

مفهوم العتبة الهوائية واللاهوائية: خلال تمارين شديدة، **أقل من الـ** P.M.A، يرتفع تركيز اللبَنَات lactates خلال الدقائق الأولى للتمرين (بحوالي 60% من ألـ VO2 max)، وتبدأ اللبَنَات في الظهور. يوافق هذا الطور جزئيا إسهاما طاقويا لاهوائيا. تم تثبيته على نحو نظري محض في تركيز دموي لـ 4 ممول من حمض اللبن. إنها العتبة اللاهوائية، التي تنتقل طبعا مع مستوى التدريب.

إلى 60 % من ألـ VO2 max (عتبة هوائية)، يبقى معدّل اللبنات ضعيفا (2 ممول) وثابتا. إنها منطقة المداومة الأساسية على الاستشفاء. إن الرغبة في جر الفرع الهوائي تحت هذه العتبة لا يحدث أي أثر.

ما وراء 60% وحتى 85% من الحجم الأقصى للأوكسجين، نراكم تدريجيا لبنات؛ ولكن يمكننا مجدّدا متابعة الاستمرار طوال حوالي 30د لدى الجالس و60د لدى الرياضي المتدرب. إنّها منطقة عمل السعة الهوائية (منطقة انتقالية هوائية-لاهوائية). يمكن للعمل أن يجري عبر أجزاء من 20د أو أكثر.

نحو 85% من ألـ VO2 max و4ممول من اللبنات إنها العتبة اللاهوائية. كل زيادة في السرعة تحدث ارتفاعا فجائيا في معدل اللبنات ويقلص متابعة الجهد.

ما وراء العتبة اللاهوائية، إنها منطقة تطوير القوة الهوائية. يجب تجزئة العمل مع استشفاءات نشطة.

مع 100% من ألـ VO2 max، يكون استهلاك الأوكسجين في الذروة. تتغير مدة التمرين تبعاً لمستوى كل شخص، لأنّ التراكم اللبني مهم.

العلاقة بين حجم الأوكسجين و السرعة و التواتر القلبي

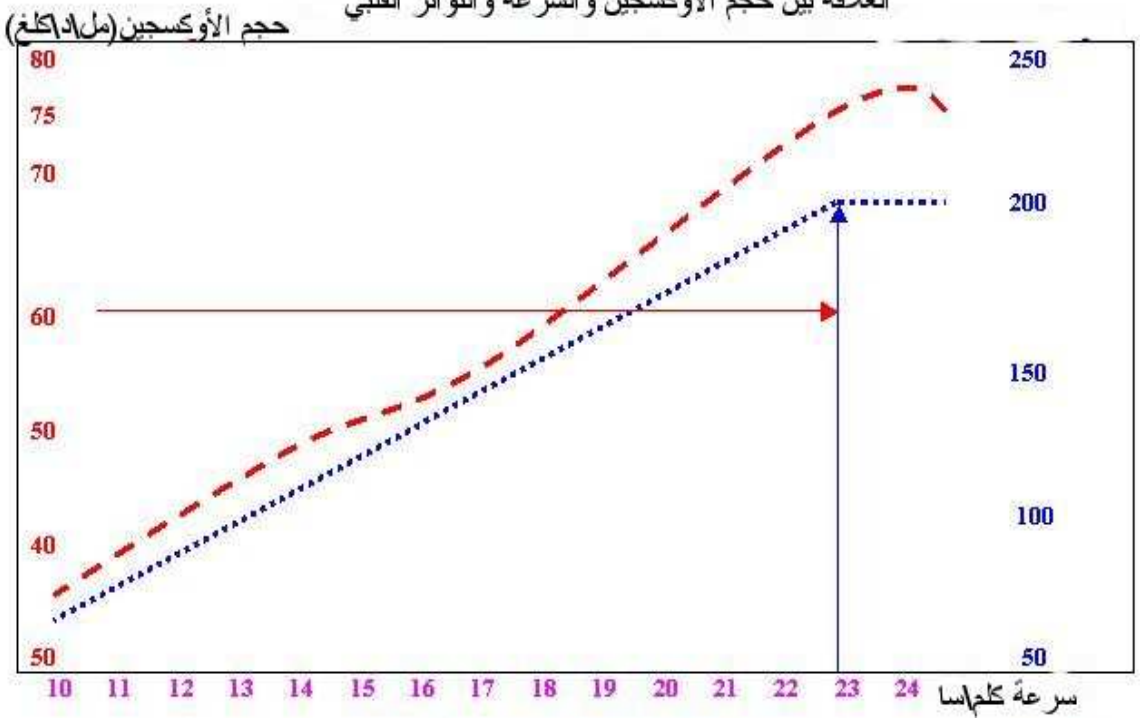

العلاقة بين استهلاك الأوكسجين و لبنية الدم و السرعة

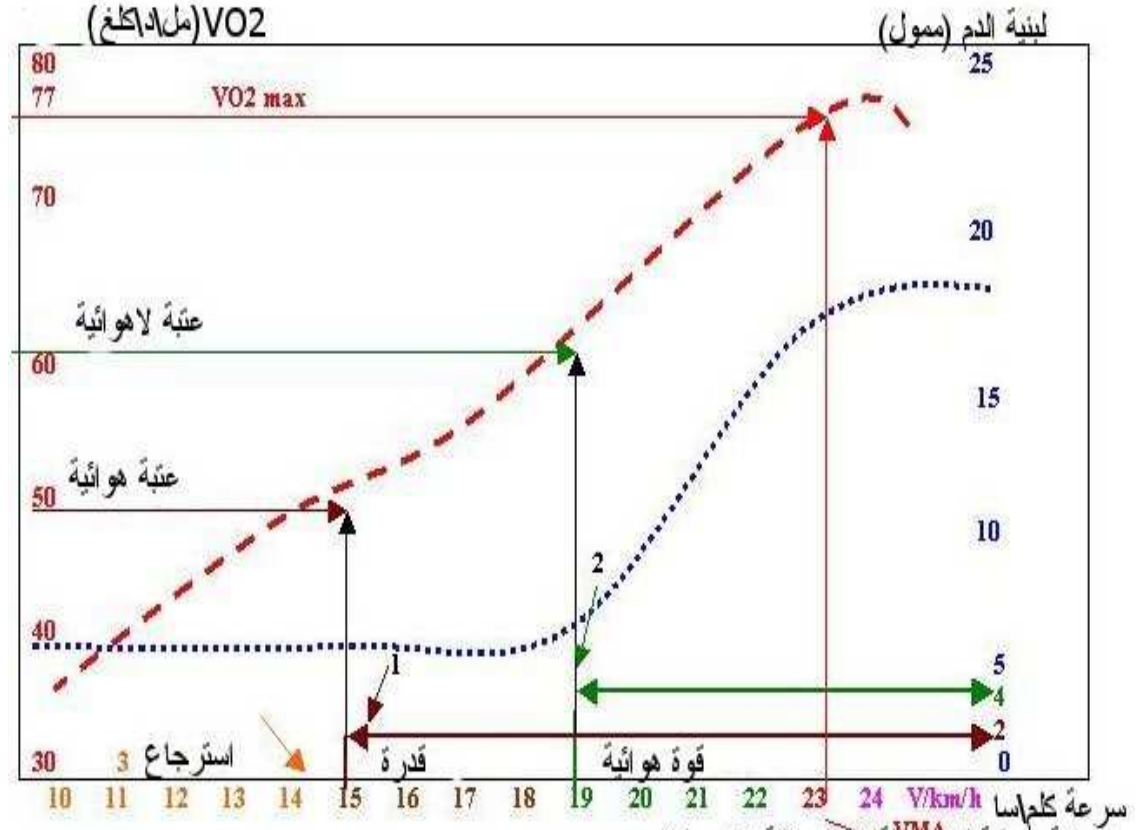

1 عتبة هوائية:لتطوير القدرة الهوائية (2ممول)

2 عتبة لاهوائية: هي حد الحُمَاض المقبول (العمل على نحو منقطع) 4 (ممول)

3 استشفاء (تسخين، مرض، إجازات)

طريق فلاندَرا [1]

المؤلف: كلود سيمون (رواية) ترجمة: محمد ساري

يشدّ رسالة في يده، يرفع عينيه وينظر إليّ، ومن جديد إلى الرسالة، ومن جديد إليّ أنا، ويمكنني أنْ أرى خلفه النقاط الحمراء، بذلك الاحمرار المائل إلى الأسود، للأحصنة التي تقاد إلى حوض الماء، في ذهاب وإياب متواصلين، والوحل الذي كان عميقا إلى درجة أنّ أقدامها انغَرزت إلى مستوى الأوتاد ولكنني لحظتها، تذكّرت أنّ صديقا ظهر فجأة أثناء تلك الليلة الجليدية، في الوقت الذي كان "واك" يدخل وبيَده طاس قهوة قائلا أنّ الكلاب أكلت الوحل، لم أسمع أبدا مثل هذه العبارة، فخُيِّل إليّ أنني أشاهد الكلاب في صورة كائنات أسطورية جهنمية، بأفواه محاطة بالورود، وهي تقضم الوحل الأسود وسط العتمة الليلية، بأسنان الذئاب البيضاء، الباردة، ربّما كانت الصورة مجرّد ذكرى فقط، الكلاب تنهش وتنظف المكان، تزيل كل عقبة: الآن أضحى المكان رمادي اللون، وكنا نلوي أرجلنا ونحن نركض، متأخرين كالعادة لنداء الصباح، نكاد ندعس أوتادنا داخل الآثار القديمة التي تركتها الأقدام، والتي أضحت صلبة كما الحجر، وبعد هنيهة، قال أمّك كتبت لي. هكذا، لقد فعلتها برغم منعي إياها، أحسَست أنّ وجهي يَحمرّ، فتوقف محاولا القيام بفعل ما، قد تكون مجرّد ابتسامة، ربّما كان يستحيل عليه أن يكون لطيفا (وهو يرغب أن يصير كذلك دون شك) ولكن أن يقلّص هذه المسافة التي بيننا: فلم يؤدّي هذا إلا إلى امتداد شاربه الصغير، الصلب، المفلفل المملّح، وبَشَرة وجهه التي سفَعتها الشمس، تماما مثل الناس الذين يقضون معظم أوقاتهم في الهواء الطلق، لون كامد، فيه شيء من سيماء العرب. ومن جَديد أحسّ بأنني أحمرّ من الغضب، تماما مثل اللحظة التي شاهدت فيها الرسالة بين يديه، وتعرّفت على الورق. لم أجبه، لقد أدرك دون شك أنني محتقن، لم أكن أنظر إليه، بل حَدّقت في الرسالة ورغبت في انتزاعها منه وتمزيقها، حرّك قليلا اليَد التي تقبَضها وهي مطويَة فاصطفقت جوانبها في الهواء البارد مثل أجنحة وعيناه الخالية من أية عدوانية ولا احتقار، بل فيهما شيء من الودّ، ولكنهما بعيدتان: ربّما كان فقط منزعجا مثلي، أعرف نفسي راضٍ عن هذا الانزعاج وفيما كنا منهمكَين في معايشة هذا الاحتفال المدني، منغرسَين هنا داخل الوحل المجمّد، نقدّم تنازلات للعُرف واللياقة، مراعِيَين نَحن الاثنين تلك المرأة التي هي بكل أسف أمّي، وفي نهاية المطاف، قد يتفهّم إحراجي بلا شك، ذلك أنّه حرّك

شاربه الصغير من جديد قائلا لا تلمها، فمن الطبيعي لدى أية أمٍّ أنْ تخاف على ابنها، لقد فعلت أمرا حسنا، ومن جهتي، سأكون سعيدا إذا سنحت لي الفرصة، وكنت أنتَ بحاجة إليّ، وأنا شكرا حضرة النقيب، وهو إذا وقع لك أيٌّ سوء فلا تتردّد، وأنا نعم حضرة النقيب، من جديد يحرّك الرسالة، تقارب درجة الحرارة السبعة أو العشرة تحت الصفر في هذا الصباح الباكر، ولكن يبدو أنه لم ينتبه لذلك قط. فبعد أنْ ارتَوَت الأحصنة، عادت مخبّبة، متراصفة مثنى، فيما كان الرجال يركضون وسطها ويطلقون خلفها الشتائم الغليظة ويمرحون تاركين أجسادهم تتدلى والأيدي تتشبّث بالألجمة الخفيفة، فكان بإمكاننا سماع وقع الحوافر على الوحل المجمّد، وهو يكرّر إذا حدث لك أي مكروه يسعدني أنْ أتمكن من، طاويا بعد ذلك الرسالة، مولجا إياها في جيبه، وهو يوجه نحوي من جديد شيئا تصورته ابتسامة، ومرة أخرى تحرّك الشارب المفلفل والمملح نحو جهة واحدة فقط، وبعد ذلك استدار على أعقابه وقفل راجعا. فيما بعد، وبسهولة معهودة، اكتفيت بالقيام بأقل مما كنت أقوم به عادة، سهّلت المشكلة إلى أقصاها، فكّكت حلقتي البطان بعد أن ترجّلت من على ظهر الحصان، رفعت سدادة الزناق في المرتين اللتين أوقفت عنه الماء، وبعد ذلك، وبضربة واحدة، نزعت الشكيمة وغطستها كلية في المياه فيما كان ينهي الشرب، وبعدها، التحق بالإسطبل بمفرده، وأنا أمشي إلى جانبه، مستعدا لإمساكه من إحدى أذنيه، وبعدها، لم يبقَ لي إلا مسح القطع الفولاذية بخرقة، ومرة تلو الأخرى، أمرّر قماش الصَنفرة حينما أجدها صدئة بكثرة، ومهما كان الأمر، فلن يُغيّر من الأمر شيئا، ذلك أنني اكتسبت سمعة منذ مدّة طويلة، فانقطعوا عن مضايقتي، ولكنني من جانب آخر، أظن أنه لم يكن يبالي كثيرا، وأنه حينما يوهم نفسه بعدم رؤيتي، وهو يمرّ مُفتّشا الفصيلة، إنما يفعل ذلك احتراما لأمّي، لا غير، دون أن يبذل جهدا كبيرا، إلا إذا كان يعتقد بأنّ التلميع من الأفعال التي لا تفيد، والتي يتعذّر استبدالها، من تلك الارتكاسات والعادات المتوارثة، مثل الذي يُقال عن الماء الذي يُملّح، ثمّ يحصّن، غير أن الذي يُروى عنها (يعني المرأة، يعني الفتاة التي تزوّجها، أو بالأحرى التي تزوّجته) تلك التي استطاعت خلال الأربع سنوات من الزواج أن تنسّيه، أو على الأقل أن تقنعه بأن يترك جانبا عددا لا بأس به من هذه العادات المتوارثة، أعجبه ذلك أو لم يعجبه، حتى وإنْ سلّمنا مُسبقا بأنّه قد تخلى عن عددٍ منها (سواء أكان ذلك تحت تأثير الحب أم القوة، أم إذا شئنا تحت تأثير قوة الحب، أم إذا شئنا أجبره الحب) فهناك أشياء، مهما كانت أسباب التخلي عنها وعمقها، يتعذر نسيانها حتى ولو رغبنا في ذلك، وعادة ما تكون هذه العادات هي الأكثر عبثية والأكثر فراغا من المعنى، تلك

التي لا يُستعمَل فيها العقل، ولا تنفّذ بأمر، مثل ذلك الارتكاس الذي أدى به إلى سل سيفه حينما صفعته تلك الزوبعة في الأنف من خلال السياج : لحظتها، تمكّنت من رؤيته على تلك الهيأة، رافعا يده، شاهرا ذلك السلاح الساخر الذي لا يفيد، في حركة وراثية لتمثال خيّال، والذي علّمه إياه، بدون شك، أجيال من السيّافين، ذلك الظل المعتّم الذي رسمه النور المنعكس بدون لون كأن الحصان وراكبه قد صقلا معا في مادة واحدة، معدن رمادي، والشمس المنعكسة للَحظة على شفرة السيف العارية، ثمّ فجأة انهار الكل –الفارس والحصان والسيف- في قطعة واحدة على الجنب مثل الجندي الرصاصي الذي طفق يذوب ابتداء من الأقدام ثم مال، ببطء في البداية، ثم بسرعة دائما على الجنب، واختفى إلا السيف الذي بقي مُمسكا باليد الممدّدة خلف هيكل الشاحنة المحروق المنهار هنا، بدون حياء، مثل حيوان، كلبة مملوءة، تسحب بطنها فوق التراب، والعجلات المطاطية المثقوبة التي تلتهمها النار ببطء ملحوظ، لتنطلق منها رائحة نتنة، تعمِّق من قوة تلك الروائح القذرة المعلقة وسط تلك الظهيرة الربيعية اللامعة، محلقة، أو بالأحرى، راكدة، لزجة وشفافة وإذا شئنا مرئية، تلك هي روائح الحرب، مثل المياه الآسنة التي بللت الديار المصنوعة من الآجر الأحمر والحدائق والأسيجة: في لمح البصر، ظهرت الشمس بانعكاسها البراق المعلّق، أو بالأحرى، المخثّر كأنه جذب إليه في جزء من ثانية كل الضوء وكل المجد على الفولاذ العذري... عذراء لا غير، لقد مرّت فترة طويلة منذ أن فقدَت عذريتها، ولكنني أعتقد أنه لم يقصد ذلك ولم يتماه يوم أن اتّخذ قرار الزواج بها، وكان يعرف بلا ريب منذ تلك اللحظة ماذا سينتظره، وهو الذي تقبّل سلفا تحمل مسؤولية مستهلكها مقدِّما هذا **الهوى**، مع الفرق أن مكان ومركز هذه التضحية لم يتجسّدا في ربوة جرداء، ولكن في طيّ هذا اللحم السري المخفي اللذيذ، اللين، المدوّخ، المشعّث... بلى... المصلوب، المحتضَر على المذبَح، الفم، الكهف الـــ... ولكن مع كل هذا، أَلَم توجد مومس هناك، أعتقد أنّ وجود المومسات ضروري في مثل هذا الجوّ، نساء نائحات يعصرن أذرعهن، وعاهرات تائبات، مع الافتراض أنه لم يطلب منها التوبة أبدا، أو على الأقل كان ينتظر، يتمنى أن تفعله بنفسها، أن تتحوّل إلى امرأة تختلف عن تلك الصورة المشهورة بها، منتظرا إذا من هذا الزواج الشيء المختلف عن الذي كان من المنطقي أن يتبعه، متوقعا أيضا، أو بالأحرى مرتقبا هذه النتيجة القصوى، أو قل الخاتمة، هذا الانتحار، وقد وجد في الحرب مناسبة ينقذ فيها وبكيفية أنيقة، ليس هذا المشهد الميلودرامي والمتّسخ حيث ترمي الخادمات بأجسادهن تحت عجلات المِترو أو أولئك الصيرفيين الذين يلطخون

كل شيء في مكاتبهم، ليموِّهوا انتحارهم ويحولونه إلى حادث، ذلك إذا اعتبرنا فعل القتل في الحرب حادثا، مستغلا الفرصة بشكل تقديري وانتهازا للمناسبة المهداة له ليتخلّص من الشيء الذي من المفروض أن لا يبدأه أصلا، قبل أربع سنوات تلَت...

لقد فهمت هذا، أدركت أن كل ما كان يبحث عنه ويتمناه منذ مدّة هو أن يُقتَل، ولم أفهم ذلك فقط حينما رأيته واجما في مكانه، جاثما فوق حصانه المُتوقِّف، معرِّضا نفسه وسط الطريق دون أن يتعب حصانه أو يوهمنا بأن يدفعه إلى غاية أغصان شجرة التفاح المحاذية، وذلك الملازم الأحمق الذي اعتقد أنه مضطر إلى تقليده، متخيلا دون شك أنّ مثل ذلك السلوك هو آخر موضة الأناقة وظرف طيب لضابط الفروسية، دون أنْ يساوره الشك ولو للحظة واحدة أنّ أسباباً ما هي التي دفعت الآخر إلى القيام بمثل تلك الحماقات، أي أنّ سلوكه لا يجسّد لا شرفا ولا شجاعة، وأقل من ذلك تلك الأناقة التي تصوّرها ذلك الأحمق، ولكن السبب فردي محض، ليس بينه وبينها، بل بينه وبين نفسه ليس إلاّ.

كان يمكنني أنْ أفاتحه في الموضوع، و(إكليزيا) هو أيضا كان بإمكانه أن يفعل ذلك وأحسن منّي. ولكن ما الفائدة؟ يُخيّل إليّ أنّه كان مقتنعا بفعله ذاك، وأنّه قد قام بفعل مدهشٍ، ثمّ لماذا نزيل عنه تلك الضِلال، هكذا على الأقل يلفظ آخر أنفاسه، فرحا، مبهورا بنفسه، يموت إلى جانب (رايكزاش)، فمن الأفضل له أنْ يعتقد ذلك، من الأحسن له أن يكون أبلَها ولن يتساءل عمّا كان يختفي وراء ذلك الوجه، الممل قليلا، القلق قليلا أيضا، منتظراً ومخترقا قانون الخدمة في الريف ومخترقا الإجراءات المتّخذة في حالة هجوم الطائرات المحلّقة عن قرب وهي تقصف المقاطعة، منتظرين جميعا ابتعادها كي نخرج من الخنادق، وهو يدور برشاقة على السرج، قلقا، يُظهر لنا وجهه الغامض الذي لا يوحي إلينا بشيء ما، وجه عديم التعبير، منتظرا بكل بساطة أنْ نمتطي من جديد أحصنتنا، فيما كانت الطائرات تختفي بعيدة في الأفق، ليست أكثر من نقاط سوداء في الهواء، ثمّ ومباشرة بعد أن أصبحنا فوق السروج، يستمرّ السير، يتواصل، فيدفع بحصانه إلى الأمام بحركة سريعة، لا ثقيلة ولا حتى غير مبالية، فقط خطوة بعد خطوة. أعتقد أنه لم يكن سيركض في تلك اللحظة حتى ولو مقابل ذهب الدنيا كله، أو سيمنح ضربة لمِهْمازه، أو يقدّم مكانته لكرّة المِدفع، هي مناسبة لقول ذلك في بعض الأحيان، بعبارات تسقط علينا في حينها: خطوة، خطوة إذًا، هي أيضا تدخل ضمن ما بدأه منذ أربع سنوات خلت، أو أنه قرّر فقط أن يبدأه الآن وهو يُنهي، أو بالأحرى يبحث عن الانتهاء، يتقدّم رويدا رويدا، هادئ الأعصاب (وهو كذلك دائما، مثلما يقول (إكليزيا)، يتظاهر بأنه لم ينتبه لشيء، ولم يظهر أبدا أدنى عاطفة، لا غيرة ولا غضب) عبر هذه الطريق التي تشبه شيئا

مثل مَهلكة، ليس بسبب الحرب، بل بسبب الجريمة، مكان يسهل فيه القتل والذبح دون أن تجد الضحية وقتا للتنفس، أشخاص يتربصون بك خلف سياج أو أجمة، في هدوء تام، كأنهم في حفل القنص، فيأخذون جل وقتهم لضبط البنادق نحو السدادة المختارة، إنها حرب حقيقية بكل تأكيد، فتساءلت في لحظة إنْ لم يكن يتمنى الموت لإكليزيا، وإنْ لم يكن ينوي الثأر في الوقت نفسه لانتقام راوَده مدة طويلة، وهو يضع حدا لحياته، ولكن بعد إمعان في الفكرة بدت لي غير مستقيمة، فخُيّل إليّ بأنه في تلك اللحظة أصبحت عنده الأشياء عديمة القيمة، بحيث لم يكن ممكنا أن يسيء إلى إكليزيا، لأنه في نهاية المطاف لقد احتفظ به لخدمته لمدة ليسَت بالقصيرة، أما الآن، فإنه يهتم به مثلما، أو بالأحرى أقل تماما من اهتمامه بي أو بذلك الملازم الأبله، غير شاعر بأدنى مسؤولية، ليس فيما يخصنا فقط، بل وبالأخص فيما يخصّه هو، دوره، وظيفته كضابط، مفكرا دون ريب أنّ ما يمكنه القيام به في هذه المرحلة التي وصلنا إليها، أو عدم القيام به في هذه المرحلة التي وصلنا إليها، أو عدم القيام بأي شيء لا يكتسي أية أهميّة مهما كانت تافهة: لقد تخلّص إذًا، أو عُزِل إذا أردنا تدقيق القول من التزاماته العسكرية منذ الوقت الذي تقلّص فيه عدد كوكبته إلى نحن الأربعة (يمكن القول بأنّ هذه الكوكبة هي كل ما تبقى من الفيلق بكامله، مع بعض الفرسان القلائل الذين تبعثروا في الطبيعة، من هنا وهناك)، وهذا لم يمنعه من المكوث بكيفية مستقيمة وجامدة على سرجه، أكثر استقامة وأكثر جمودا مما لو كان يقود استعراضا عسكريا لحفل 14 جويلية، ليس في أعزّ فترة التقاعد أو بالأحرى الاندحار أو قُل الكارثة وسط هذا النوع من التعفن الكلي للأشياء، ولا يخص الجيش وحده، بل العالم بأكمله، وليس فقط في حقيقته الفيزيائية، بل أيضا في التصوّر الذي كوّنه حوله الذهن (ولكن يبدو أن سبب ذلك هو قلة النوم أيضا، إذ أننا لم نذق طعم النوم منذ عشرة أيام، ما عدا الإغفاءات الضئيلة ونحن مسرّجون فوق الخيول) فكان يتفتّت ويتفكّك وينقسم إربا إربا، ثمّ يتحوّل إلى ماء، إلى فراغ، فيما كان مجهول يناديه للمرّة الثانية أو الثالثة، محذرا إياه بعدم التقدّم (كم عددهم؟ ما هويتهم؟ يُخيّل إليّ أنّهم من الجرحى أو من المختبئين داخل الديار المجاورة، أو داخل الخندق، أو أنهم مدنيون، يتعنّتون بكيفية مبهمة للهيام على وجوههم، وهم يجرّون خلفهم حقيبة مُتهرئة أو يدفعون أمامهم عربة أطفال صغيرة مكدّسة بأثاث غير منتقاة بدقة (ليسَت أثاثا بل أشياء، غير صالحة بالتأكيد، فقط كي لا يتيهون بأيديهم فارغة، كي يُوهِموا أنفسهم أنهم يحملون معهم شيئا ذا قيمة ويملكون بذلك أي شيء، المهم أن يرتبطوا به – مخدّة مبعوجة بمظلة أو صورة ملوّنة تجمع الجدّ والجدّة- المفهوم التعسفي للثمن، للكنز) كما لو أنّ الذي يكتسي قيمة في تلك اللحظة هو المشي نحو أي اتجاه كان: ولكنني لم أرهم بالعين، كل ما كان يمكنني رؤيته، ما كان يمكنني

التعرف عليه، هو نوع من الهدف المراد بلوغه، تلك الإشارة، هو ذلك الظهر العظمي، النحيف، المتصلّب، المستقيم جيدا، الجاثم فوق السرج وتلك السترة الصرجية اللامعة أكثر من النتوء التماثلي لعظم الكتف، وقد انقطعت منذ مدة طويلة من الاهتمام – من القدرة على الاهتمام- لمَ يمكن أنْ يحدث على قارعة الطريق)؛ هي أصوات إذًا، وهمية، نوّاحة، تصدر صيحات (تحذير، تهديد) وهي تصلني عبر الضوء السميك اللامع لهذا اليوم الربيعي (كما لو أنّ النور في حدّ ذاته كان متّسخا، كما لو أنّ الهواء غير المرئي يحوي شيئا مثل ماء مدنّس وكدر، هو نوع من قذارة الحرب المغبرة والنتنة) وهو (أول مرة كنت أستطيع رؤية رأسه وهو يتحرّك، يُظهر طرف وجهه من تحت الخوذة حيث تقاطع الجبهة الجافة، الصلبة، وتحت الحاجب حزّ المحْجر ثم الخط الجاف الراسخ الذي لا يتغيّر، الهابط باستقامة من الوجنة إلى الذقن) يُحدّقهم، يحطّ بصرَه الهامد، غير الفضولي، للحظة (دون أنْ يرى شيئا في الظاهر) على ذلك (أو على الأرجح، المكان، النقطة التي انطلق منها الصوت) الذي ناداه، وليسَت نظرة عتابية أو صارمة أو مستنكرة ولا حتى تحريك الحاجب: غياب التعبير والاهتمام فقط – وإذا شئنا استغرابا طفيفا: مرتبك وقلق، كأن يكون جالسا في قاعة الضيافة وفجأة يخاطبه أحد لا يعرفه ولم يكن قد قُدِّم إليه ولم يقاطعه وسط حديث ليعلّق على أمر ما، أو يقدّم ملاحظة في غير محلها (كأن يشير له إلى قهوته التي ستبرد أو إلى رماد سيجارته الذي يكون على وشك الانفصال) وهو يبحث باذلا مجهودا كبيرا، وحسن نية وإرادة حسنة من الصبر واللياقة في محاولة منه لفهم أسباب أو أهمية الملاحظة، أو إن كان يمكن ربطها بكيفية ما بالشيء الذي كان يرويه له، ثم تنازل عن المحاولة، واتّخذ لنفسه موقفا دون أن يُحرّك كتفيه، وهو يفكّر بدون شك أن لا مناص من الالتقاء دوما وفي أي مكان وفي جميع المناسبات –في الصالونات أم في الحرب- بأشخاص بلهاء وناقصي تربية، وبعد هذا –أي يعني أنه تذكره- ناسيا قاطع التيار الكهربائي، ماحيا إياه، بل ومتوقفا عن رؤيته قبل أنْ يحوّل عنه عينيه، متوقفا بشكل قطعي عن رؤية ذلك المكان الفارغ، رافعا رأسه من جديد ومستأنفا حديثه الهادئ مع الملازم الصغير، حديث من النوع الذي يُحتمل أن يقيمه فارسان راكضان جنبا إلى جنب (في مكان ترويض الخيول أو في الميدان) الذي سيدور بكل تأكيد حول الخيول وأصدقاء الدفعة والقنص والسباق. وتهيأ لي أنني كنت حاضرا وشاهدا: ظلال خضراء مع نساء بفساتين ذات الألوان المخططة، واقفات وجالسات على المقاعد الحديدية للحديقة، ورجال بسراويل قصيرة صافية الألوان وجزَم، وهم يحدّثونهن، مائلين قليلا عليهن وهم يضربون ضربات خفيفة على جزمهم بواسطة سوط من الأسل، وكانت فساتين الخيول والنساء وجلود الجزَم الصهباء تطلق ألوانا حيّة (أسمر محمّر، خبّازي، وردي، أصفر) على الإيراق السميك

الأخضر، وكان هذا النوع من النساء، ليس الذي تنتمي إليه بل الذي تكوّنه، باستثناء كل الأخريات، بنات العُقداء أو تلك التي تملك أسماء بَيِّنة: شاحبات قليلا، نحيفات، وتافهات إلى حدٍّ ما، وهن يحتفظن (حتى وهن متزوجات ولو بعد الطفل الثاني أو الثالث) بهيئة الفتيات، بأذرعهن الطويلة، الناعمة والعارية، بقفازاتهن القصيرة التي تشبه تلك التي تستعملها الطالبات الداخليات، وكذا الفساتين (إلى غاية الوقت الذي يتغيّرن فيه فجأة -وسط الثلاثينات- إلى حالة مسترجلة تميل قليلا إلى الصفة الخيلية (لا نقصد الأفراس بل الأحصنة) وهنّ يدخّنن ويتحدّثن عن الصيد ومسابقات الخيل مثل الرجال) والطنين الخفيف للأصوات المعلّقة تحت الأغصان المورّقة الثقيلة لأشجار الكستناء. كانت تلك الأصوات (أنثوية، ذكرية) قادرة على البقاء لائقة، متساوية وتافهة على الوجه الأكمل، وهي تتلفظ بوضوح تام أقوالا قاسية، تشبه الأقوال الصادرة من مركز الحراسة، وهن يتحدّثن عن النتوءات (حيوانات وبشر) وعن المال أو عن صلواتهن الأولى بنفس الطريقة التي لا تقدّر النتائج المترتّبة عن ذلك السلوك، ودودات، وهن يركبن الخيل بيُسر، فكانت الأصوات إذاً تختلط بدَعس الجِزَم المتواصل، المضطرب، تدغدغه والغبار المسحوق غير المحسوس المذهّب والمعلّق هو أيضا وسط هذه الظهيرة الخضراء بفوحان الزهور والروث والروائح، وهو...

كلود سيمون كاتب فرنسي من مواليد 1913 في تناناريف بمدغشقر من أب عسكري توفي في الحرب العالمية الأولى، فانتقل الطفل إلى فرنسا مع أمّه حيث عاش وأصبح كاتبا روائيا نال جائزة نوبل للآداب سنة 1985. توفي في 6 جويلية 2005 وعمره 91 سنة. يُعتَبر كلود سيمون من أشهر كتاب موجة "الرواية الجديدة" الفرنسية التي ظهرت في خمسينيات القرن الماضي مع كل من آلان غوب غريي وميشال بيتور ونتالي ساروت. امتازت رواياته بالحداثة التي تجاوزت كل تقنيات الكتابة الكلاسيكية، سواء من حيث تكثيف الأسلوب السردي أم الإفراط في الوصف أم الشخصيات التي ليست دائما واضحة المعالم.

[1] Claude SIMON : la route des Flandres. Ed. de Minuit. Paris, 1960. Edition de novembre 1985. PP.9/19.

المتظاهر (قصة قصيرة) [1]

المؤلف: رشيد ميموني ترجمها عن الفرنسية: محمد ساري

رنّ جرس المنبِّه على السابعة صباحا، فمدّ الرجل يده بحركة دقيقة تنمّ عن العادة الطويلة لرجل لم يتمتّع قط بنوم الضحى. لا تزال عيناه مغمضتَين. قفز على رجليه وتوجّه فورا إلى غرفة الحمّام وهو يفرّك شعره بأصابعه. ابتسم لنفسه في المرآة ثمّ أدار الحنفية. لم تنبعث منها ولو قرقرة. خاطب نفسه قائلا: "لن أخسر شيئا إنْ أنا جرّبت". خُيِّب أمله وخمّن أنه بإمكان البلدية أنْ تتكرّم وتفتح سُكور أنابيب المياه ولو لسُوَيعات قليلة، خاصّة في مثل هذا اليوم العظيم. قصد المطبخ يبحث عن دلو الماء فوقف لحظة يتمتع بالنظر إلى الرُزنامة التي تزيّن الجدار. "أول ماي". لاحظ تاريخ اليوم بارتياح كما لو أنّه نسيَه، ثمّ غَمغَم وهو ينظر إلى السماء عبر النافذة: "يبدو لي أنّ اليوم، ستلمع فيه الشمس لمعانا خاصّا".

كان الرجل متعوّدا على مخاطبة نفسه والأشياء المألوفة بصوت مرتفع. غسل أطرافه بعناية غير معهودة، حلّق ذقنه بإحكام، سوّى شلاغمه بالمقص. وبعد ذلك، تناول فطورا صباحيا شهيا. "لديّ مُتّسع من الوقت، يكفي أنْ أكون هناك على العاشرة. لقد جوّعني التفكير فيما سأقوم به".

شغّل الراديو ورافق الأناشيد الوطنية المتتالية وهو يُدَندن مزهواً. "سأستعمل ما تبقى من الماء لغسل الأواني. هكذا، يكون كلّ شيء نظيفا داخل البيت تحسبا لكل طارئ. من يعرف؟"

بعد أن انتهى من التنظيف، فتح درج الكومودَة وأخرَج علبة سجائر أمريكية. جلس على الأريكة الوثيرة التي يأوي إليها للاستمتاع بالموسيقى، وراح ينتشي شيئا فشيئا بنفحات الدخان الأبيض، تغمره سعادة كبرى لكونه يملك وقتا فارغا أمامه. ثمّ قام لارتداء بذلة المناسبات الكبرى. تردّد لحظة في اختيار ربطة العنق؛ ولكنّه بسرعة اتّخذ قراره. "ينبغي الحفاظ على رزانتي. إنّ السوداء ذات الخطوط الحمراء تليق بالمقام". تأمّل

[1] القصة مأخوذة من المجموعة القصصية: La ceinture de l'ogresse : Rachid Mimouni. Ed. Laphomic Alger 1990. PP. 15/56.

نفسه في مرآة الخزانة، فخرج من الامتحان ناجحا. نظر إلى ساعته التي أشارت إلى الثامنة والنصف. "حانَ وقت الذهاب. ستكون الحافلات اليوم نادرة".

أمْسَك الجِرابَ النسيجي الذي يُظهر قضيبا طويلا من الخشب الجديد، ألقى نظرة فاحصة دائرية على المكان ليتأكّد من التنظيم الجيّد للأشياء. وقبل أنْ يتوجّه نحو الباب، أدخل يده في جيبه يبحث عن المفتاح، فخطرَت بباله فكرة: "هل أغلقت الحنفية جيدا؟" لاحظ أنّ الحنفية كانت مفتوحة إلى آخرها فاعتبر نباهته علامة بُشرى " يُمكن جدا للبلدية أن تبادر إلى فتح عيون الماء في غيابي. في هذه الحالة وإن كانت جدّ مُستبعدَة، كنت سأجد البيتَ غارقا في طوفان حقيقي".

حينما فتح الباب، وجَد نفسَه وَجها لوجه مع جارته. يبدو أنّ السيّدة المهيبة، الثرثارة، تقضي أيامها على مَدخَل الدرج تراقب المستأجرين المتأخرين عن الدفع. أسرَع ليبادرها بالتحية، مشيرا لها إلى نوعية الصبيحة الربيعية. دمدمَت بتذمّر ثمّ مطّت شفتيها اشمئزازا، تظهر مزاجها السمج، السيئ، الذي يُضرَب به المثل في الحيّ:

– هاه... لماذا اغتنَمت جميع المحلاّت مناسبة عيد العمال لغلق أبوابها؟ لا يمكن العثور على رغيف خبز ولا كيس حليب. بماذا سأطعِم أطفالي؟

وكانت تملك منهم الكثير. يَظهر أنّها أحَسّت بالموت المبكر لزوجها، فأسرعت إلى إنجاب أكبر عدد ممكن من الذرية. تأمّل الرجل صدرَها الثخين، وخمّن أنْ يقترح عليها إرضاعهم من ضرعَيها الضخمَين. ولكنه فضّل التراجع الحذر وانسلّ مع الدرج. طاردته قائلة:

– هل أنت ذاهب للخطوبة اليوم؟

استدار. كانت السيّدة تتفرّس فيه باستهزاء. فردّ قائلا:

– وهو كذلك.

عندما وصل إلى الطابق الأرضي، وقف لثوانٍ جامدا وسط الرواق قبل أنْ يُخاطر بالخروج برغم الشمس الساطعة التي لفحت وجهه، فألقى ابتسامة زهو باتجاه السماء: "إنها لبهجة كبيرة أنْ يَتزامن عيد العمال مع يوم ربيعي كهذا". كانت الأرصفة تزدحم بعناقيد المراهقين العاطلين. كما تتمدّد أمام المخابز المغلقة طوابير أطفال غير مُنضَبطين ولكنّهم صابرون. تساءل الرجل بدوره عن السبب الذي يجعل تجار المدينة

يَستغلون يومَ العطلة لغلق محلاتهم. "لماذا يرفضون البيع؟ هل جمعوا ثروة كبيرة ولم يعودوا بحاجة إلى أموال؟"

كانت المقاهي القليلة التي فتحت أبوابها مكتظة بالناس ولا وجود لطاولة شاغرة. الضجر ظاهر بشكل صارخ على وجوه الزبائن المبكرين، وهم يتكئون بمرافقهم على "فورميكا" الطاولات. المناقشات معطّلة. يتساءل الجميع عمّا سيفعلون بيَومهم هذا وهو لم يزل في بدايته بعد. فتساءل الرجل في قرارة نفسه أنّه من المؤسف إلغاء تظاهرات أول ماي. "الحفل ليس مُكلفا ولا عديم الفائدة مثلما يعتقد الكثير منهم. إنّ العمال، الواحد إلى جنب الثاني، سينتابهم إحساس بنبل مركزهم الذي سيؤكدونه للعالم مرّة في السنة، وهم يمشون في الشارع، تحت الشمس، هم الذين يقضون طوال أيام السنة محبوسين داخل الحظائر".

كان موقف الحافلة فارغا. "اليوم على الأقل، لا أتزاحم مع أحد للصعود داخل الحافلة".

بعد نصف ساعة من الانتظار، ظهرت حافلة في الأفق، جديدة تقريبا ومع ذلك متهرّئة، تسحب خلفها غيمة دخان أسود متموّج. لم ينفتح الباب الأوتوماتيكي إلاّ تحت دفع أكتاف المسافرين. وكانت الحواشي المطاطية الواقية ممزّقة ومتدلية نحو الأسفل. "لماذا تُترَك مثل هذه الحافلات الثمينة بدون صيانة؟" عبر الزجاج المفتوح، أعلن القابض عن مكان توجّه الحافلة. بعدها مباشرة، احتج بعض المسافرين الذين تسارعوا إلى الركوب، فطلبوا النزول، مما أدّى بالصاعدين الآخرين إلى الخروج كلية من الحافلة تحت تأثير قوة دفع الهابطين. لم يَستتب الوضع إلا بعد دقائق عديدة. فانسلّ الرجل وسط الزحمة إلى غاية مكان السائق وهو يمسك جِرابه القماشي بإحكام. ألقى السائق نظرة إلى المرآة الارتدادية، وبطريقة غير مباشرة، ابتسم للزبون الذي تعرّف عليه لحظتها وقال له:

– أهلا بالرفيق... أنت اليوم أيضا في الخدمة؟

ردّ المسافر بابتسامة عريضة:

– لا، لا... ليس هذا أبدا. أنا ذاهب إلى وسط المدينة. إنه يوم متميّز بالنسبة لي.

أعاد السائق بصره إلى الشارع المنساب أمامه وطفق يدندن قصيدته المفضّلة لـ"غودْوارد كيبْلينْغ" (godouard Kipling).

عند هبوطه من الحافلة، أرسل الرجل إشارة إلى السائق ثم اتّجه مسرعا نحو زنقة فرعية بخطوات حذرة، وهو يحترس ليتجنّب برك المياه الآسنة التي تلطّخ الرصيف. "إذا لمْ أحذر، فإنّ قفا سروالي لن يكون منظره مسرا". ومع ذلك لم يكن بإمكانه الإفلات من رذاذ الملابس المبللة المعلقة في الشرفات. فتساءل هل بإمكان اتخاذ إجراءات رادعة ضد أمهات محصنات بذرية كثيرة. أخيرا، وصل إلى الشارع الرئيسي للمدينة. كانت سعة الأرصفة تحميه من الأخطار التي يمكن أن تسقط من أعلى طبقات البنايات. الشارع غاص بالرجال والسيّارات. "كيف يمكن لمدينة صغيرة أنْ تحوي هذا العدد الهائل من السكان؟ أين يقضون لياليهم قبل أن يخرجوا بهذه الكثرة إلى الشمس؟"

بحث بعينيه عن ممرّ خاصّ بالراجلين، وبعد حوالي خمسين مترا اكتشف واحدا كانت خطوطه الدهنية البيضاء لا تكاد تُرى. توجّه نحو الممرّ المخطّط منذ سنوات طويلة، وحاول مرارا العبور دون جدوى، ذلك أن السيّارات كانت تمرّ بسرعة فائقة كما لو أنّ أصحابها يجدون متعة في زيادة السرعة كلما اقتربوا من ممَرٍّ للراجلين. سمحت له فتحة في القطيع الصاخب بالتقدم قليلا. وبعدما وصل إلى وسط القارعة اضطر إلى التوقف. كانت العربات تنقضّ عليه مثلما تنقضّ الأمواج على الحشفة. وقف هنيهة يبتَسم للسائقين الذين يرفضون التوقف، بل يتجنّبونه دون حتى إنقاصٍ في السرعة. سمح لنفسه بأنْ يبدي إشارة يد خفيفة لبعضهم. فكانوا بدون شك يحسبونه أحد المجانين الذين يكثر عددهم في المدينة.

أخيرا، جثا الرجل على ركبته وطفق يُخرج اللافتة الخشبية من الجراب النسيجي، ثم نهض واقفا وأخرج صدره إلى الأمام، رفع بصره إلى أعلى، أمسك بثبات وباليدين مع قضيب اللافتة، وتقدّم بخطى وئيدة، ثقيلة، يشقّ النهر الآلي في الاتجاه المعاكس، غير مبالٍ بالاضطراب الذي أحدثه. تمهّل بعض السائقين ليتمعنوا جيدا هذا النموذج الفريد الذي يتحداهم وسط القارعة، وهو يزيد من ضخامة حركة المرور. تجمهر بعض الفضوليين. يسليهم المنظر في الوقت الذي يثير في نفوسهم حيرة مريبة. استمرّ الرجل في السَير، رصينا، وسط الطريق، يرفع اللافتة إلى الأعلى وكان قد خطّط عليها بخَطّ فنيّ، بالعربية، ثم بالفرنسية هاتين الكلمتين البسيطتين:

يَحيَا الرئيس

Vive le président

جلب صُعود المتظاهر الوحيد على أرصفة الشارع عناقيدَ كثيرة من المراهقين العاطلين الذين تسارعوا لمرافقة هذا المُناصر الغريب. تردّد الشرطي الأوّل الذي شاهد المُتظاهر الوَحيد حول الموقف الواجب اتخاذه. وليتأكّد جيدا من حقيقة المنظر الذي يتجلى أمام بصره، تقدّم غريزيا بخطوة أولى؛ ولكنّه لم يجرؤ على الاستمرار. شوّشت ذهنَه مجموعةٌ متشابكة من الأسئلة وكان حائرا في الموقف الذي ينبغي أن يسلكه. أخيرا، فضّل الانسحاب، متوجها نحو شارع خلفي. كان هذا الشرطي حكيما. بعد مائة متر أخرى، صعق شرطي آخر وهو يشاهد المنظر الغريب، ولكن هذا الأخير لم يتساءل عن ردّ الفعل الملائم اتجاه هذا النوع من الحوادث. كان بحوزته جهاز التواصل اللاسلكي "الطالكي والكي"، فأخبر رئيسه الذي يكون متجولا في الحي داخل السيارة. كان هذا الشرطي نَبِيهًا ومنضبطا. برغم رتبته المحترمة، لم يكن المساعد الأوّل يحب اتخاذ المبادرات بمفرده. بواسطة الراديو، أخبر المحافظ، وهذا الأخير هتف بحماس إلى كل من الرئاسة والحزب والنقابة.

كانت الأجوبة الثلاثة متشابهة وقاطعة: لا، لم تبرمَج أيّة مظاهرة في هذا اليوم. وقد نبّهه محاوروه بأنهم، في مثل هذه الحالات، يخبرون دائما الصحافة لتجنيد الشعب والشرطة لمراقبته. وبعد المكالمات مباشرة، أعطى المحافظ أمرا بتوقيف هذا الإنسان الغريب. وقد أصبح الأمر خطيرا حينما اقترب حامل اللافتة من القصر الرئاسي. وكان شرطي ثالث ينتظره وهو على بعد بضعة أمتار فقط من السياج المذهّب. ولم يتردّد هذا الأخير لحظة في التدخل، مقتنعا بأنّ تواجده في مثل هذا المكان يخوّل له مسئولية خاصّة، زيادة إلى أنه كان طموحا. في هذه اللحظة المحدّدة، ظهرت سيارة المُساعد الأوّل، نزل منها رجلان وأركبا بخفة المتظاهر. المثير للدهشة أنّ الموقوف لم يبدِ أيّ احتجاج ولا أدنى مقاومة. سيقَ الرجل وأدواته إلى داخل مكتب المحافظ وأغلق الباب خلفه. ولم يكن رئيس الشرطة يعرف ماذا سيفعل بهذا الطائش الذي سقط بين ذراعيه في يوم عيد العمال. بعد تفكير قرّر أن يعهد مهمة الاستجواب الأوّلى إلى مساعده، قائلا له:

– أعرفك نبيها في مثل هذه الأمور السياسية الطارئة، فحاول أن تجنبنا اللجوء إلى العصا التي نعتمدها عادة في مثل هذه الحالات الحساسة. أما أنا، فسأذهب للبحث عن حليب الغبرة لمولودي الأخير.

– إذا وجدت فلا تنساني. لديّ نفس المشكل. لقد أصبحت هذه المادة نادرة في أيامنا هذه.

– اتفقنا. قدّم لي التقرير بعد عودتي. أصارحك بأن هذَين الأمرين يحيرانني.

أُدخِل المتظاهر إلى مكتب المساعد الأوّل الذي قدّم له كرسيا، ثم بدأ يتأمله بنظرة وهو يدخن سيجارة. جلس الرجل هادئا. لم يكن خائفا ولا مطمئنا. وكان هذا الموقف الحيادي التام يربك الشرطي الذي لم يتمكن من تصنيفه ولا من الاهتداء إلى الطريقة الأكثر فعالية لمباشرة الاستنطاق. لذلك، قرّر إعطاء مهلة تفكير لنفسه. أخرج من الدرج مطبوعا ضخما وبدأ يطرح أسئلة محدّدة على الرجل الذي كان يجيب بإرادة حسنة، مقدِّما كل التفاصيل الضرورية، كأنه كان مُصّرا على أنْ لا يكتنف الملف بعض النقص، ولا تفلت أدنى إشارة من محاوره. سجّل الشرطي المعلومات بعناية على المساحات المخصّصة لهذا الغرض على المطبوعة. وبين الفينة والأخرى، كان يعيد قراءة ما كتبه بصوت مرتفع، للتأكّد، أو لتزجية الوقت. وبعد ساعة كاملة قضاها في ملء مطبوعة المُستنطَق، رقع الشرطي رأسه ودفع جانيا الملف الضخم بظهر يده وقال:

– حسنا... الآن، وبعد أنْ أرضَينا المطالب الإدارية، يمكننا الحديث عن القضية التي تهمنا. اشرَح لي إذًا أصل سُوء التفاهم هذا؟

– سوء التفاهم؟

– هذا ما أطلبه منك.

– لم أفهم قصدك.

– وأنا أيضا.

– إذًا؟

– إذًا، أرى بأنّك ربّ عائلة محترم.

– لا.

– نعم؟

– لست ربّ عائلة مُحترم. إنني أرمل وبدون أولاد. إنّك قد سجلته في ملفك.

– أردَت ببساطة أنْ أقول إنّه يُخيّل إليّ أنّك مواطن حسن السلوك.

– هذا يريحني كثيرا.

– ونتيجة لهذا، إنّ هدفنا هو الإقرار بأنّ فعلك هذا حدث نتيجة غلطة مؤسفة. إنك بدون شك عامل حيّ الضمير. ربّما استدعاك الفرع النقابي لمؤسساتكم إلى المشاركة في مظاهرات أول ماي، وقد دفعك حسك النضالي إلى الاستجابة لمثل هذا الواجب.

– لا.

– نعم بكل تأكيد. أنا لا أجهل كيف تجري الأمور على حقيقتها. لنتكلم بصراحة. أعرف أنّ المَسئولين يُسَجّلون الحاضرين ويعاقبون الغائبين بخَصم أجرة يوم كامل. إنّ العملية غير شرعية، ولكن ما العمل؟ يحدث هذا بنفس الكيفية عندنا في الشرطة.

– عندكم أيضا !

– بكل تأكيد ! أتصَوّر أنّ دَعوة نقابتكم للتظاهر لم تكن تهمك إلا قليلا إلى درجة أنه اشتبه عليك مكان التجمهر. إن هفوتك هذه نتيجة لامبالاة مقبولة.

– لا.

– كيف لا؟ أعرف بأنّ حرية التعبير ممنوعة في هذا البلد، ولكن الاستثناء قائم عند أجهزة الشرطة، ويمكنك البوح هنا بكل شيء، دون أنْ يساورك أي خوف.

– لا.

– كيف ذلك؟

– أنا مقتنع بضرورة التجنيد الدائم للعمال. وأهتم كثيرا بكل النشاطات النقابية، لذلك لا يمكنني الوقوع في مثل هذه اللامبالاة عشية أول ماي.

– أفتَرض أنّك تغيّبت عن العمل بالأمس، وهذا ما حال دون إعلامك بإلغاء المظاهرات المبرمجة.

– لا.

– نعم، هذا أيضا أعرفه. لا يليق الحديث عن الغيابات. يمكن للمسئول أنْ يخصم من أجرتك الشهرية يوما كامِلا. لنَقل إنّك كنت منشغلا بأمر ما. إنّ حكامنا يتفهمون بسهولة أننا لا نحب العمل. إنّه شاق ومُضجر. ولكنهم لا يتفهمون أبدا أننا لا نحب التظاهر. إنها سياسة.

– لا.

– وما المشكل إذًا؟

– لم أتغيّب بالأمس. وأنا لا أتغيّب أبدا. طوال حياتي وأنا كموظف بالبريد، لم يبقَ مكتبي شاغرا إلا مرّتَين. المرة الأوّلى يوم وفاة زوجتي، والثانية كان ذلك رغم إرادتي.

– رغم إرادتك، ماذا تقصد؟

– في ذلك اليوم كانت الشرطة تريد أنْ تعرف الحقيقة.

– هل لديك ملف عندنا؟

– مُحتمل.

– إنني مُصغٍ إليك.

– حدث هذا منذ زمن بعيد، أيام الاستعمار.

– المظليون؟

– بالضبط.

– إنك إذا من قدماء المجاهدين.

– لنتحاش المبالغة.

– لقد احتفظت الشرطة حقا بجميع الملفات القديمة. وكان علينا أنْ نقلِب الأمور فقط، ليصبح المتمردون أبطالا والأبطال خَوَنة. أريد فعلا قبول تصريحك هذا. ولكن الآن لا تهمني تفاصيل حياتك. أحاول فقط الكشف عن أصل سوء التفاهم الذي جعلك تخرج للتظاهر إلى الشارع بمفردِك.

– لا وجود لسوء تفاهم.

– مرة أخرى لا أفهمك ! كيف وجدت نفسك وحيدا وسط الشارع رافعا هذه اللافتة؟

– لم يكن هناك تغيّب أو لامبالاة أو مظاهرة ملغاة. نزلت إلى الشارع بمحض إرادتي.

– أنتَ مُتعمّد إذًا؟

– نعم.

– أتقرّ بهذا؟

– بكل تأكيد.

– هل أنت مجنون؟ ماذا حدث لك؟ هل تعرف إلى أين ستؤدي بك هذه الحماقة؟ هل أنت واعٍ بخطورة هذه الاعترافات وبكل النتائج المترتبة عنها؟

– نعم.

– هل سبق لك أنْ عولجت في مستشفى الأمراض العقلية؟ السؤال غير موجود في الاستبيان. إنه نقص فادح.

– أبدا.

– يبدو أنّ صحتك قد تدَهوَرت في الأيام الأخيرة وأنت بحاجة إلى علاج.

– إنني أتمتع بكل قواي العقلية.

– المعروف أنّ المعتوهين غير قادرين على الحكم على حالتهم الصحية. إن إثباتاتك لهي خير دليل على ما أقول. لو كنتَ سليم العقل لأدركتَ أنّه من الأحسن لك أنْ تكذب، فهو خير لك من أنْ تكابد النتائج المترتبة عن فعلك المتهور هذا.

– ليس في هذا ما أخشاه. إنّ الدستور يُقرّ لكل المواطنين بحق التعبير عن آرائهم. ولم أفعل سوى أنني استعملت هذا الحق للتعبير عن مساندتي لنشاط الرئيس وشخصه. وعلى حسب معرفتي، التظاهر ليس ممنوعا في الشارع ولو لشخص واحد.

– إنّ المسائل القانونية تتجاوزني. أنا لست إلا مساعدا أوّلَ. وانضممت إلى الشرطة مباشرة بعد رسوبي في البكالوريا. إنها مهنة تتطلب خفة بدنية أكثر منها ذهنية. وكنت دائما أركض بسرعة. وبما أنني أتمتع بحدّة النظر، فقد تعلمت الرماية بسرعة. ولكنني لست أكثر بلادة من الآخرين وأعرف أنّ مثل هذه المظاهرات لا ينظمها إلا الحزب أو النقابة. ولا أبالي كثيرا بمواد النصوص التي تتحدث عنها. ولا أظن بأنها ذات فعالية في الشرطة. وبما أننا في يوم راحة، وأنني أريد الالتحاق ببيتي في أقرب وقت ممكن فإنني من الآن سأسجل كل تصريحاتك.

– ولكن أجهزة الراديو والتلفزيون تتحدث دائما عن المبادرات الشعبية العفوية، حيث تنتفض الجماهير مثل رجل واحد...

– إنك تهزأ؟

– أبدا، إنني أعتقد اعتقادا راسخا بصحة هذه الأقوال.

– يتوجّب عليّ أن أحدثك بلغة صريحة. فإن أردت أن تتحايل علينا، فإني أعلمك بأنك ستدفع الثمن غاليا. في هذا البلد، يوجد شيئان مقدسان: الرسول والرئيس. ولا يُسمَح لأحد أنْ يمسّهما بسوء. إذا انتقدت الأوّل، فإنك تريد الحط من الإسلام. وإذا انتقدت الثاني، فإنك تريد تحطيم الثورة.

– أريد أنْ أعرف لماذا أودعتموني هذا المكان؟ وما هي التهمة الموجّهة إليّ؟

– هل تصرّ على أنّك تعمّدت القيام بهذا الفعل وبعد التحضير له؟

– نعم.

– في هذه الحالة، إنّ القضية تتجاوزني، ولا أستطيع مساعدتك. كان الله في عونك.

بهذه العبارة ختم الشرطي الحديث وهو ينهض من مقعده. كان المحافظ ينتظره في مكتبه. فبمجرد دخوله، سأله:

– وبعد؟

فردّ هذا الأخير:

– وبعد؟

– باءت كل محاولتي بالفشل. لا وجود لعلبة حليب واحدة. وكيف حال صاحبنا؟

قدّم الشرطي تقريرا مفصّلا عن الاستنطاق.

– إنها قضية سياسية إذا. هذا ليس من اختصاصنا، سنسلّمه فورا إلى المصالح المختصة. وهو أحسن لنا. أظن بأنك لم تطرح عليه أسئلة معرضة للشبهات.

– لا، بكل تأكيد. لقد اكتفيت بأسئلة الاستبيان القديم. وحَملته على تأكيد أنّ ما أقدَم على فعله ليس هفوة.

– ذلك أنه ليس من المستبعد أن يجد هذا الرجل نفسه متهما بالخيانة العظمى أو المساس بنظام الأمة. حسنا، سأهتف للمصالح المختصة. سيتأخرون دون شك قبل الوصول إلينا. إن هؤلاء الناس مشغولون دوما.

– يجب أنْ أخبرك أنّ هذا الرجل لا يظهر أنه قلق على مصيره. هل أنت متأكد من أنّ الحزب والنقابة لم ينظما تجمعا ما.

– هذا ما أكّده لي المُراسلون الذين اتّصلت بهم.

– ربّما كانت معلوماتهم ناقصة.

– وكيف تفسّر أنه وُجِد وحيدا؟

– أنت تعرف أن هذه المظاهرات الرسمية لا تجلب الناس كثيرا على خلاف ما تظهره لنا صور التلفزيون المزوّرة. من جهتي، حدث أن وجدت نفسي الحاضر الوحيد في اجتماع خلية الحزب.

– في انتظار ذلك، اسهَر على أن يعامَل معاملة لائقة. ولا تُخبر أحدا. كما لا أريد لأعواننا أن يعرفوا شيئا. أتمنى أنه لن يخلق لنا مشاكل في انتظار تسليمه للمصالح المختصة. ليبقَ معزولا.

– أين ينبغي وضعه؟

– من الأفضل أن نتركه في المكتب. أطلب من أحد رجالك أن يضع فراشا وغطاءً.

– كلها مشغولة.

– كيف ذلك؟ هل قمتم باعتقالات جديدة؟

– لا، ولكن لدينا قريبان لأحد أعواننا أتيا لزيارته بمناسبة أول ماي، وبما أنه يسكن في غرفتين مع أبنائه الأربع عشرة، لم يعثر على مكان لإيوائهما، فطلب رخصة ليقيما داخل زنزانة المحافظة. ولم أرفض.

– دبّر رأسك... لا أريد مشاكل مع هذا الرجل.

اقتحم المساعد الأوّل مكتب المحافظ في الوقت الذي كان هذا الأخير يستعد للخروج.

– إن الرجل الغريب يطلب مقابلتك.

– ماذا يريد مني؟

– رفض أن يفصَح لي عن السبب.

– أصغِ إليّ جيدا... هذه ثلاثة أسابيع وأنا أقوم بالمداومة بدون أن نُدخل في الحساب هذا اليوم الذي لم يأت في محله إطلاقا. أنا مُنهَك. حاول أنْ تعقِّله، امنَح له كل ما يريد.

– يريد مخاطبتك شخصيا، وهو مصرّ على ذلك.

دمدم المحافظ قائلا:

– إنه سيّء الحظ، لأنني لست في حالة جيدة اليوم.

توجّه المحافظ بخطى خفيفة نحو المكتب الذي حُوِّل إلى زنزانة وفتح الباب بعنف. نظر إلى الرجل بقسوة وكان هذا الأخير قد وقف عند دخوله.

– أنت هو المتهم؟ تريد مكالمتي؟ إنني مُصغٍ إليك، كُن مختصرا.

– يا سيدي المحافظ، اسمح لي أولا بإلقاء التحية عليك. ولكن بما أنك تطلب الاختصار، فأعبر عن مطلبي مباشرة. ألاحظ أنكم أحضرتم سريرا إلى هذه الغرفة،

وأستنتج إذاً أنكم تنوون حجزي لمدة طويلة. وأنت بنفسك عاملتني كمتّهم. لهذه الأشياء كلها، أطلب منكم تحديد الجنحة التي تتهمونني بها؟

– كيف ذلك؟ ألَست واعٍ بخطورة ما أقدمت على فعله؟

– كنت أجهل أنّه يمكن لشخص أن يُتّهَم بجنحة بمجرّد أنه عبّر عن رأيه، وعلى حسب علمي نحن في بلد ديمقراطي.

– لم أقل مثل هذا الكلام.

– زيادة على هذا، فإنني لم أفعل إلا أن عبّرت عن مساندتي للرئيس. وهل أستنتج أن نظامكم السياسي يمنع مساندة الرئيس؟

– قطعا لا...

– إذا، هل قمت بفعل يستحق الردع؟

– إنّ حالتك ليست من اختصاصي. اليوم هو أول ماي، عطلة مدفوعة الأجر، وعبر كامل التراب الوطني، يتمتع العمال براحة مستحقة. إنّ أعوان الشرطة هم أيضا عمال. غدا سيتولى أمرَك من يُخوّل لهم القانون الفصل في مثل هذه القضايا. وسيجيب هؤلاء عن كل تساؤلاتك.

– من هم هؤلاء الناس؟ لم أفهَم...

– المصالح الخاصّة.

– عملية غير شرعية. لا وجود لقانون يسمح بتأسيس شرطة سياسية.

– لماذا كنت تريد مقابلتي؟

– أريد أن أعرف ما هي التهمة الموجهة ضدي.

– لنتفادَ اللجوء إلى الكلمات الكبيرة. أنت لستَ محبوسا بل محجوزا إلى غاية انتهاء التحقيق حول ما قمت به.

– هل قمت بفعل يقع تحت طائلة قانون العقوبات؟

– لم أقل مثل هذا الكلام.

– إنني أستنتج أن توقيفي هذا هو سبب التعبير عن رأيي.

– أبدا... إن هذه الجنحة غير موجودة في الدستور.

– بما أنكم لا تستطيعون إحالتي أمام القاضي، فينبغي إطلاق سراحي.

– مستحيل...

– ونتيجة لهذا، أطالب بمنحي منزلة السجين السياسي.

– ولكنك تعرف جيّدا أنّ في بلادنا لا وجود لسجناء سياسيين. الرئيس نفسه أعلن ذلك للصحافيين الأجانب. إذا أنت لست سجينا سياسيا.

– أطالب بالحقوق الخاصّة بوضعيتي كسجين سياسي.

– وما هي هذه الحقوق؟

– بدءاً بالحق في الإعلام. أريد جهاز تلفزيون في غرفتي.

– أنت تهزأ؟ هذه الأجهزة لا تباع إلا في السوق السوداء وبثمن يفوق خمس مرات السعر الرسمي المعلن عنه. أنا نفسي اضطررت إلى استعمال نفوذي كي أقتني لأولادي هذا الجهاز.

– هذه ليسَت مشكلتي. وأريد أيضا توفير جميع الصحف بما في ذلك الجرائد الأجنبية.

– أنت تعرف جيّدا أنّ هذه الأخيرة، المستوردة بتقتير كبير، تباع تحت الكونتوار. إن وظيفتي كمحافظ لا تسمح لي بالحصول على نسخة واحدة. ومع ذلك، أنا أيضا، أحب معرفة ما يجري في العالم من أحداث. ولكن يحدث لحكومتنا التي ترهق نفسها بأوهام الديمقراطية أن لا تملك وسائل سياستها، أن تنقصها العملة الصعبة.

– كما أريد ورقا وقلما وظرفين بطابعين بريديين، الواحد للداخل والثاني للخارج.

– لمن تريد الكتابة؟

– أولا للرئيس، أخبره بما يحدث لي.

– وتفعل هذا؟

– أنا متأكّد بأن محيطه يخدعه. هذا ما يفسّر جميع القرارات السيئة التي يتخذها. إنني معجب به وأحترمه كثيرا. لهذا السبب أردت مساندة وتشجيع سياسته. وأعرف أنه سيعترف لي بحقي.

– ستصاب بخيبة أمل دون شك. والرسالة الثانية؟

– إلى منظمة العفو الدولية، لكي تعتني إحدى خلاياها بوضعيتي.

كان المحافظ يعتقد أنّه سيستمتع بأيام الراحة التعويضية كي يهتم بحاجات مولده الأخير. ولكن في صباح الغد أيقظته رنّة الهاتف. كان مساعده يطلب حضوره فورا. لم يتمكن حتى من تحليق ذقنه. وصل إلى المكتب في هيئة مهملة وسحنة مدعوكة ومزاج فظ.

– ماذا حدث؟

– تعقّدت القضية.

– لماذا؟

– جاء مراسل صحيفة أجنبية يدس أنفه هنا. يظهر أنه على علم بما حدث.

– آه على هؤلاء الصحفيين الغربيين! طاعون حقيقي! إنهم يحومون دوما حول الروائح النتنة. وأتساءل لماذا تسمح الحكومة بتواجدهم في بلادنا؟ لحسن الحظّ أنّ الصحافة الوطنية تسلك سلوكا مخالفا تماما وإلا... ماذا يريد هذا الصحفي؟

– يبحث عن التفاصيل.

– أتمنى أنّك عرفت كيف تتملّص من أسئلته.

– إنه ذكي جدا. أظنّ أنّه تفطّن إلى ارتباكي.

– ألا تتعلم الكذب أبدا؟ إنّه ضروري في مهنتنا. يجب أنْ نتخلص من هذا الدخيل المزعج في أقرب وقت ممكن.

بعد يومين، حضرت سيارة مقنعة وأخذت معها الرجل ودليل الجريمة. تنفس المحافظ الصعداء وهو يتخلص من المشكلة التي أرّقته خلال اليومين الأخيرين.

– إنّ مثل هذه المصالح الخاصّة تسهّل علينا المهمّة كثيرا. شخصيا لا أرغب الاهتمام بمثل هذه الحالات.

تسلّل سائق السيارة المغفلة عبر مجموعة متتابعة من الشوارع الملتوية، الضيقة، المكتظة، وتوقف أمام سياج فيلاّ جانبية واقعة تحت أشجار باسقة في أعالي العاصمة. أنْزِل المتظاهر، فنظر إلى الأماكن حوله محرّكا رأسه. ارتسمت على ثغره ابتسامة غريبة. سأله أحد المرافقين:

– ماذا يحدث لك؟

– لا شيء، لا شيء... أظنّ أنني أعرف هذه الأماكن أحسن معرفة.

أدخلوه إلى غرفة يبدو أنّها ظريفة. كانت مؤثثة بسرير مجهز بغطاء جديد وجوخ نقي. لاحظ أنّ الجدران ما زالت على نفس اللون. في زاوية الغرفة، يوجد مغسل فوق الإفريز وقد وضعت فوقه الأشياء الضرورية للنظافة.

أدار مفتاح الحنفية، نضح الماء بقوة، فسجّل استغراب: "هو ذا الماء يتدفق برغم العلوّ !"

قرّر اغتنام الفرصة ليغسل وجهه جيدا. وبعد ذلك، حلّق ذهنه بعناية، وتأسّف لعدم امتلاكه مقصا ليسوّي شلاغمه بقطع بعض الشعيرات المتمرّدة. وفي لحظة المراقبة النهائية، كان حزينا وهو يلاحظ في المرآة أنّ عنق قميصه كان متسخا. وُدّ لو تمكّن من غسله. ولكنه خشيَ أنْ يُستَدعى للاستنطاق قبل أنْ يجف: "كيف يكون شكلي وأنا بالملابس الداخلية فقط؟"

كانت شكوكه في غير محلها. لقد انتظر يوما كاملا. وفي تلك المدّة دخل عليه مرّتين قيّمُ المنزل ليحط صينية الأكل فوق السرير. ولاحظ أنّ الباب لم يكن مغلقا بالمفتاح. سهر إلى غاية منتصف الليل لأنه خشي أن يوقَظ من النوم للإجابة عن الأسئلة. فكّر: "سأكون بحاجة إلى كل صفائي العقلي. سوف لن أتركهم يوقعونني في مطبات بألاعيبهم الشيطانية."

غلبه النوم أخيرا. في الصباح، حينما استيقظ، لاحظ الحالة التعيسة التي كانت عليه ملابسه. خَجل من نفسه: "لا يكون هذا الوضع في صالحي."

أبعدَت عنه هذه الوضعية الرغبة في تحليق ذقنه. على العاشرة صباحا، دخل الغرفة رجل لم يرَ ضرورة تقديم نفسه إليه. طلب منه أنْ يتبعه. ثمّ وجّهه إلى مكتب كان فوقه بكل تأكيد استبيان الاستنطاق الذي سيلاحقه من الآن فصاعدا أينما حلّ. جلس الملازم الأوّل "بوطاما" قبل أن يدعو ضيفه إلى الجلوس. تظاهر بالانغماس في قراءة الوثيقة؛ ولكنّه لم يتوقف عن اختلاس النظر إلى الرجل الجالس قبالته. أخيرا، رفع رأسه، وكانت برطمة سيّئة تثقل شفتيه.

– إذاً هكذا، وبكل بساطة، تخرج وحدك إلى الشارع لتتظاهر؟

– على حسب علمي، لا يوجد قانون يمنع ذلك.

– وما هو هدف المظاهرة؟

– لقد قلته من قبل. أعبّر عن مساندتي للرئيس. هل في هذا الفعل ما يغيظ؟

– لم أقل هذا. ولكن بإمكانك أن تعبّر عن مساندتك بمناسبة المظاهرات التي ينظمها دوريا الحزب والنقابة.

– لم أتغيّب عن المشاركة فيها أبدا.

– إذا لماذا تخرج بمفردك؟

– لأنّ الحزب والنقابة لم ينظما تجمعا هذه المرّة. قدّرت أن ذلك شيء مؤسِف. لهذا السبب، اتخذت مبادرة فردية.

– ولكن من أوحى لك بالفكرة؟

– لا أحد. أنا دائما أتخذ قراراتي في استقلالية تامة.

– لماذا تعبّر عن مساندتك للرئيس بهذه الطريقة المكشوفة؟

– أعتقد بأنه منذ تواجده على رأس الحزب والدولة، قد حقق للبلد تطورات ملحوظة.

– هذا نعرفه جميعا. وهو ما تحكيه الصحف في كل صباح.

– لن نملّ من قوله أبدا.

– حقاً؟

– بكل تأكيد. أعاد الإصلاح الزراعي الأرض للفلاحين. ظهرت قوانين تُمكِّن العمال من المشاركة في تسيير المؤسسات واقتسام الأرباح. كما يمكن لأفقر شخص أن يعالج مجانا في المستشفيات. إن أبواب المدارس مفتوحة على مصراعيها لأبناء الشعب، وتزدهر الجامعات في المدن...

– يوجد أناس كثيرون لا يشاطرونك الرأي. ويقولون بأنّ الإنتاج الفلاحي في انخفاض مستمر، وأنّ المصانع لا تنتج شيئا، وأنّ العمال يقضون أكثر أوقاتهم في طوابير المساحات الكبرى التي تنقصها المواد الضرورية دوما، أكثر مما يقضونها في أماكن عملهم، وأنّ البطالة في ارتفاع مستمر مثل الجنح والأسعار، وأنّ مستوى التعليم كارثة وأنّ مؤسسات الصحة تحوّلت إلى أمكنة لانتظار الموت...

– إنه تشهير وقدح.

– هل أنت صادق فيما تقول؟

– وهل تشك في ذلك؟

– إن الخطاب الذي تلفظت به هو عادة خاصّية أفراد يتقاضون مقابله ثمنا مرتفعا. أما أنتَ، فإنّك مستخدم بريدي. هل لديك طموحات سياسية؟

– في مثل سني، لا نغذي مثل هذه المشاريع.

– طيّب. سنكف عن هذه اللعبة المثيرة للسخرية. إن فعلك هذا بالنسبة إليّ هو مناورة للنيل من شخصية الرئيس.

– كيف ذلك؟

– في العادة، تتدفق أمواج بشرية في الشوارع لمساندة الرئيس. أما رجل واحد في الشارع فهو دليل قاطع على أن الرئيس لا يحظى بأية مساندة شعبية.

- إنك تهزأ؟

- في هذا المكان، لا نتسلى إلا بين الزملاء. قل لي هل أنت شيوعي؟

- الله يحفظ !

- ألَم تقدِم معهم على فعل شيء ما؟

- أنا أميل إلى العزلة. أمشي وحدي مثلما لاحظتم. وزيادة على ذلك، فإنّ الحزب الشيوعي لا وجود له بما أنه قد تمّ حلّه.

- هل أنت عضو في حزب معارض للسلطة؟

- أية معارضة؟ لا أعرف أنها موجودة. لا تتحدّث عنها الجرائد أبدا.

- هل مسّتكم، أنت أو أي فرد من العائلة، إجراءات تأميم الأراضي؟

- ليسَت لديّ عائلة، ولم أملك في حياتي قطعة أرض مهما كانت صغيرة.

- تأميم المصانع إذا؟

- هل لديّ وجه رجل أعمال؟ كان أبي عاملا بالميناء.

- هل وقع لك خلاف شخصي مع أحد أعضاء الحكومة؟

- ليس من عادتي ملازمتهم.

- يكفي لهذا اليوم. سنكمل حوارنا لاحقا.

- هل يمكن أنْ أعرف نوع التهمة الموجهة إليّ؟

- لحد الآن حادثة تافهة: التظاهر في الطريق العمومي دون رخصة إدارية.

كان رئيس "بوطاما" قد قال له بالحرف الواحد:

- ينبغي أن نعرف من هو بالضبط. ابحَث في حياته. ابدأ بماضيه: يملك كل فرد في حياته شيئا من التلويث أو الخيانات الصغرى. إنه الشيطان بعينه إن لم تتمكن من اكتشاف بعض الأسرار المتخفية في سيرته. يمكن استثمار كل حادثة في حياته، مهما بدَت لك تافهة وغير ذات قيمة. وبعد ماضيه، احفر في حاضره. إن الوجود مصنوع من غيرات يومية وأحقاد أسبابها غير محدّدة. اسأل جيرانه في السكن، زملاءَه في العمل. إنه الشيطان بعينه إنْ لم يبوحوا لك ببعض الأسرار اللذيذة. ولا تنسى تسجيل كل العناصر الإيجابية. لا نعرف أبدا ماذا سيَقع.

كانت السيّدة الثخينة تعرف بالتجربة أن الشرطة نادرا ما تحقق في صالح المواطن، لذلك ارتأت مباشرة إمكانية استغلال الوضعية لصالحها. أرادت أن تعرف أكثر، ولكن "بوطاما" أظهر صرامة فورية وأفهمها بأدب بأنه جاء ليأخذ المعلومات وليس لإعطائها.

– إنك يا سيّدي عند عائلة محترمة. ويمكن للجيران أن يؤكّدوا لك ذلك. إنني أسكن في هذه العمارة منذ خمس عشرة سنة ولم يحدث لي أدنى شجار مع أحد. لا أهتم إلا بأولادي، وأسهر أن لا يلتحقوا بالأمواج الصاعدة للمشردين الذين يعاشرون ليل الشوارع. لا أملك الوقت الزائد لأخصصه للآخرين. ولكن بما أن الشرطة هي التي تسألني فإنّ واجبي المدني يضطرني إلى قول الحقيقة.

وشجعها الضابط قائلا:

– بكل تأكيد سيّدتي.

– أصارحكم بأنّ هذا الرجل غريب شيئا ما. لم أشاهده يقوم بواجباته تجاه الجار. عادة ما أنتظره في ردهة الدرج عند عودته من العمل، كي أتحدّث معه قليلا حديثا صغيرا، بدون موضوع محدد، فقط لتغيير الجوّ ونسيان الهموم اليومية. هل تتصوّر أنه لا يكاد يتلفظ بكلمتين أو ثلاث قبل أن يغلق الباب خلفه. ولمرات عديدة، ذهبت عنده أطلب قليلا من الملح أو الخبز أو الحليب... إنك تعرف ولا شك مشاكل التموين في البلد... يزور المرء محلات عديدة ويعود بيدين فارغتين، دون أن يحظى بأية سلعة مهما كانت ضئيلة. ينبغي على الجيران أن يتعاونوا فيما بينهم. هل تصدّق بأنه أغلق الباب في وجهي. لا، حقا، كل ما يمكن أنْ يُقال هو أنه يسلك سلوكا غريبا. هل تصدّق أنه في اليوم الذي ظهر فيه الموز يباع في المساحات الكبرى، اصطف كل أفراد الحي خلف الطابور الطويل لاقتناء الكرطون الثمين الذي يزن خمسا وعشرين كيلوغراما من الفاكهة العجيبة، باستثناء صاحبنا هذا؟ لماذا بربّك لم يفعل مثل الآخرين؟ هل حقا لا يحب الموز؟ ألا تجد هذا السلوك غريبا؟ بل غير معقول؟ وأقول لك أكثر من هذا: لم يكن موجودا أيضا يوم وزعوا تلك الأغطية المستوردة مباشرة من الصين. إنها أغطية رائعة، ناعمة ودافئة مثل زوجتك التي تنتظرك في الفراش في مساء شتويّ، شديد البرودة. وبيعَت في السوق السوداء بسعر يفوق ثلاث مرات سعرها الرسمي. إنّ الناس كلهم يحتاجون إلى الأغطية. ليسَت من المواد القابلة للتلف، ويمكن المحافظة عليها لأطول مدّة ممكنة. وأنا متأكّدة بأنك أسرعت للالتحاق بالطابور في المساحات الكبرى لحيّك بمجرّد سماعك أن مثل تلك الأغطية قد وصلت. وهناك ما هو أخطر من كل هذا. ولكنني لا أعرف إنْ كان من حقي البوح به.

- إنه من واجبكِ سيّدتي أنْ تساعدي الشرطة.

- هل يمكنك تخيّل أنه رفض تسجيل اسمه في قائمة المترشحين لإجراء القرعة التي ستعيّن المستفيد المحظوظ حينما استلمت الإدارة التي يشتغل بها حصتها من الأجهزة الكهرومنزلية. لا تقُل لي بأنّ مثل هذا السلوك معقول، ها...؟ ماذا كان سيَخسَر لو سجّل اسمه؟ لم يكن مضطرا للوقوف خلف طابور طويل، بل كان بإمكان أن تُحمَل له البضاعة إلى غاية مكتبه. وإذا لم يكن بحاجة إلى ثلاجة أو جهاز تلفاز أو طباخة، فكان بإمكانه إفادة أحد أصدقائه، بل وأحسن من ذلك أحد جيرانه، أو الاحتفاظ بها في بيته تحسبا لأي خلل قد يقع لجهازه الحالي والذي لم يتمكن من تصليحه نظرا لندرة قطع الغيار، بل وكان بإمكانه أن يفعل مثلما يفعل الجميع، فيبيع الجهاز بفائدة تفوق ضعف مرتبه الشهري. لا يمكنك بعد كل هذه الأمثلة أن تقول لي بأنه ليس شخصا غريبا؟ ومع ذلك، فهناك ما هو أخْطر يا سيّدي الشرطي.

- إنني مصغٍ إليك سيدتي.

- إني متردّدة. على كل حال، حياته الخاصّة لا تهمه إلا هو.

- إن هذه الخصال تشرّفك سيّدتي، ولكنني أؤكّد لكِ أنكِ لا تقومين إلا بالواجب.

- ولكن ما هو الاتهام الذي توجّهونه له؟

- إنني محظوظ بلقاء سيّدة نبيلة وشريفة مثلك. إن لأخبارك أهمية كبيرة بالنسبة للشرطة. وستعرف مصالحنا كيف تتذكر تعاملك الطيب معنا.

- حقا...

- أؤكّد لك ذلك.

- ما أردت قوله هو أنّ الرجل أعزب، يعيش بمفرده.

- عفوا...

- نعم، بلا زوجة ولا أولاد.

- وحده حقا؟

- بكل تأكيد. غير معقول، أليس كذلك؟ المؤكّد أنّ حياة العزوبية لا تتلاءم مع رجل في مثل عمره. كيف يفعل، أطرح عليك السؤال؟ هل يتردّد على تلك الأمكنة الفاسدة؟ أم أنه يتدبّر أمره وحيدا في غرفة الحمام؟ وفي الحالتين، فالأمر غير سليم وغير صحي، إلا إذا كان مصابا بعيب مفزع. فهو لا يدعو أحدا إلى بيته، ربّما يفعل ذلك لحماية سرّه...

– ألا يحدث أن تزوره امرأة بين الفينة والأخرى؟

– لا، أبدا. أؤكّد لك ذلك. زد على هذا أننا، جارتي وأنا، لم نكن لنقبل بمثل هذه الزيارات.

– هل يحدث له أن يقضي لياليه خارج البيت؟

– إنه وفيّ لسريره كما لو أن أجمل امرأة في الكون تنتظره كل مساء.

– ألَم يتزوج مرة ثانية؟

– نعَم ومنذ عشرين سنة. هكذا قالت العجوزان الشرستان اللتان تسكنان في الطابق السادس. كانت زوجته نصف امرأة، نحيفة ومبتسمة. توفّيَت بعد ستة أشهر من الزواج بمرض غريب، من السقام مثلما قالت لنا اللائي عرفناها. ولكن اليوم، وعلى ضوء ما تعرفه، لا يمكن استبعاد احتمال القتل.

– أهكذا تفكرين؟

– أظن أنّ مهنتك تجبرك على أن لا تستبعد أي احتمال.

– الحق معك سيّدتي، سأتبع نصيحتك.

– وهل ترى أنّه من المعقول لرجل أن يبقى بلا امرأة لمدّة عشرين سنة؟ والحق يقال أنه لو أراد الزواج لما اضطر إلى الذهاب بعيدا للعثور على من تعتني به وببيته. أنا مثلا ما زلت قادرة على إعطائه كل الأطفال الذين يريدهم وبحيوية لم يكن ليحلم بها. ولكن هذه مهمته هو. ورغم ذلك، لا أمنع نفسي من التفكير بأنه رجل لا يليق باستعمال المكنسة والنشافة. وفوق كل هذا، ولكي يسخر منا جميعا، يتمتع وحده بشقة واسعة من ثلاث غرف، بينما أعيش أنا مع سبعة أطفال، أكبرهم في سن الزواج، في غرفتَين صغيرتَين. سبَق لي أن طلبت منه ولمرات عديدة تبادلا عادلا؛ ولكنّه ضحك في وجهي. قل لي هل هو في السجن؟ وهل سيبقى لمدة طويلة؟

– لماذا تطلبين مني ذلك؟

– في هذه الحالة، أُفضّل أنْ أكون أوّل من أتقدّم إلى ديوان السكن أطلب تسجيل شقته باسمي. لديّ الأوّلوية. وأتمنى أن تدعّم طلبي. إن مساندتك ستكون مفيدة لي. أعرف كيف تجري مثل هذه الصفقات. إنّ موظفي هذا الديوان مرتشون وفجّار إلى درجة أنه لا يُستغرب أن تُمنَح هذه الشقة إلى فتاة جميلة ولطيفة تحسن استقبالهم وشكرهم على طريقتها الخاصّة.

استقبل رئيس المصلحة الضابط دون طول الانتظار. إنه شاب أنيق وجذاب. كان يجلس خلف مكتب مكشوف. وككل رجال الشرطة، يتأفف "بوطاما" من الشرح. دمدم بين شفتيه أنه يريد معلومات حول أحد عمال البريد.

– هل يعمل في مصلحتكم منذ مدّة طويلة؟

ابتسم الموظف. بدا مزهوا بشخصه وحياته. كان نبيها وهادئا.

– ينبغي عكس السؤال. إن زميله في العمل وهو الذي يعدّ حسابات دقيقة، أكّد لي بأنني المسئول السابع عشر الذي يتولى رئاسة هذه المؤسسة، وسوف لن أكون الأخير لأنه ليس في نيتي الخلود ها هنا. أُسنِدَت إليّ هذه الوظيفة لأنني أملك شهادة الدراسات العليا ولا أتقن عملا معينا. وبما أنني غير كفء لممارسة هذه المسئولية، أنتظر الوقت المناسب للتسلّق أكثر في الوظيفة. والحاصل أنه لا يمكنني أن أكون أقل كفاءة لأتسلّم وظيفة أخرى. إن مسئولينا الكبار الذين حلّلوا جيدا الوضعية الراهنة يعرفون بأن المسئولين الذين يُعيّنون على رأس وظائف مهمة، وبسبب قصورهم لا يملكون أي تأثير على السير الحسن للأجهزة التي من المفروض أنهم مكلفون بتسييرها. ولهذا السبب فإنهم يسمحون لأنفسهم بتغييرهم مرارا ما داموا يخدمون مصالحهم، ولا يتردّدون في إسناد هذه الوظائف لأصدقائهم، وهم يعرفون أنّ هؤلاء عديمو الفعالية تماما مثل المعوقين. وفي المقابل، كلما هبطنا في السلم الإداري، كلما ظهرت كفاءات أكثر. لنتكلم بصراحة، ماذا أفعل أنا في هذا المكتب؟ أؤكّد لك أنني أكتفي بإمضاء الوثائق التي يعدّها المرؤوسان اللذان يعملان معي. ولا داعي للتأكيد بأنني لا أفقه شيئا في العبارات المعقّدة التي أسهب في النطق بها. وأنا مقتنع بأنّ الذي ألّفها يتمتع بكفاءة عالية، وقد يكون بلا ريب عاملا في الدرجة الأوّلى. حينما لا نملك شهادة ولا كفاءة، يمكننا الحلم بأن نصبح وزيرا في يوم ما. ما عليك إلا النظر إلى مظهر أعضاء الحكومة. وفيما يخصني، سأبقى متفائلا بالرغم من العائق الجدي الذي تكونه فترة دراستي الطويلة.

لا حظ الضابط لمحاوره الفصيح أنه لم يأتِ إلى مصلحته ليتعرّف على تناقضات البيروقراطية البريدية.

– ماذا تريدني أن أقول لك؟ بأنه موظف مثالي؟ يبقى هذا دون الحقيقة. بالنسبة إليّ إنه ديناصور، بمعنى أنه من بقايا نوع قد انقرض منذ زمن بعيد. مثال بسيط كي نحدّد موقع صاحبنا: لا يصل إلى عمله متأخرا أبدا، برغم أنه يسكن في حيّ بعيد من هنا. أمر عجيب في مدينة يبحث الناس فيها دوما عن الحافلات النادرة مثلما يبحث المرء عن

الواحات في الصحراء. لا أعرف كيف يتدبّر أمره؛ ولكنّه يحضر دائما على الساعة الثامنة. وليست هذه حالتي طبعا. ولا داعي للتحديد بأنه لم يتغيّب يوما واحدا عن عمله منذ سنوات. وحينما جاء زميله وأخبرني بغيابه، أدركت مباشرة بأنّ حادثا خطيرا قد وقع له. وبالمناسبة هل يمكن أن تقول لي ماذا وقع له؟ ينبغي تسجيل ذلك في التقرير.

– لست مرخصا للإجابة عن مثل هذا السؤال. قل لي، ما هي مواقفه السياسية؟

لم يتمالك رئيس المصلحة نفسه من الضحك.

– عفوا، لم أفهم جيدا سؤالك.

– أريد معرفة مواقفه السياسية.

– إنك تهزأ...

– هل لاحظت ذلك في وجهي؟

– وماذا يَهمّني في مواقفه السياسية. هل تراني أتحدّث معه في ذلك؟ وماذا تعني عبارة: مواقف سياسية؟ هذا شيء جيد خاصّ بالدول الديمقراطية. أمّا عندنا، فالسياسة قضية الحزب الواحد الذي ينشر في جريدته الموجهة لمناضليه ليعلّمهم كيفية التفكير في قضايا الساعة الكبرى، لا غير. وعلى المسئولين السياسيين أن يحفظوا هذا الخطاب عن ظهر قلب. أما بني آدم العاديون، فإنهم يكتفون بقراءة الصفحة الرياضية. ولا أحب الذين يقضون وقتهم في التكهنات أو في نشر الشائعات، مثل الذين يؤكّدون لك بوقاحة أن عمال النظافة مضربون في الوقت الراهن، رغم أن الجرائد أوضَحت أنّ سبب تراكم الأوساخ على الأرصفة هو تعطيل تقني للشاحنات المكلفة بجمعها. ولا مبرر في البدء بالهذيان. هل تتذكّر زلزال الأصنام؟ لقد بدأ الناس يتحركون ويقيمون الخسائر ويعدّون الموتى وينظمون الإغاثة قبل أن تجتمع الحكومة وتقرّر إذا ما كان الزلزال قد وقع أو لم يقع. بالنسبة لرمضان أيضا، قد لاحظت بدون شك ماذا يحدث كل سنة. لا يثق المؤمنون في ما يعلنه التلفزيون. ويقدّمون الصوم أو يؤخرونه دائما بيوم واحد. هذا ليس وضعي أنا. لذلك أطلب منك ما هي هذه المواقف؟ ولا تظن بأنني سأطلب رأيه حول حرب الفيتنام أو غزو أفغانستان؟

– هل ينتمي إلى النقابة؟

– بكل تأكيد. إن كل موظف يتلقى بطاقة مع أول إيصال الأجرة، ويخصم ثمن الطوابع بطريقة آلية من الأجرة الشهرية، تماما مثل الضرائب والضمان الاجتماعي وكذا التبرعات التطوعية لصالح الإصلاح الزراعي أو فلسطين. ألا يحدث هذا عندكم؟

– أريد أنْ أقول هل هو عضو الفرع النقابي؟

- لقد شرحَت لك أنه وزميله يسيّران المصلحة كلها. كيف يستطيع ذلك لو كان عضوا في الفرع النقابي؟ وحتى حينما ندافع عن حقوق العمال، لا يمكن أن نكون في الطاحونة والفرن في آن واحد.
- هل زميله حاضر هنا؟
- في المكتب المقابل.
- شكراً.

انتقل الموظف البريدي لجلب الكرسي العتيق الذي يجلس عليه زميله الغائب وقدّمه للزائر. وبعد ذلك علّق مبرّرا:

- لم نتعوّد على الاستقبالات في هذا المكتب. إن عملنا تقني صرف.
- أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة فيما يخص زميلك في المكتب.
- أنا تحت تصرفك. هل تسمح بملاحظة أولية؟
- باختصار شديد...
- أعرف بأنّ رئيسي يميل إلى الإطناب، ولكنني على نقيضه تماما.
- إنني مُصغٍ إليك.
- يخيّل إليّ أنني رأيتك قبل ذلك.
- نعم؟ إننا نتوقع كل شيء من مستخدمي البريد. كنت أظن أنّ مثل هذه العبارات مخصصة فقط للحسناوات اللائي يطاردهن بعض الطائشين عديمي الخيال.
- ربّما نسكن في نفس الشارع.
- مُمكن جدا. ولكنني أتيت هنا لأطلب منك أن تكلمني عن صديقك.
- إنه ليس صديقي.
- هذا مهم جدا، وكيف ذلك؟
- نحن زملاء في العمل ولسنا صديقين.
- أفهم ذلك. لقد أكّد لي رئيسك أنّ علامته أحسن من علامتك.
- كان الوضع دائما على هذه الحالة، وهو أمر عادل تماما.
- منذ متى وهو يشتغل هنا؟
- هل ترى هذين المكتبين الحديديَين؟ إننا هو وأنا، يجلس كل واحد منا خلف أحدهما، ونحن متقابلان منذ أربعين سنة. عرفت البلاد تقلبات وتغيرا ت كبرى. انتهت الحرب العالمية الثانية والمسيرة الصينية الطويلة، وحربي كوريا والهند الصينية، نجحت الثورة الكوبية، حروب التحرير واستقلال دول كثيرة بما في ذلك بلدنا، حرب الفيتنام،

الرجل الأوّل على سطح القمر... ولكن هذا المكتب لم يعرف أدنى تغيير. إنه جزيرة الأزمنة الثابتة. استمررنا زميلي وأنا على الدخول يوميا على الساعة الثامنة والجلوس خلف هذه الأثاث لنبدأ دائما في ملئ نفس البيانات. لا وجود لشيء ثابت أكثر من العملية البيروقراطية. هي وحدها تَصْمد أمامَ الأحداث والرجال.

- بالضبط هل تحدثني عن ماضيه؟
- يتلخّص في كلمتين: جالس قبالتي.
- قبل اندلاع حرب التحرير، هل كان يناضل في حزب سياسي؟
- أجهل ذلك.
- حقا؟
- إننا هو وأنا اتفقنا على قاعدة، نحافظ بموجبها عن نوعية علاقتنا، أن لا يسأل أحدنا الثاني أسئلة شخصية. هو سرّ تعايشنا الطويل.
- أردت أن أقول بأن الحزب الشيوعي في تلك الفترة كان منتشرا في أوساط البريد.
- هذا ليس خطأ. إنني كنت عضوا فيه. هل أفهم من هذا أنّ الذي انتمى إلى حزب عمالي قد أصبح اليوم مجرما؟
- إنني أستخبر فقط ولا أطلق أحكاما. كيف كان موقفه تجاه حرب التحرير؟
- شبيها بموقف الأغلبية الساحقة لسكان هذه المدينة: الحفاظ على سلامة الرأس فقط.
- فقط؟
- ظل يصل إلى مكتبه على الساعة الثامنة بالضبط، حتى في الأيام التي يكون فيها الحيّ مطوّقا بالمظليين.
- وكيف كان يفعل؟
- أجهل ذلك.
- ولم يقع له حادث ما؟
- الآن أتذكّر بأنّه في يوم من الأيام اتّصل بنا شَخصٌ غريب.
- نعم؟
- أكّد لنا أنه يمثل الجبهة وطلب منا مساعدته لفتح حسابات جارية خيالية لتسهيل عملية نقل كمية من المال إلى الخارج، والتي كانت حسب قوله مخصّصة لشراء الأسلحة.
- وبعد؟

– أنا رفَضت طبعا. ولكنه قَبِل. ولم يكن راضٍ عن نفسه كثيرا.

– لماذا؟ يمكن له اعتبار الفعل شكلا من أشكال المقاومة.

– لسببَين اثنَين: أولهما أنّ رئيس المصلحة وهو فرنسي في ذلك العهد، كان يتمتّع بكفاءة أعلى من تلك التي تسيِّرنا اليوم، فلم يتأخّر من اكتشاف الحركات الغريبة لتلك الحسابات. ظنّ أنّ هناك اختلاسات فأخبر الشرطة. ولم تتوانَ هذه الأخيرة بمساعدته في اصطياد الأرنب الكبير. زارتنا المصالح الخاصّة ولم تتردّد لحظة في تبرئتي ليتحمل وحده نتائج قراره. أخذوه إلى فيلاّ في أعالي العاصمة. آه، إنني تذكّرت الآن.

– ماذا تذكّرت؟

– بعد توقيفه، جاء رجل يطرح عليّ أسئلة حوله.

– وما الغريب في الأمر؟

– إنه يشبهك بشكل غريب.

– إنك تهزأ! لم يكن عمري آنذاك يتجاوز الأربع سنوات.

– بكل تأكيد. وهذا هو الشيء الخطير والمربك في آن واحد.

– اسمَع يا السي.... اكتَفِ بالجواب على الأسئلة واحتفظ بتعليقاتك لنفسك.

– لا تحاول أن تُرْهبني أيها الرجل. إنك لن تستطيع ذلك. فأنا من الذين يملكون حياة ملساء إلى درجة أنني لا أخشى أحدا مهما تغيّر نظام الحكم أو المناخ. لقد التزَمْت الحياد طوال حياتي إلى حدّ أنه يستحيل من الناحية الموضوعية اتهامي بأي شيء كان سواء من هؤلاء أو من أولئك.

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– بعد غياب دام ثلاثة أشهر، عاد إلى الجلوس في مواجهتي.

– وماذا فعلوا له؟

– لم يرغب في مصارحتي بما وقع له.

– وكيف حدَث أنْ أُطلِق سراحه بهذه السرعة؟ وما هي الأسباب التي أدّت بإدارة البريد إلى إدماجه؟ ربّما قلَبوه؟

– قلَبوه؟ نعم بدون شك. كان مقلبونا عند الاستقلال حينما علم أن الأموال التي سهّل على تحويلها لم تُستخدَم لشراء بندقية واحدة، بل ضخّمت حسابات خاصّة.

– وماذا فعل بعد ذلك؟

– راسَل جَميعَ الجهات، يُندّد بتلك الاختلاسات؛ ولكنّه لم يتلقّ جوابا واحدا.

– وما مصير مراسله الغريب؟

- أصبح وزيرا للمالية.

كان المتظاهر مسرورا لأنّه استُدعي مباشرة بعد أن ارتدى قميصه الذي جفّ لتوه. لاحظ أنّ خطوط الطيّ لم تحافظ على صلابتها المعهودة في السروال. دخل المكتب مادا يده فيما كانت الابتسامة ترفرف على شفتيه. ولكن "بوطاما" تجاهل اليد الممدودة، وقابله بنظرة قاسية. ثمّ وبحركة من ذقنه، أفهم الرجل بواجب الجلوس. نفّذ هذا الأخير الأمر في صمت. دمدم الشرطي قائلا:

- لقد عرفت عنك أخبارا كثيرة.
- حقا؟ إنك تفاجئني.
- اقرأ هذا أوّلا.

مدّ الرجل يده لتناول المقال القصير لجريدة مقصوصة بعناية. بعد قراءتها ثمّ أعادها إلى صاحبها.

- نَعم؟
- كيف استطاع هذا الصحفي الأجنبي أن يتعرّف على مغامرتك؟
- لا أعرف. كُتِب على رأس المقطَع: مُراسلنا الدائم. نستنتج أنه يُقيم في المدينة. ويُحتَمل أن يكون قد شاهَد مسيرتي.
- من أخبره بأنّك ستقوم بمظاهرة؟
- ليست لدي أية فكرة. ولكن المراسل يسكن المدينة، فبإمكانك أن تستخبر لديه.
- ليس هذا كل شيء.
- أنا في الاستماع.
- لقد فتّشت منزلك.
- أتمنى أنْ تكون قد استخرجت رخصة التفتيش.
- إن مصالحنا ليست بحاجة إلى مثل هذه الرخص أبدا.
- وماذا اكتشفتم؟
- جزء من موضوع من نفس الجريدة الأجنبية، يصف الحالة السيئة للطرقات في الجنوب الغربي للبلاد.
- وماذا تستنتجون؟
- تحرّيت لمعرفة النص الأصلي في أرشيفنا.
- وماذا بعد؟

– إنني مضطر إلى الملاحظة بأنّك قصصت الفقرة الأكثر نقدا تجاه شبكة الطرقات، لأن الكاتب بعد ذلك سجّل جميع الطرق الجديدة المنجزة حديثا لفك العزلة عن مناطقنا النائية.

– لم أقرأ ذلك أبدا.

– ها هو النص الأصلي.

– ليس هذا ما أردت قوله. أنا مستخدم في البريد، وحالة شبكة الطرقات في بلادنا لم تنل اهتمامي أبدا. ومن جهة أخرى، فأنا نادرا ما أسافر. بالمقابل، فإنني من الهواة المتحمسين للعبة الشطرنج، وأتابع بعناية كل نهائيات كأس العالم.

– لا أرى العلاقة.

– لو أجهدت نفسك قليلا وقرأت خلف الصفحة لأدركت أنها تحوي تلخيص مقابلة تاريخية. ثمّ إنّ في الدرج الذي وجدت فيه هذا الموضوع، هناك رزمة من المقالات تعالج نفس الموضوع.

– ولكن القصاصات الأخرى ليس بها أشياء ذات أهمية في الخلف.

– إنّه الدليل على اهتمامي الكبير بلعبة الشطرنج.

– هناك ما هو أخطر. لقد سألت رئيس المصلحة وزميلك في المكتب، فاتفق الاثنان على أنك موظف نموذجي.

– هذا يريحني كثيرا.

– لقد أكّدا لي أنّك لم تتغيّب أبدا وأنّك لم تتأخر عن عملك أيضا. إذا قل لي، هل تجد هذا السلوك عاديا؟ ألَم يَحدُث لك أنْ أصِبت بمرض أبدا؟

– إنّني أتمتّع بصحّة جيّدة وأشكر الله على هذه النعمة.

– ألَم يحدث لك أنْ زرت خالتك في المستشفى؟ أو استقبلت قريبا لك عائدا من البقاع المقدّسة؟ إنّها التزامات يصعب التخلص منها بسهولة.

– إنني بدون عائلة.

– قل لي أيضا، كيف تفعل كي تكون دائما مواظبا على الوصول إلى عملك دون أدنى تأخير؟ أعرف بأنك تسكن بعيدا عن مقر عملك، ونعرف جميعا أنّ وسائل النقل في المدينة متقلبة الأطوار مثل الطفل الوحيد لعائلة ثرية، وأنك لا تملك سيارة ولا الإمكانيات المالية لتسافر بالطاكسي. اشرَح لي هذه الغرابة من فضلك؟

– يكفي للإنسان أنْ يستيقظ باكرا فقط.

– وهل يُمكن أن تقول لي لماذا لم تتزوّج مرة ثانية؟

– أجهل بأن الزواج إجباري ويعاقب القانون المخالفين له.

– هي على كل حال ظروف تضاعف من خطورة التهمة الموجهة إليك.

– أنا محجوز عندكم منذ أيام عديدة وأتقبل أسئلتكم، فهل يمكنني الآن معرفة نوعية التهمة الموجهة إليّ؟

– إنك جاسوس.

– ماذا تقول؟

– إنّك فهمت جيدا قولي. هل تسخر مني؟

– لقد سبق لي أن أكّدت لك أننا هنا لا نتسلى إلا بين زملاء المهنة. لقد قلَبَك المظليون أثناء إيقافك بعد قضية الحسابات الخيالية. وعدت بعد ذلك إلى مكتبك كأنّ شيئا لم يحدث. ولكي لا تجلب إليك الأنظار، سلكت سلوك الموظف النموذجي.

– أفيدك بأنّني كنت أعمل بالطريقة نفسها قبل تلك الحادثة.

– ذلك شيء طبيعي. في تلك الفترة كان رؤساء المصالح لا يستهترون بالعمل. ولكن الأحوال تغيّرت، وخطأك الأساسي أنك لم تفهم أنّ مواظبتك وانضباطك في العمل هما مصدر الشكّ الأوّل. واستنتج أنّك لم تتزوّج ثانية خوفا من اكتشاف رفيقتك لنشاطاتك المشبوهة.

في إحدى الليالي، جاءت مجموعة أشخاص وأخذت السجين مقيّد اليدين نحو سجن عسكري بعيد. حشروه داخل زنزانة أرضية، ولم يخرج منها إلاّ بعد ثلاثة أشهر، ليجد نفسه وحيدا، وجها لوجه مع ثلاثة ضباط وقورين، يجلسون خلف طاولة طويلة. بادر أعلاهم رتبة وقرأ عناصر الاتهام:

– إنّك متهم بالتخابر مع العملاء الأجانب والمساس بالأمن الداخلي والخارجي للدولة الوطنية واختلاس أموال الجبهة وإهانة رئيس الدولة والإخلال بالنظام العام. وقد تقودك هذه التّهم الخطيرة إلى المشنقة. فما قولك للدفاع عن نفسك؟

رشيد ميموني كاتب جزائري باللغة الفرنسية، من مواليد 1945 ببودواو من عائلة فلاحية فقيرة. تابع دراسته بجامعة الجزائر ونال ليسانس في العلوم الاقتصادية. اشتغل أستاذا في المدرسة العليا للتجارة. نشر روايات عديدة أشهرها "النهر المحوّل" (1982) و"شرف القبيلة" (1989) "شقاء يُعاش" (1991). في بداية العشرية السوداء، وتحت تهديد الجماعات الإرهابية، هجر إلى المغرب وتوفى هناك في 12 فيفري 1994.

متفرقات

زوم على العدد

فالحركة الترجمية التي تحدد نفسها في إطار انفتاح واعي ومتحكم فيه ليست مناقضة للهوية؛ بل بالعكس، علينا أن ندرك جدلية الذات والآخر، والهوية والاختلاف، ضمن حركة تتجه نحو وعي واضح لجوهرهما ولعلاقتهما المتداخلة، على أن لا يكون ذلك على حساب هذه أو تلك من الثقافتين المتقابلتين...

تختلف حيازة المنتوجات الثقافيّة حسب السياقات، ويمكنها أن تسهم في دعم الخصوصيّات الفرديّة والهويّات، عكس كلّ شكل من أشكال المجانسة. وهناك أعمال حول تلقّي المنتوجات الثقافيّة الجماهيريّة ذات دلالة بهذا الخصوص، مثل هذه الدراسة حول تلقّي الأفلام الهوليوديّة من قبل مجموعة من السكان الأصليّين الأستراليّين،

إذا كان هذا المبدأ بخصوصياته اللسانية والنسقية يجنح إلى منهج الدراسات اللغوية واللسانيات خصوصا أكثر من جنوحه إلى منهج تعليمية الترجمة نظرا لما يوليه من أهمية قصوى لمقارنة الأنظمة اللسانية فيما بينها، فإنّ هذا لم يمنع الاختصاصيين في حقل تعليمية الترجمة من الاعتماد عليه في كثير من السياقات.

تملكُ المفرداتُ التّقنيةُ المتداولةُ في المؤتمرات الدّوَلية أبعادًا متغيرةً؛ إذ أنّها ليستْ ذاتَ أهمّيةٍ في بعضِ الاجتماعاتِ السّياسيةِ أو الاقتصاديةِ؛ لكنّها قد تبلغُ في المؤتمرات العلميةِ والتّقنيةِ مئات الكلماتِ بسهولةٍ. وقد لا يكونُ التّرجمانَ - اللهمَّ إلاّ إذا امتلكَ الوثائقَ كلّها - على علمٍ مسبقٍ بالكلماتِ التي سيتمّ تَداوَلُها فعليًا خلالَ هذهِ المؤتمراتِ وعليه أنْ يكونَ مستعدًا لمواجهةِ هذا الكمِّ الهائلِ من المفرداتِ المحتملةِ.

وعلاوة على هذا إن للتوسع الدلالي والاستعمال المجازي وغيرها من الظواهر اللغوية دورا في تعدد معنى اللفظ الواحد ويزداد الأمر إشكالا في تعدد دلالات المصطلح الواحد الذي يعد أخطر من تعدد دلالات اللفظ، فهذا الاختلاف يفقد العلماء والمترجمين القدرة على التواصل و يُردي نقاشهم عقيما فسمة المصطلح.

ومع قدم اللّغة، فقد عرف موضوع الإقناع الكثير من التحولات التاريخية. فقد حدثت هذه الأخيرة في ظروف اجتماعية وثقافية مختلفة؛ حيث قام " ستيفان لورنس" (Stéphane Laurens) بتحليل عدد من ظواهر التأثير مثل الحيازة، والتنويم المغناطيسي، والاقتراح، والمشي أثناء النوم وذلك بهدف إظهار مختلف طرق تجسيدها عبر التاريخ.

تمكّن المقاربة الفسيولوجية من معرفة آليات تكيُّف الجسم -في وضعيات كهذه - مع الجهد ومع إنتاج الطاقة الضرورية لتحقيقه (أي الجهد)؛ هي تمنح وسائلَ تعهُّدٍ أو تحسين الصفات المكتسَبة لأجل ممارسة نشاط معيّن. كما تمكّن من معرفة كيفية تحويل الجسم للطاقة الكيمياوية المخزّنة في الغذاء إلى طاقة ميكانيكية وطاقة حرارية.

كان الرجل متعوّدا على مخاطبة نفسه والأشياء المألوفة بصوت مرتفع. غسل أطرافه بعناية غير معهودة، حلّق ذقنه بإحكام، سوّى شلاغمه بالمقص. وبعد ذلك، تناول فطورا صباحيا شهيا. "لديّ مُتّسع من الوقت، يكفي أنْ أكون هناك على العاشرة. لقد جوّعني التفكير فيما سأقوم به".

مراعِيَين نَحن الاثنين تلك امرأة التي هي بكل أسف أمّي، وفي نهاية المطاف، قد يتفهّم إحراجي بلا شك، ذلك أنّه حرّك شاربه الصغير من جديد قائلا لا تلمها، فمن الطبيعي لدى أية أمٍّ أنْ تخاف على ابنها، لقد فعلت أمرا حسنا، ومن جهتي، سأكون سعيدا إذا سنحت لي الفرصة، وكنت أنتَ بحاجة إليّ، وأنا شكرا حضرة النقيب، وهو إذا وقع لك أيٌّ سوء فلا تتردّد، وأنا نعم حضرة النقيب،

تمنح الأولوية في الترجمة الصحفية الرياضية للتوطين بغية ملاءمة الخبر الصحفي للجمهور المحلي، فالأساليب المستعملة في الترجمة الصحفية هي على العموم الأساليب التي تخدم استراتيجية التوطين.

اقتباسات في التّرجمة...

"ولا بدّ للتّرجُمان من أن يكون بيانهُ في نفس الترجمة في وزْن علمه في نفسِ المعرفة وينبغي أن يكون أعلمَ الناس باللّغة المنقولة والمنقولِ إليها حتّى يكون فيهما سواءً وغاية ومتى وجدناه أيضاً قد تكلّم بلسانين علمنا أنّه قد أدخلَ الضيمَ عليهما لأنّ كل واحدةٍ من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذُ منها وتعترضُ عليها وكيف يكونُ تمكّنُ اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة وإنّما له قوّةٌ واحدة فَإنْ تكلّمَ بلغةٍ واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوّةُ عليهما وكذلك إنْ تكلّم بأكثرَ مِنْ لغتين وعلى حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات وكلّما كانَ البابُ من العلم أعسرَ وأضيق والعلماءُ به أقلّ كان أشدّ على المترجِم وأجدرَ أن يخطئ فيه ولن تجد البتّةَ مترجماً يفِي بواحدٍ من هؤلاء العلماء."

"ترجمة اللّغة أم نقل المعنى؟ يصبحُ هدفُ التّرجمةِ نفسُهُ موضوعَ جدال من خلال هذا الخيار. والادعاء أنّ اللّغة تحتوي على المعنى يؤدّي إلى تركيز كلّ الجهود النظرية على المرامزة، أمّا اعتمادُ الوجه الثّاني للخيارِ بالتّحالفِ مع من يرى، من بين المترجمين والمنظّرين، أنّهُ لا ترجمةَ من دون نقلٍ للمعنى، فهو تبنٍّ للمنهجيةِ القائمةِ على الفهمِ. وإن كان علينا الانتباه إلى ألاّ تُفرَغَ هذه الطّريقةُ من فحواها؛ لأنّ الطريقة المقارنة راسخة في الصدور منذ مدّة وبقوّة لدرجة أنّها تجرّ في ركابها حتّى أولئك الذين يعتقدون أنّهم قد تخلّصوا منها. ومنذ وقت بعيدٍ، لم يعد أحد من المنظّرين يؤكّدُ أنّ التّرجمة مرامزة (transcodage) ، إذ تمّ رفضُ المبدإ ، ولم يعُدْ هناك أحدٌ يدافع على الطريقة. هل تتمّ التّرجمة كلمة بكلمة؟ العبارةُ نفسُها تحقيرية. ومع ذلك، ففي كلّ مرّة تثارُ أسئلةٌ نظريةٌ حول التّرجمة، يستحوذُ التّقابلُ بينَ الكلماتِ على النّقاشُ."

سيليسكوفيتش ولودورير، ترجمة فايزة القاسم، **التّأويل سبيلا إلى الترجمة**، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص47

هل تعلم؟

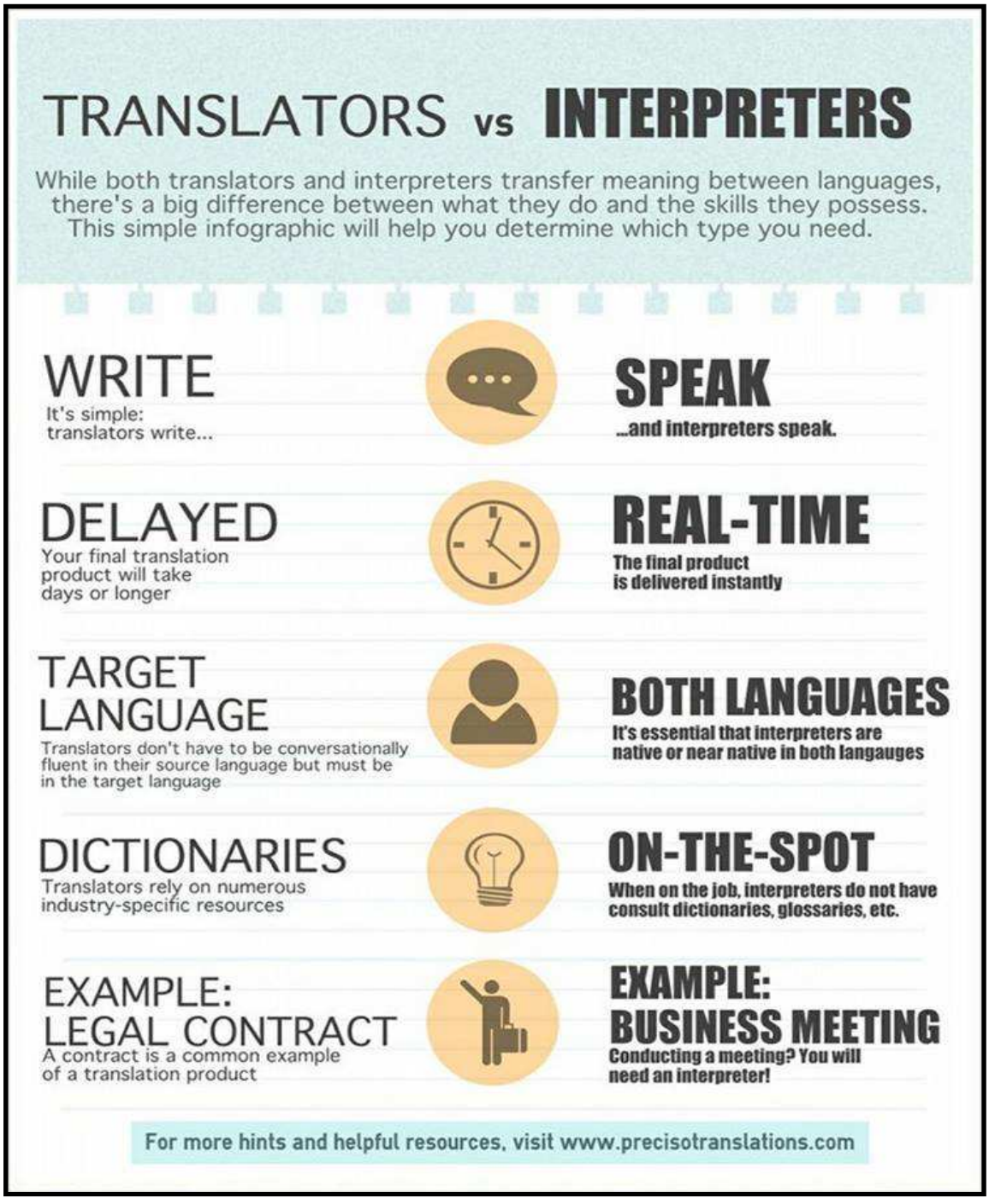
TRANSLATORS vs INTERPRETERS
While both translators and interpreters transfer meaning between languages, there's a big difference between what they do and the skills they possess. This simple infographic will help you determine which type you need.
WRITE
It's simple: translators write...
SPEAK
...and interpreters speak.
DELAYED
Your final translation product will take days or longer
REAL-TIME
The final product is delivered instantly
TARGET LANGUAGE
Translators don't have to be conversationally fluent in their source language but must be in the target language
BOTH LANGUAGES
It's essential that interpreters are native or near native in both langauges
DICTIONARIES
Translators rely on numerous industry-specific resources
ON-THE-SPOT
When on the job, interpreters do not have consult dictionaries, glossaries, etc.
EXAMPLE: LEGAL CONTRACT
A contract is a common example of a translation product
EXAMPLE: BUSINESS MEETING
Conducting a meeting? You will need an interpreter!
For more hints and helpful resources, visit www.precisotranslations.com

@englishaysha
كلمات و حروف الجر
Words+Prepositions
مذنب بـ guilty of
مستقل عن independent of
لا مبالي بـ indifferent to
يصر على insist on
مهتم بـ interested in
غيران من jealous of
أنظر إلى look at
متزوج من married to
مسرور بـ pleased with
يشير إلى prefer to
مرتبط بـ related to
راضي بـ satisfied with
مشابه لـ similar to
ينجح في succeed in
متفوق على superior to
متاكد من sure of
متعجب من surprised at / by
متشكك من suspicious of
متعب من tired of
يترجم إلى translate into

****

و أنت تعبرُ و ديانَ الحياة

تائها يائسا من منفذ النجاة

تذكّر من مرّ بنفس الخطوات

ونجا بفضل حبل الأمنيات

ديف روبرتس

When you’re going through life’s valleys,

and you think there’s no way out,

you’re not the first to feel this way.

There’s hope, without a doubt.

DAVE ROBERTS

****

" يا ما أخفت ألطفُ الابتسامات أسراراً،

ويا ما بكت أجملُ العيونِ أوقاتًا،

ويا ما عانت أصفى القلوبِ آلاماً."

parfois, les plus beaux sourires peuvent cacher de grands secrets, les plus beaux yeux peuvent avoir pleuré durant des heures et les cœurs les plus purs peuvent avoir souffert de grandes peines.

****

لا بأس لو أنك من أبيزار

أسياد أحرار

منذ القدم وهم فرسان

لكنك من هندو بلا اعتبار

فالفوز عليك عار

والانهزام أمامك عاران

الشاعر يوسف لأوقاسي (عاش في بداية القرن الثامن عشر)

Lukan seg Ubizar meqqar

ssyadi Ieḥrar

si zik nnsen d imnayen

Imi si Hendu laqrar

Ma ɣeḍleɣ-k d Iɛar

Ma teɣḍelḍ-i d ɛarayen

Le poète Youcef Oukaci (a vécu au début du 18e siècle)

****

ترفيه هادف

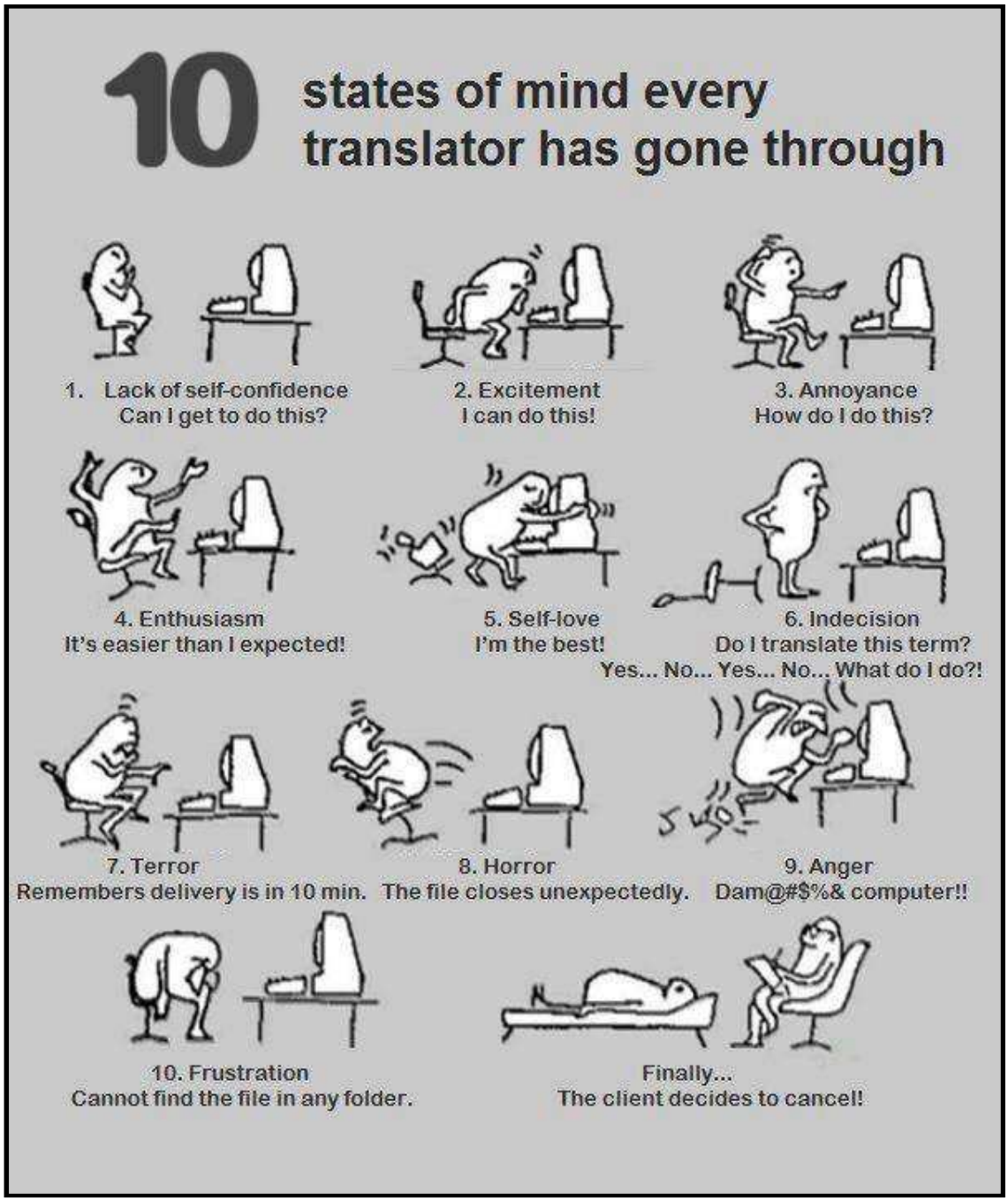
10 states of mind every translator has gone through
1. Lack of self-confidence
Can I get to do this?
2. Excitement
I can do this!
3. Annoyance
How do I do this?
4. Enthusiasm
It's easier than I expected!
5. Self-love
I'm the best!
6. Indecision
Do I translate this term?
Yes... No... Yes... No... What do I do?!
7. Terror
Remembers delivery is in 10 min.
8. Horror
The file closes unexpectedly.
9. Anger
Dam@#$%& computer!!
10. Frustration
Cannot find the file in any folder.
Finally...
The client decides to cancel!

Aspects culturels de la traduction : quelques notions clés

jean-louis cordonnier
Université de Franche-Comté, Besançon, France

RÉSUMÉ

La problématique de la culture constitue désormais un champ de recherche primordial pour travailler à une théorie de la traduction. On se situe ici au niveau du sol archéolo- gique, c'est-à-dire au niveau des modes d'être de la culture, et de leurs interactions avec les modes de traduire. La traduction n'étant jamais une opération neutre, il convient de mettre en évidence les interventions du traducteur réalisées dans le cadre de son appar- tenance à telle ou telle culture. Mais il ne faut pas non plus réifier la culture, et il faut mettre en relief également les interventions d'ordre purement individuel. Cette relation à la culture est d'une grande importance puisque le traducteur, étant au cœur des relations d'altérité, constitue de par son activité traduisante, l'identité de sa propre culture. Il s'agit de passer aujourd'hui d'un ethnocentrisme négatif, procédant à l'effacement de l'Autre, à un ethnocentrisme positif réalisant par la « montre » de l'Autre, la tâche de constitution de l'identité propre. Ce dévoilement *pour* l'identité passe par la critique de la dichotomie par trop simpliste « cibliste/sourcier », qui est prisonnière de la langue. Le traducteur se donnera en revanche comme tâche, la « montre » du discours de l'Autre. Cette problé- matique interculturelle est examinée à travers cinq champs clés dans lesquels se déploie l'activité traduisante : altérité, histoire, critique, éthique et tâches de la traduction.

ABSTRACT

The issue of culture is now a primary field of research in developing a theory of transla- tion. Here we find ourselves on "archeological terrain" in terms of the culture's way of being and the concomitant interaction with ways of translating. Translation is never a neutral operation, and one is forced to demonstrate that the act of translating is influ- enced by the translator's cultural background. Culture,

however, must not be reified; purely individual interventions must also be given their due. This relation to culture is highly important for the translator who is at the heart of relations of otherness, and through the act of translation it forms the identity of national culture. This entails mov- ing from negative ethnocentrism, which erases the Other, to positive ethnocentrism, showing the Other, and thus constitutes the identity of the translator's culture. This unveiling of identity undergoes criticism by the too simplistic "cibliste/sourcier" dichotomy, which is a prisoner of language. The translator, however, shows the discourse of the Other. These intercultural issues are examined under five translating-as-activity headings: otherness, history, criticism, ethics and translating tasks.

MOTS-CLÉS/KEYWORDS

altérité, histoire, éthique, l'Autre

Nous commencerons par une remarque liminaire qui paraîtra une évidence pour le spécialiste, mais qu'il convient à notre avis de réaffirmer toujours et encore, tant on entend répéter par la tradition et l'empirisme, de colloque en colloque, voire d'article en article, des arguments annexionnistes justifiant une certaine intraduisibilité, tels que: « ça ne sonne pas français », ou « ça sent la traduction », ou encore « le lecteur ne

comprendra pas », arguments entièrement situés dans la langue, qui par conséquent ne voient pas le discours (au sens de Benveniste), et inhibiteurs quant aux potentia- lités du travail de ré-écriture dans l'opération traduisante. Cette remarque, c'est que la traduction n'est pas seulement une opération linguistique, mais qu'elle est tout entière prise dans un ensemble d'interrelations sociales et culturelles, d'abord au sein de sa propre culture, et ensuite entre les cultures étrangères en présence. Les paramètres culturels sont à même de jouer par conséquent un grand rôle dans la traduction en général, y compris dans ce qu'on appelle traditionnellement la traduction scientifique et technique, même si ce type de traduction n'est pas le lieu où les enjeux culturels se manifestent avec le plus d'acuité.

Saluons donc l'initiative de nos collègues de l'Université technique de Yildiz, d'avoir consacré un colloque entier sur les *Aspects culturels de la traduction*. De telles rencontres, entièrement consacrées à ce thème, somme

toute, n'étaient pas si fré- quentes jusqu'à il y a peu[1]. Nous rappellerons qu'il y a presque déjà une quarantaine d'années maintenant que G. Mounin, dans ses *Problèmes théoriques de la traduction*, mettait en avant dans son chapitre XIII ce qu'il appelait un fait théorique, énoncé ainsi : « pour traduire une langue étrangère, il faut remplir deux conditions, dont chacune est nécessaire, et dont aucune en soi n'est suffisante : étudier la langue étran- gère ; étudier (systématiquement) l'ethnographie de la communauté dont cette langue traduite est l'expression. Nulle traduction n'est totalement adéquate si cette double condition n'est pas satisfaite » (Mounin 1963 : 236). Naturellement, il est sou- haitable de faire appel également à d'autres sciences humaines pour travailler à une traductologie aux multiples facettes, et nous pensons en particulier à la littérature, à l'histoire, aux sciences du langage, à l'anthropologie, à la sociologie, à la psychanalyse, à la philosophie.

Il faut dire que depuis 1963, date de la publication des *Problèmes théoriques*, l'appel de G. Mounin a tardé à se faire entendre, et si nous disposons de nombreux articles qui traitent de problèmes ponctuels en relation aux aspects culturels de la traduction, nous avons par contre peu d'ouvrages qui aient tenté d'embrasser la pro- blématique culturelle dans son ensemble, et de la mettre en relation avec les autres problématiques du traduire. Cependant, en France, H. Meschonnic (1973) en for- geant dans les années soixante-dix le concept de « langue-culture » dans le cadre de sa poétique, a voulu indiquer qu'une langue et sa culture forment un tout indissociable. Les analyses de H. Meschonnic sont assez connues pour que nous n'y insistions pas, mais nous voulions juste signaler ici sa volonté de penser la traduction dans un vaste cadre culturel comprenant l'histoire, la littérature, le langage et le politique. Puis, en 1984, un ouvrage d'A. Berman a frappé l'attention des traducteurs et des traduc- tologues, en montrant le rôle qu'un mouvement culturel tout entier, en l'occurrence celui imaginé par les Romantiques allemands, peut assigner à la traduction. De notre côté, nous avons essayé de placer la traduction au sein de la problématique culturelle. En montrant tout l'intérêt qu'il y a à développer une archéologie de la traduction et à situer la pratique du traduire dans le cadre d'une éthique, nous avons donné une vue synthétique, mais non exhaustive, des problèmes que les traducteurs rencontrent dans la traduction des œuvres, notre objectif consistant aussi à

indiquer des directions de travail et de recherche (Cordonnier 1995).

Dans les limites du présent exposé, nous souhaitons apporter des précisions sur cinq notions clés, qui sont aussi cinq champs clés, autour desquels il nous paraît souhaitable que se développent dans les temps à venir à la fois le travail de mise en valeur sociale de l'activité traductive, et celui de la réflexion traductologique : altérité, histoire, critique, éthique et tâches de la traduction[2]. Les considérations qui vont suivre concernent les œuvres, c'est-à-dire ces textes qui créent, qui représentent l'es- sence d'une culture, qui en constituent les racines, et qui par le travail d'écriture qui les traverse, créent du discours (toujours au sens de Benveniste), redéploient la culture vers d'autres horizons désormais élargis et la grandissent. Il s'agit d'une pré- caution méthodologique pour ne pas être enfermé dans ce qu'on appelle tradition- nellement « la littérature ». C'est pourquoi nous pouvons inclure dans notre champ de recherche des œuvres appartenant aussi au domaine scientifique, dans la mesure où nous sommes confrontés à des textes où se manifeste une poétique qui est l'œuvre d'un sujet-écrivain (au sens de H. Meschonnic), c'est-à-dire une poétique qui n'appar- tient qu'à lui.

L'intitulé de notre colloque laisse un large champ des possibles quant à la com- préhension du concept de culture. Par « aspects culturels », on peut entendre les connotations et les traits culturels, et le problème de leur importation dans la langue de traduction. Ce ne sera pas notre préoccupation aujourd'hui. On peut comprendre aussi, et c'est dans ce sens que nous irons pour notre part dans cet exposé, ce qui fait que la culture intervient dans les modes de traduire[3], la traduction étant une opération éminemment culturelle, en ce sens qu'on ne traduit pas dans toutes les cultures de la même façon, et qu'il y a une interaction entre les modes de traduire et les modes d'être des cultures. En outre, la traduction n'est pas une activité isolée, mais elle se déploie en articulation avec d'autres genres essentiels qui président au destin des œuvres, comme la critique, le commentaire, l'analyse. Elle fait donc partie en ce sens de toute une tradition culturelle liée à la structuration de l'essence d'une culture.

Le concept de culture est complexe[4]. En ce qui nous concerne, nous nous réfé- rons ici au sens aujourd'hui très étendu de modes de vie et de pensée

communs à une communauté donnée et qui conduisent les individus appartenant à cette com- munauté à agir dans certaines situations sociales d'une façon commune. C'est-à-dire que nous nous référons à ce que Michel Foucault (1966) a appelé les « modes d'être » d'une culture. Il convient de s'intéresser à ces modes d'être, dans la mesure où ils peuvent induire chez les traducteurs, des modes de traduire relativement communs à certains moments de la constitution des cultures, modes de traduire liés aux con- traintes sociales qui pèsent sur eux. À ce propos nous pensons à la formation linguis- tique, culturelle, politique, des États-Nations en Europe. Nous situons notre réflexion dans le cadre de la culture française, et d'une façon plus large dans celui de la culture occidentale, dans la mesure où en Europe les États-Nations ont tous constitué leur prose et leur littérature sur la base de traductions.

D'un autre côté, et c'est le deuxième aspect de la notion de culture auquel nous nous référons aujourd'hui, il faut être attentif à ne pas réifier *la* culture, car elle n'est qu'une abstraction, une construction intellectuelle (voir Cuche 1996 : 57). Il faut donc tenir compte également des pratiques individuelles, et notamment, thème que nous retenons ici, de la position du traducteur dans *sa* relation d'altérité face à l'Étranger, et de la conception qu'il a du rôle que doit jouer sa propre culture dans les rapports d'altérité. C'est donc cette dialectique entre *la* culture et l'individu, c'est-à-dire pour nous, le traducteur, qui sera le cadre de notre exposé.

Altérité

La traduction se déployant au sein des rapports d'altérité, le traducteur se trouve devant la tâche d'avoir à importer des valeurs, des faits culturels, mais ce n'est pas là son seul rôle : « le traducteur n'est pas uniquement prospecteur des différences, explorateur de territoires culturels inconnus. Il est aussi celui qui, dans sa reconnais- sance de l'autre, change les perspectives de sa communauté, dérange les « mots de sa tribu », pour reprendre l'expression fameuse de Mallarmé (1877). […] Par delà les décideurs (commanditaires, éditeurs, etc.), par delà la matérialité des textes, […] il brouille les cartes, en l'occurrence ces cultures, ces valeurs, celles de l'autre comme les siennes propres qu'on voudrait bordées, délimitées, alors qu'elles sont fluides, mou- vantes » (Delisle et Woodsworth 1995 : 193). Il y a deux

idées fondamentales dans ce passage. La première est que le traducteur joue un rôle essentiel dans la constitution de sa propre culture. Autrement dit, il déstructure, façonne, restructure l'identité de sa propre culture, et à travers les textes traduits, celle de la culture étrangère. La deuxième idée est que toute culture, quelle qu'elle soit, n'est pas un tout absolument stable, figé, mais elle est un ensemble divers et complexe caractérisé par de constantes évolutions.

Nous reviendrons sur la question de l'identité quand nous aborderons plus loin la problématique de l'éthique. Mais ce que nous retiendrons pour l'instant, c'est à la fois le rôle de la culture ainsi que celui du traducteur dans les rapports d'altérité, rôles qu'il convient d'examiner plus précisément. Il n'est donc pas inutile de regarder quelle a été l'évolution de la notion de culture. Dans le cadre limité qui est ici le nôtre, nous nous contenterons de quelques remarques.

Nous avons tenté de montrer dans *Traduction et culture*[5] en quoi en France l'*épistémè* de l'âge moderne, puis de l'âge classique, ne pouvaient concevoir la diffé- rence de l'Étranger dans toute sa radicalité, ce qui a conduit à la pratique de la traduction ethnocentrique, étant entendu que ce type de traduction a servi, et c'est là son rôle fécondateur et positif pour nous, à constituer la prose, et parallèlement la culture de notre pays.

En France, le xvii^{e}, puis le xviii^{e} siècle ont développé une conception universa- liste de la culture, associée à la notion de civilisation. Les Lumières ont voulu propa- ger ce qu'ils considéraient comme « leurs » bienfaits ; dans leur esprit il s'agissait d'en faire bénéficier les autres peuples. Et cela était possible parce que s'était développée l'idée d'une unité du genre humain. En outre, le classicisme français est en Europe celui qui dure le plus longtemps, plus de deux siècles et demi. Au xix^{e} siècle, il y a à la fois un élargissement et une continuité de la notion de culture : « Entre le xviii^{e} et le xix^{e} siècle français, il y a une continuité de la pensée universaliste. La culture au sens collectif, c'est avant tout la « culture de l'humanité ». Malgré l'influence alle- mande, l'idée d'unité l'emporte sur la conscience de la diversité […] », et plus loin

« En bonne logique, l'idée universaliste française de la culture va de pair avec la conception élective de la nation, issue de la Révolution : appartiennent à la nation française, expliquera Renan, tous ceux qui se

reconnaissent en elle, quelles que soient leurs origines » (Cuche 1996 : 13). C'est donc d'une certaine façon l'universalisme des Lumières qui, en ne pensant la diversité culturelle qu'en référence à la nation et à la civilisation, a conduit à une spécificité française : « Il est clair que le contexte idéo- logique propre à la France du xix^{e} siècle a bloqué l'émergence du concept descriptif de culture. Sociologues et ethnologues étaient eux-mêmes trop imprégnés de l'universalisme abstrait des Lumières pour penser la pluralité culturelle dans les sociétés humaines autrement qu'en référence à « la » civilisation. Le contexte historique, il est vrai, ne portait pas à l'interrogation sur cette question. L'épopée coloniale se faisait au nom de la mission « civilisatrice » de la France » (*ibid.* : 23). Denys Cuche ajoute qu'il faudra attendre les années trente pour que le concept de culture commence à être vraiment utilisé par les ethnologues. Il restera longtemps en concurrence avec la notion de civilisation, et il lui faudra encore trente années pour émerger définitive- ment et prendre une place indiscutable en ethnologie et en anthropologie (*ibid.*).

De ce qui précède il faut en déduire la nécessité de souligner le continuum his- torique, l'existence jusqu'à il y a peu d'un relatif *impensé* de la notion de différence culturelle, et en même temps de son rôle pour féconder, faire évoluer l'identité. Il s'agit là d'un simple constat. Dans le domaine de la traduction, on est loin d'avoir tiré toutes les conséquences, tant sur le plan de l'importation des traits culturels que sur celui de l'évolution de la ré-écriture dans les textes traduits, de l'examen scienti- fique et approfondi de la différence culturelle. Si la traduction est communication interculturelle, elle communique des contenus d'information, elle communique des spécificités culturelles, c'est-à-dire ce qui caractérise l'Autre et pas le Même, mais elle communique aussi *par ce qu'elle est*, nous voulons dire par là que la façon dont elle se pratique, ce que nous avons appelé les modes de traduire, apporte des informations sur l'être du traducteur et de sa culture dans son rapport à l'Autre.

C'est pourquoi nous avons appelé à une archéologie de la traduction, pour mettre à nu les modes de traduire et partant les modes d'être des traducteurs. Il convient d'insister sur l'ampleur de la tâche et sur les « trous » de connaissance, notamment en ce qui concerne le xix^{e} et le xx^{e} siècle, pour lesquels nous manquons d'ouvrages de synthèse. Ce travail contribuera probablement à montrer qu'il n'y a pas d'absolu en matière de traduction, et

que sa pratique, la réflexion qui se développe autour d'elle changent en même temps que la culture change, traduction et culture étant toutes deux prises dans l'évolution de l'Histoire. Ainsi la pratique de la traduction au xvi^{e} n'est pas la même que celle de l'âge classique, qui à son tour n'est pas la même que celle du xix^{e} siècle, etc. D'un autre côté, une archéologie montre comment une culture dans son ensemble peut orienter, canaliser les pratiques. Ainsi, les traducteurs classiques, enfermés en quelque sorte dans la théorie de la représentation. À ce pro- pos, Daniel Mercier montre bien comment, malgré des différences qui peuvent a priori sembler importantes, les traducteurs de l'âge classique sont tous obligés de situer leur pratique dans le cadre de la représentation classique, y compris Diderot qui a pourtant su mener la critique de la disposition classique, et donc de pratiquer un type de traduction qui naturalise, désécrit, annexe, nationalise (Mercier 1995). Il y a donc dans ce cas un parallèle entre la culture qui fonde un rapport universaliste à l'Étranger, sur ses propres critères culturels, et la pratique annexionniste de la traduction.

Nous disions plus haut que la traduction est communication interculturelle. Elle joue un rôle majeur dans l'altérité au niveau de la circulation des textes dans le monde. C'est là un phénomène bien connu. Ce qui l'est moins, c'est de savoir com- ment ces textes circulent, ce qu'on en fait, et ce qu'ils deviennent d'une culture à l'autre. Nous reprenons ici le concept de *translation*, développé par Antoine Berman (1995 : 17). Il s'agit d'un espace d'échange entre les cultures en présence, où à côté du texte original, circulent dans un rapport dialectique, « les nombreuses formes de transformations textuelles (ou même non textuelles) qui ne sont pas traductives » (*ibid*.) : critiques, analyses, commentaires, films, adaptations, etc., dans l'une ou l'autre des cultures. Les rapports d'altérité s'exercent en ce lieu dans lequel se con- frontent les conceptions du traducteur et aussi celles de chacune des cultures en pré- sence au sujet de la littérature. Toutes ces interactions ne peuvent rester sans influence sur l'opération traduisante elle-même. Tout cet ensemble de mouvements textuels, lorsqu'ils se produisent, constituent ce qu'Antoine Berman appelle la

« translation d'une œuvre » (*ibid*.). Cette notion nous apparaît très féconde dans la mesure où elle élargit la notion de traduction, qui souffrait d'étroitesse, à tout son espace littéraire naturel. Antoine Berman voit juste quand

il affirme : « une traduc- tion n'agit vraiment dans cette langue-culture que si elle est étayée et entourée par des travaux critiques et des translations non traductives » (*ibid.* : 18).

Mais il ne faut pas oublier d'ajouter dans l'étayage traductif, l'ensemble des textes qui entourent l'œuvre elle-même dans la langue-culture de l'Autre, et dont le traduc-

teur est à même de prendre connaissance. En quoi l'altérité joue-t-elle dans cette confrontation des textes ? Il y a là un sujet d'étude qui ne peut qu'être fécond, et appor- ter des informations importantes sur l'influence que peut exercer la culture étrangère sur le traducteur et sur son mode de traduire, éventuellement sur sa ré-écriture.

Histoire

Aujourd'hui il faut recourir à l'ensemble des outils conceptuels mis à notre disposi- tion par l'ethnologie, l'anthropologie, la sociologie, la littérature, et qui nous permet- tront d'analyser sérieusement les paramètres de la culture dans la traduction. Cela est vrai en ce qui concerne les traductions de maintenant. Mais cela est plus difficile dès que l'on se tourne vers le passé, en raison des « trous » de connaissance auxquels nous avons fait référence, quoique certaines périodes, comme celle des belles infidèles aient assez largement inspiré les analystes[6].

Quoiqu'il en soit, il est de première importance que se constituent une histoire, des histoires, de la traduction. Nous avons en effet un grave manque dans ce domaine. L'histoire de la traduction permettra de sortir les traducteurs de l'ombre, de mettre en exergue leur rôle au cœur des relations interculturelles, leur rôle de passeurs d'informations en tous genres, leur rôle de constitution des proses et des cultures nationales, leur rôle parfois de médiateurs, tout cela sans être exhaustif. Bref, le travail de recherche historique aidera à redonner au traducteur toute son impor- tance au sein des cultures, et à renverser cet état d'effacement où il se trouve en France depuis la fin du xvi^{e} siècle. Il s'agit donc de renverser cette situation de

« secondarité » et d'« ancillarité » (Berman 1984) dans laquelle le surgissement de la figure de l'auteur a plongé la traduction, en faisant une activité seconde, dans laquelle le traducteur devait s'effacer pour ne laisser voir au lecteur qu'un double, tâcheron et sans âme.

En outre, la constitution d'une histoire, ou d'histoires de la traduction, repré- sente l'une des tâches nécessaires pour que l'on puisse élaborer à terme ce qui est peut-être une inaccessible théorie de la traduction et de la littérature. Mais au moins aller vers. En 1995, le président de la Fédération internationale des traducteurs, Jean- François Joly, parlant justement de l'histoire de la traduction voyait que « cette jeune discipline ne saurait prétendre avoir un avenir si elle ne peut pas se nourrir des acquis du passé, se ressourcer à des modèles anciens. Faire l'histoire de la traduction, c'est mettre au jour le réseau complexe des échanges culturels intervenus entre les êtres humains, les cultures, les civilisations au cours des âges » (Delisle et Woodsworth 1995 : 15). Et il ajoutait, citant Lieven D'hulst, « l'histoire est pratiquement le seul moyen de retrouver l'unité d'une discipline, en montrant les parallèles et les recou- pements entre les traditions de pensée et d'activité divergentes, en rapprochant le passé et le présent » (*ibid*.).

S'il est tout à fait vrai que l'histoire de la traduction peut introduire une unité dans la réflexion traductologique, nous pensons d'une part qu'elle n'est pas le seul moyen parce que la traduction se trouve à un carrefour des sciences humaines, et d'autre part ce n'est pas parce qu'il y a actuellement une heureuse focalisation des préoccupations traductologiques sur l'histoire, qu'il faille négliger pour autant les axes de recherches liés à l'anthropologie, à la linguistique ou à la philosophie, pour ne prendre que ces trois exemples. On ne pourra trouver une unité de la traduction qu'en l'étudiant sous tous ses aspects. C'est précisément cela qui fait qu'une traductologie puisant dans les sciences humaines une incontestable autorité, a du mal à se constituer. C'est d'ailleurs, à notre avis, plus le manque de moyens humains que scientifiques qui en constitue la difficulté.

D'un autre côté, il y a un risque à considérer, comme le pense Lieven D'hulst, que l'histoire de la traduction serait « pratiquement le seul moyen de retrouver l'unité » de la réflexion en matière de traduction. D'abord peut-on parler d'unité en histoire ? Il faut commencer par poser ce problème méthodologique. En effet, il n'y a pas une seule méthodologie de l'histoire. Il n'y a donc pas de raison de ne pas retrou- ver en traduction les débats, voire les polémiques, que l'on rencontre chez les histo- riens. Ensuite, en traduction il y a un deuxième risque à vouloir faire de l'histoire pour de l'histoire, en

l'absence d'une méthodologie scientifique rigoureuse, et en perdant de vue que la traduction est avant tout une activité interculturelle.

Nous voudrions illustrer ce dernier point par un exemple parlant. Dans *Les tra- ducteurs dans l'histoire*, se trouve un article intitulé *James Evans chez les Indiens cris du Canada* (*ibid.* : 32-35)[7]. Cet article raconte comment ce missionnaire-traducteur a inventé un alphabet pour transcrire la langue de ce peuple. Inutile de dire que ce travail s'est déroulé dans le cadre beaucoup plus vaste de l'évangélisation de ces Indiens. Selon nous, cet article pose un problème important et souffre d'un manque grave. Il part en effet de l'a priori que le travail du traducteur chez ces Indiens est

« bon » par définition, comme si l'évangélisation allait de soi. Les Indiens cris sont étrangement absents de ce récit et les conséquences sur leurs propres mythes, et de l'évangélisation, et de l'alphabet, ne sont absolument pas évoquées. Dans un cas comme celui-là l'historien doit se doubler d'un ethnologue. Il y a là une question primordiale, qui est débattue en ethnologie et en anthropologie : où se trouve la place de l'historien dans la relation interculturelle ? Chez le Même ? Chez l'Autre ? Au milieu ? Nous ne pouvons pas développer ici une réponse à cette question, mais dans cet exemple l'Indien cri aurait pu pour le moins être convoqué. En effet, il ne s'agit pas d'encenser le traducteur pour le seul fait qu'il soit traducteur, même si le travail accompli est remarquable, ou alors on se trouve dans une relation à sens unique, que pour notre part nous croyions dépassée. Bien sûr, il s'agit *aussi* d'interroger les modes de traduire du traducteur.

Concernant *Les traducteurs dans l'histoire*, nous ne voudrions pas rester sur cette note critique, car il faut saluer cette entreprise et les énergies rassemblées par la FIT notamment, pour que vive ou plutôt commence à vivre, comme le précisent bien les directeurs de l'ouvrage dans leur *Avant-propos*, une histoire de la traduction. Du reste, le titre lui-même indique bien qu'il ne s'agit pas d'une histoire à proprement parler, mais de pistes qui ont été choisies dans le monde entier pour montrer le rôle des traducteurs, et peut-être pour susciter des envies d'approfondissement.

Critique

Pour constituer la traductologie ou la théorie de la traduction de demain, il y

a tout intérêt à ce que se développe une critique des traductions, qui permettra entre autres de comprendre comment ont été vécus les rapports du traducteur à sa propre culture et à la culture étrangère, et par extension les rapports de *la* culture du Même à *la* culture de l'Autre. La critique passe par une analytique des textes traduits pour faire apparaître les modes de traduire et d'une certaine façon les modes d'être des cultures, et ainsi de mettre au jour la dynamique et la dialectique entre les deux. On fera inévitablement apparaître ainsi la perspective historique de la traduction. Car au delà des individualités au niveau des traducteurs, chaque culture, chaque époque (Renais- sance, classicisme, romantisme, par exemple), marque le traduire de sa propre vision du monde. Le travail critique permettra ainsi de conscientiser le traducteur sur cet état de fait, ce qui ne manquera pas par contrecoup de poser le problème de l'inscription et de l'attitude du traducteur d'aujourd'hui dans l'interculturalité de son époque.

Il faut dire que nous vivons actuellement une crise de la critique, et tout particu- lièrement dans le domaine de la traduction. Non pas qu'il y ait absence de critiques. Mais plutôt parce que ces critiques n'obéissent à aucune règle, ne constituent pas un genre en soi, aisément identifiable, et caractérisé par une certaine autorité scientifique dans le domaine de la littérature. Antoine Berman tout en définissant ce qu'il entend par critique, constate cette insuffisance : « Mais si critique veut dire analyse rigoureuse d'une traduction, de ses traits fondamentaux, du projet qui lui a donné naissance, de l'horizon dans lequel elle a surgi, de la position du traducteur ; si critique veut dire fondamentalement, *dégagement de la vérité d'une traduction*, alors il faut dire que la critique des traductions commence à peine à exister » (Berman 1995 : 13-14)[8].

La position (non polémique, soulignons-le) d'Antoine Berman sur la critique nous paraît féconde quant à notre problématique de l'interculturalité parce qu'elle resitue l'acte de traduire lui-même dans un champ plus vaste que ne le fait la tradition, mais un champ qui est vraiment le sien propre. D'abord cette idée de translation de l'œuvre inclut, comme nous l'avons vu, tout le travail de la critique et des « nom- breuses formes de transformations de l'œuvre », textuelles ou non, traductives ou non. Mais il y a aussi tout le *travail d'à côté* qui accompagne l'œuvre. C'est ce qu'Antoine Berman appelle « l'étayage de la traduction » : « L'étayage de la traduction comprend tous les paratextes qui

viennent la soutenir: introduction, préface, postface, notes, glossaires, etc. La traduction ne peut pas être "nue" sous peine de ne pas accomplir la *translation* littéraire. Aujourd'hui, les étayages traductifs proposés par l'âge classique, puis par l'âge philologique (xix^e siècle), ne suffisent plus. Ils doivent être — et sont en train de l'être par certains traducteurs — repensés. La question de ces nouveaux étayages, et d'un nouveau consensus à ce propos, est d'une importance cruciale » (*ibid.* : 68)[9].

Il faut donc repenser aujourd'hui notre rapport aux textes traduits, et nous pourrons en tirer des conséquences pour la traduction d'aujourd'hui. D'autre part, sur le plan de la culture, ce concept d'« étayage de la traduction » nous paraît riche de possibilités pour aborder l'intraduisibilité. Nous avons en effet déjà abordé cette question à propos du non-dit culturel (Cordonnier 1995 : 172-176). Le degré de tra- duisibilité est directement proportionnel au degré de fréquentation des cultures. Plus la fréquentation est faible plus le degré d'intraduisibilité paraîtra grand. Et comme dans la tradition occidentale, nous vivons sur le mythe de la transparence du traduc- teur, notion que nous avons en son temps critiquée (*ibid.* : 144-146 et *passim*), ce dernier n'ose pas sortir de l'ombre de l'auteur pour constituer *l'à côté culturel* de la traduction qui donnera à sa culture des clés pour entrer dans l'œuvre, et qui en même temps lui ouvrira des espaces de traduisibilité.

Il y a là une tradition de la traduction à retrouver, le traducteur construisant l'étayage de la traduction[10], c'est-à-dire retrouvant d'une certaine manière son rôle de vulgarisateur qu'il a eu dans le passé, mais un rôle de vulgarisateur *pensé dans la cohérence*, dans le champ plus vaste de la translation des œuvres. Nous sommes donc devant un immense domaine de recherche où l'on pourra observer le rapport dialec- tique entre la vulgarisation des faits culturels et le travail consécutif sur la réduction de l'espace de l'intraduisibilité. Il faudra donc étudier tout le cheminement de l'œuvre à travers l'ensemble des textes traduits ou non, des paratextes la commen- tant, des adaptations, etc., car la traduction se situe dans ce creuset.

Antoine Berman ne peut que constater le manque d'« *une théorie générale de la translation* littéraire, du passage d'une œuvre d'une "langue-culture" à une autre » (*ibid.* : 56)[11]. Mais on voit bien toute la potentialité de cette voie qui est

tracée pour avancer vers des propositions qui aideront les traducteurs à mieux affronter la traduc- tion de la culture.

Éthique

Tous ces efforts de conceptualisation sont destinés à ce que le traducteur d'aujour- d'hui puisse se situer clairement dans les rapports d'altérité. En effet, l'histoire de la traduction, les avancées réalisées dans le cadre des sciences humaines imposent des attitudes et des devoirs nouveaux. Notamment, dans les relations interculturelles, en ce qui concerne l'attitude face à l'Autre. Car cette attitude n'est pas sans avoir quel- que influence dans les textes traduits eux-mêmes.

Faisons maintenant un petit retour en arrière. Si, dans *Traduction et culture*, nous avons fait la critique de l'ethnocentrisme en traduction, ce n'est pas tant pour ce que celui-ci était à l'époque, même si nous savons ce qu'il a pu induire comme souffrances humaines, que pour ce qu'il peut induire comme comportement chez les traducteurs aujourd'hui. Il y avait d'un côté un travail de conscientisation à mener sur les modes de traduire, et à se poser d'un autre côté la question de la place des traductions ethnocentriques aujourd'hui au sein de l'espace littéraire et culturel, dans le grand mouvement de translation des textes.

Il est évident qu'à l'aube du xxi^{e} siècle, nous ne pouvons plus nous conduire face à l'Autre comme par le passé. Il y a d'abord des raisons morales, mais cet argument dépasse les limites de la présente étude, mais aussi et surtout le rôle constitutif sur le plan de la culture de la traduction a changé. On peut aussi inverser l'argument : notre culture dans son rapport au monde, aujourd'hui, a besoin d'être fécondée autrement par la traduction. C'est donc bien dans une perspective historique que nous nous plaçons. Selon nous, la traduction doit se situer maintenant au sein d'une éthique qui présidera au mouvement général de translation des œuvres, et plus spécifique- ment au travail traductif en général.

Dans le cadre d'une éthique de la traduction, nous avons proposé le néologisme d'*ouvertude* (Cordonnier 1995 : 153-154 et *passim*), pour qualifier l'attitude du tra- ducteur dans la relation d'altérité. Ce néologisme fait partie du travail de conscienti- sation dont nous avons déjà parlé. Il est vrai que toutes

les cultures sont plus ou moins ethnocentriques, à la différence près, et qui est quand même de taille, que certaines d'entre elles dominent alors que d'autres non. En France le classicisme a exacerbé le mouvement ethnocentrique, mais celui-ci a eu un rôle positif et féconda- teur puisqu'il est un des éléments constitutifs essentiels de notre littérature et de notre culture. Cette force passée explique la vigueur des idées classiques sur la langue, sur la culture, et partant sur la traduction de nos jours encore[12]. Cette disposition héritée de l'histoire gêne la traduction dans son nécessaire redéploiement culturel. C'est donc pour sortir d'une pratique ethnocentrique trop généralisée, pour montrer *clairement* une autre voie, que nous avons forgé le concept d'*ouvertude*.

Il s'agit donc pour le traducteur qui choisit cette optique d'assumer une position traductive qui consiste à féconder la culture propre en faisant de la « montre » de la culture de l'Autre le fondement de son travail. C'est là son projet de traduction. Il s'agit, de traduction en traduction, d'apporter à sa culture des éléments culturels constitutifs nouveaux qui lui permettront peu à peu d'envisager les relations d'alté- rité plus sereinement, en meilleure connaissance de cause, et d'améliorer la commu- nication et la compréhension interculturelles dans le monde de demain.

C'est pourquoi nous avons appelé à la *traduction-dévoilement*. Car il y a à retra- duire les œuvres qui n'ont connu jusqu'à présent que des traductions annexées, et il y a aussi à donner au public contemporain des textes traduits qui laissent entrevoir la *vérité* de l'œuvre, étant entendu que cette vérité ne peut être que relative, en liaison aux outils conceptuels qui sont les nôtres actuellement. Mais ce retournement histo- rique qui consiste à sortir de l'enfermement à l'intérieur du Même, enfermement qui était celui de l'ethnocentrisme, pour se situer en un point, non figé du reste, et se trouvant quelque part vers l'Autre, n'est pas un abandon de soi-même, de l'identité, comme cela a pu être reproché aux positions de Henri Meschonnic ou d'Antoine Berman. C'est ainsi que Jean-René Ladmiral va jusqu'à parler de « haine de soi » :

« disons que nous y voyons un symptôme de la *haine de soi* qui nous semble être une maladie de la culture occidentale de notre temps » (Ladmiral 1997 : 133)[13].

Le trait nous semble quelque peu rapide. Au contraire, Antoine Berman est très mesuré sur cette question. L'auteur ne fait pas preuve d'esprit de système, il reconnaît la liberté du traducteur, il lui reconnaît même « *tous les droits* » (1995 : 93)[14]. Simple- ment, il situe le traduire dans le cadre d'une éthique. Ce qui signifie que le traducteur ne doit pas passer sous silence son intervention sur le texte original via la traduction. S'il manipule le texte (sans connotation péjorative), s'il déforme, s'il adapte, pour ne prendre que ces exemples, Antoine Berman considère qu'il doit l'annoncer et non le passer sous silence, car il faut que le lecteur soit averti du type de traduction auquel il a affaire.

En fait ce qui est en jeu ici, c'est la question de l'identité culturelle. Il est vrai qu'on assiste à une certaine mode identitaire. Denys Cuche (1996 : 83) constate que celle-ci « est le prolongement du phénomène d'exaltation de la différence qui a surgi dans les années soixante-dix ». On peut comprendre ce mouvement de pendule, mais en traduction mettre la différence sur le devant de la scène ou critiquer l'ethnocen- trisme ne signifie en aucune façon attenter à l'identité. Ou alors il faut admettre que la critique n'est pas admise.

D'abord il faut dire que la notion d'identité n'est pas figée. Elle est diversifiée et fluctuante. Son élaboration est incessante. On ne peut pas la concevoir en dehors du rapport à l'Autre. Denys Cuche ajoute que « l'identité est un construit qui s'élabore dans une relation qui oppose un groupe aux autres groupes avec lesquels il est en contact » (*ibid.* : 86). C'est dire son importance cruciale en traduction. Il est clair que la traduction construit l'*essence* des cultures. Aujourd'hui, promouvoir un mouve- ment traductif qui sans a priori mettra en avant la différence culturelle, c'est apporter une pierre à la structuration contemporaine de l'identité. Il s'agit de lui donner les outils qui l'aideront à mieux se déployer dans le monde d'aujourd'hui et de demain. Il s'agit donc de rendre plus efficace la communication interculturelle, et partant, les relations entre cultures, selon le principe : plus je connaîtrai l'Autre dans ses textes, plus il me connaîtra dans mes textes, mieux nous nous comprendrons.

Quant à Henri Meschonnic, s'il critique un amour de la langue qui repose sur de vieux mythes, stérilisateurs quant à l'évolution heureuse de notre culture, comme la clarté, la pureté, le génie supposés de la langue française, c'est pour sortir celle-ci d'une passivité défensive et stérile. Ne plus tourner sur soi-même,

mais intégrer positive- ment l'altérité. Pour cela Henri Meschonnic (1997 : 210) propose « une transforma- tion de l'identité par la diversité ». Il ne s'agit donc pas de baisser les bras devant « les identités vacillantes », à supposer qu'elles le soient, dont nous parle Jean-René Ladmiral (1997 : 133). C'est tout le contraire. Il s'agit de regarder le monde d'aujourd'hui bien en face et d'accompagner heureusement sa mutation.

S'il est souhaitable que se développe un large mouvement de traduction-dévoile- ment, c'est parce que nous avons constaté un manque dans notre culture, et parce que nous sommes conscient de son rôle novateur et fécondateur. Cela ne signifie pas que nous désirions que cet élan traductif soit exclusif de tout autre type de traduction. Au contraire. Nous avons indiqué plus haut l'intérêt que le traducteur aurait à retrou- ver ce rôle de vulgarisateur qu'il a perdu dans le passé. On peut continuer sur cette lancée et proposer de remettre à l'honneur, dans un premier temps dans l'institution scolaire, ces exercices qui ont fait partie du champ traductif dans notre histoire, nous voulons parler de l'imitation, de la paraphrase, du pastiche, de l'adaptation, par exemple. Mais quel que soit le type de traduction pratiqué et proposé, ce que nous voulons clairement, c'est que désormais il soit clairement affiché.

Tâches

Quant à la traduction-dévoilement, si elle se propose de montrer l'Autre, elle a aussi pour tâche, dans l'immense chantier des relations interculturelles, de constituer la culture du Même. En ce sens on peut dire qu'elle participe du phénomène ethno-centrique. Mais avec une grande différence : alors que dans le passé la constitution de soi se faisait largement par l'effacement, désormais la constitution de soi se fait aussi par la mise en évidence de l'Autre. Nous avons indiqué plus haut que l'ethnocen- trisme est, à des degrés divers, de toutes les cultures. Mais, comme le formule Denys Cuche (1996 : 116), dans la culture occidentale, il s'agit cette fois d'un ethnocen- trisme dont on fera un « usage méthodologique ». Denys Cuche (*ibid.*) cite ensuite Pierre Bourdieu : « Je suis convaincu qu'une certaine forme d'ethnocentrisme, si l'on désigne ainsi la référence à sa propre expérience, à sa propre pratique, peut être la condition d'une véritable compréhension : à condition bien sûr que cette référence soit consciente et contrôlée […]. Il est plus difficile de reconnaître dans les autres,

d'apparence si étrangers, un moi qu'on ne veut pas connaître. Cessant alors d'être des projections plus ou moins complaisantes, l'ethnologie et la sociologie conduisent à une découverte de soi dans et par l'objectivation de soi qu'exige la connaissance de l'autre[15] ». Un mouvement traductif se situant dans une *ouvertude* consciente et con- trôlée n'est donc pas contradictoire avec la constitution de l'identité. Bien au con- traire, il s'agit d'appréhender la dialectique du Même et de l'Autre, de l'identité et de la différence, dans un mouvement allant vers une conscience claire de leur essence et de leur interrelation, qui ne se fasse au détriment ni de l'une ni de l'autre des deux cultures en présence.

Nous terminerons en insistant sur le fait que ce rôle constitutif de la traduction sur le plan de la culture est infini. On comprendra mieux maintenant pourquoi elle a de formidables tâches devant elle. En cela, dans leur réalisation, elle participe de la finitude humaine et de la complétude du langage, qui sont, on le sait, infinies. Cette façon de voir repositionne d'une façon positive le problème de l'intraduisible qui n'est ainsi plus considéré comme une fatalité. Quant au travail de ré-écriture de la traduction, sur le plan linguistique, il n'est pas celui ou du sens, ou de la signifiance, mais celui de la totalité du signe, c'est-à-dire celui du sens *et* de la signifiance. *Ni cibliste, ni sourcier*. Dichotomie simpliste dans laquelle nous ne nous reconnaissons pas. Le travail de ré-écriture n'est pas une traduction de la langue, mais de ce que le discours fait de la langue. Dans un entre-deux, qui se love dans la relation entre les deux cultures, entre ce que dit le texte de l'Autre, et ce que je lui fais dire dans la mienne, dans un rapport de tension culturelle entre langue et discours, tension sans cesse changeante, insaisissable.

NOTES

1. Le présent article est la version revue et corrigée d'une conférence prononcée lors du: « Premier colloque international : Les aspects culturels de la traduction », organisé par l'Université technique de Yildiz, Istanbul (Turquie), 22-24 octobre 1997.

2. Nous nous donnons pour but ici d'approfondir et d'examiner sous un autre angle des notions que nous avons introduites ailleurs : cf. Jean-Louis Cordonnier, *Traduction et culture*, 1995.

3. Évidemment, « modes de traduire » est à comprendre ici au masculin.

4. Pour un panorama plus complet du concept de culture, nous renvoyons le lecteur à Cuche (1996).

5. Voir la première partie : *Pour une archéologie de la traduction.*

6. Signalons à ce propos la parution d'un nouvel ouvrage sur la période classique : *La Traduction à l'âge classique*, études réunies par Michel Ballard et Lieven D'hulst, Lille, Presses universitaires du Septentrion, 1996.

7. Cet article est rédigé par Jean Delisle, avec la collaboration de Pierre Cloutier.

8. Soul. par l'auteur.

9. Voir note nº 70. Soul. par l'auteur.

10. À ne pas confondre avec « l'étayage de l'acte traductif » (Berman 1995 : 68), terme qui désigne tout le travail de recherche documentaire du traducteur, toutes les lectures nécessaires à entreprendre pour réussir une traduction.

11. Soul. par l'auteur.

12. Sur les a priori classiques encore en vigueur : clarté, génie, pureté, par exemple, voir : Meschonnic (1997).

13. Soul. par l'auteur.

14. Soul. par l'auteur.

15. Cette citation est tirée de Pierre Bourdieu : « Entretien avec Alban Bensa : quand les Canaques prennent la parole », *in Actes de la recherche en sciences sociales*, nº 56, mars 1985, p. 79.

RÉFÉRENCES

Berman, A. (1984) : *L'épreuve de l'étranger. Culture et traduction dans l'Allemagne romantique*, Gallimard, coll. «Les Essais ».

—— (1995) : *Pour une critique des traductions : John Donne*, Paris, Gallimard, coll. « Bibliothèque des idées ».

Cordonnier, J.-L. (1995) : *Traduction et culture*, CREDIF/Hatier-Didier,

Coll. LAL.

Cuche, D. (1996) : *La notion de culture dans les sciences sociales*, Paris, Éditions La Découverte, Coll. Repères, nº 205.

Delisle, J. et J. Woodsworth (sous la dir. de) (1995) : *Les traducteurs dans l'histoire*, Les Presses de l'Université d'Ottawa/Éditions UNESCO.

Foucault, M. (1966) : *Les mots et les choses*, Paris, Gallimard, coll. « Bibliothèque des sciences humaines».

Ladmiral, J.-R. (1997) : « Aspects interculturels de la traduction », *in : Hommage à Hasan-Ali Yücel — La traduction : carrefour des cultures et des temps*, sous la dir. du Prof. Dr Hasan Anamur, Istanbul, Université technique de Yildiz.

Mercier, D. (1995) : *L'épreuve de la représentation. L'enseignement des langues étrangères et la pratique de la traduction en France aux xvii*e *et xviii*e *siècles*, Besançon, Annales littéraires de l'Université de Besançon, nº 589, Diffusion Les Belles Lettres.

Meschonnic, H. (1973) : *Pour la poétique II*, Paris, Gallimard, 1973.

—— (1997) : *De la langue française*, Paris, Hachette.

Mounin, G. (1963) : *Les problèmes théoriques de la traduction*, Paris, Gallimard, coll. « TEL », nº 5.

LES TERMES TECHNIQUES EN INTERPRÉTATION SIMULTANÉE

DANIEL GILE

Résumé : L'article passe en revue certaines caractéristiques du vocabulaire spécialisé des conférences techniques et explique leurs incidences sur l'interprétation. Il évoque les différentes tactiques utilisées en cabine pour surmonter les problèmes ainsi que les principaux paramètres affectant la qualité de la prestation de l'interprète en matière terminologique.

INTRODUCTION

Les utilisateurs des services d'interprétation ont tendance à considérer que la principale difficulté des conférences techniques est lexicologique, et interrogent souvent les interprètes sur leurs méthodes de travail dans ce domaine.

Les interprètes, quant à eux, s'expliquent peu sur ce point. Dans leurs travaux, ils soulignent surtout la nature intellectuelle de leur démarche, qui est l'exégèse du discours (Seleskovitch 1968, Lederer 1978, Déjean 1978) ; les aspects techniques de l'interprétation sont laissés de côté.

En fait, il n'est de bonne interprétation technique sans une solide préparation. Le présent article cherche à en expliquer les raisons ; il décrit les différents types d'obstacles terminologiques qui se dressent devant les interprètes, et les tactiques utilisées pour les franchir ou les contourner.

La présente synthèse se fonde sur l'observation sur le terrain et sur des expériences réalisées en laboratoire. L'échantillon étudié se compose de collègues volontaires (pour les expériences) et de collègues ayant travaillé avec l'auteur à des conférences techniques (quelques dizaines au total). Les langues de travail concernées sont également limitées en nombre (français, anglais, allemand, espagnol, japonais, hébreu). Toutefois, la convergence dans les problèmes et démarches, ainsi que les réflexions des collègues ne faisant pas partie de l'échantillon, donnent à penser que l'image dégagée reflète de manière représentative la situation de l'ensemble des interprètes travaillant à des conférences techniques.

LE VOCABULAIRE TECHNIQUE DES CONFÉRENCES

Le vocabulaire technique dans les conférences internationales a des dimensions très variables : insignifiant dans certaines réunions à caractère politique ou administratif, il atteint couramment plusieurs centaines de mots dans les colloques scientifiques ou techniques.

Par ailleurs, à moins d'avoir une documentation très complète, l'interprète ne peut savoir à l'avance quels seront les mots effectivement employés et doit être prêt à affronter un très vaste vocabulaire potentiel : en effet, quel que soit le thème de la réunion, des mots appartenant à des domaines connexes ou étrangers sont susceptibles d'apparaître. On peut citer à titre d'exemple une récente conférence sur l'innovation technologique dont une session d'une demi-journée consacrée aux applications du laser compor-

tait des incursions dans la cancérologie, la stomatologie, la gynécologie, les techniques aéronautiques et spatiales, la soudure, les machines-outils...

Aucun interprète ne connaît les dizaines de milliers, voire les centaines de milliers de mots du vocabulaire potentiel d'une conférence — aucun interprète ne peut les apprendre. Or, un mot inconnu ou mal connu peut entraver la compréhension de l'idée, et par là empêcher sa restitution.

Dans les réunions où a lieu un véritable échange, l'interprète peut apprendre le vocabulaire au fil des travaux (Seleskovitch 1968 : 155). Par contre, dans les très nombreuses conférences qui se composent d'un enchaînement d'exposés entrecoupés de très brèves discussions, la chose est impossible. Pour cerner et apprendre le vocabulaire, condition indispensable à une bonne qualité du travail, l'interprète dispose d'un seul moyen efficace : la documentation.

Les lettres d'engagement approuvées par l'AIIC (Association internationale des interprètes de conférence) prévoient l'envoi de la documentation nécessaire à la préparation de la réunion à tous les membres de l'équipe.

Quand la documentation est incomplète ou absente, une partie plus ou moins grande du vocabulaire de la conférence reste inconnue de l'interprète, qui s'expose alors à des risques importants de perte informationnelle.

LES PROBLÈMES

À propos des problèmes susceptibles de se poser durant la première phase de l'interprétation, à savoir l'écoute et l'analyse, il est bon de rappeler le rôle capital des structures probabilistes de réception chez l'auditeur.

Un locuteur ne prononce pas toujours les mots de la même manière, et il n'existe pas d'enchaînement de sons précis qui corresponde universellement à une suite de mots. Dans la conversation, l'auditeur sélectionne certaines caractéristiques du son entendu, les « traits pertinents », qu'il interprète en fonction de ses attentes (voir Levinson et Liberman 1981).

> Du point de vue de la théorie de l'information, la compréhension d'un message implique toujours plus que ce qui est contenu dans le signal lui-même ; elle implique une référence à la totalité des possibilités que le récepteur a à sa disposition et parmi lesquelles le signal en question a été choisi. Cet ensemble de possibilités n'est nullement uniforme, il a un profil caractéristique : certaines possibilités sont plus probables que d'autres, et ces variations dans les degrés de probabilité influencent le processus de décodage du récepteur. Si le récepteur du message sait que les chiffres y sont plus probables que les mots, il pensera que /ka.../ a plus de chances d'être « quatre » que « catastrophes ». (Horman 1972 : 78.)

Les termes techniques constituent un signal bref d'une fraction de seconde. Ils sont donc particulièrement vulnérables à la distorsion du son (mauvaise qualité du matériel électronique, fort accent étranger ou régional de l'orateur), au « bruit » (toutes perturbations sonores), et au relâchement de l'attention de l'interprète.

L'importance de ce dernier facteur apparaît clairement à la lumière du concept d'« équilibre d'interprétation ».

En simultanée, l'interprète répartit son énergie entre l'écoute et l'analyse, l'effort de mémoire (certains éléments doivent être retenus pendant un certain temps avant d'être restitués dans la langue d'arrivée), et la production du discours dans la langue d'arrivée. L'équilibre précaire maintenu entre ces trois efforts est facilement rompu : si l'orateur est trop rapide, par exemple, l'interprète prend du retard, ce qui l'oblige à faire un effort de mémoire supplémentaire au détriment de l'écoute, et il n'entend plus très bien la suite du discours (ce concept d'« équilibre d'interprétation » est développé dans

un autre article à paraître : « Des difficultés de la transmission informationnelle en interprétation simultanée »).

Par ailleurs, si les structures d'attente de l'interprète sont faibles, il risque de ne pouvoir identifier les mots d'après le signal qui lui parvient ; un mot inconnu, mal connu ou inattendu est moins facilement reconstitué qu'un mot familier.

L'identification du mot n'est d'ailleurs qu'un préalable à l'assimilation du sens ; celle-ci n'est possible que si le mot est connu, si ses caractéristiques phonologiques ou morphologiques en permettent l'analyse, ou si le contexte et la situation sont suffisamment précis.

Quant à la restitution dans la langue d'arrivée de l'idée véhiculée par le terme technique, elle peut être compromise par :

- l'ignorance du terme correspondant dans la langue d'arrivée
- un « trou de mémoire » empêchant momentanément l'interprète d'évoquer dans la langue d'arrivée les mots nécessaires à l'expression de l'idée
- une rupture de l'équilibre d'interprétation
- des interférences linguistiques (l'incapacité momentanée de se détacher de la langue de départ)
- d'autres éléments perturbateurs (fatigue, bruits, etc.)

LA PRÉPARATION

Ces difficultés sont à l'origine de pertes d'information considérables, et compromettent gravement la mission de l'interprète, la restitution du message de l'orateur.

Le moyen de prévention universellement choisi est le travail de préparation, et le meilleur support envisageable pour celui-ci est constitué par l'ensemble des documents de la conférence (Seleskovitch 1968 : 151).

La documentation est lue, le vocabulaire repéré. La signification des mots est recherchée dans les documents mêmes, dans des dictionnaires, des ouvrages de référence, auprès des spécialistes.

La plupart des interprètes préparent de petits lexiques où les mots sont inscrits par ordre chronologique d'apparition, regroupés par affinités conceptuelles ou classés par ordre alphabétique. D'autres préfèrent annoter les documents mêmes, surtout les textes destinés à être lus.

La grande majorité des interprètes n'apprennent pas par cœur le vocabulaire ainsi constitué. Ils se contentent de le parcourir une ou deux fois avant la conférence, et comptent sur les opérations de lecture, de repérage, de marquage et de préparation du lexique pour fixer les mots dans leur mémoire. En cas de « panne », ils peuvent toujours consulter leur lexique en cabine (voir plus loin).

Une contrainte pratique fort fréquente est la brièveté des délais dont dispose l'interprète pour exploiter une documentation qui peut atteindre plusieurs centaines de pages. À l'origine, l'envoi tardif des documents par l'organisateur, mais aussi le caractère saisonnier de l'interprétation, susceptible de se traduire par la concentration de plus de dix conférences par mois pendant certaines périodes de l'année.

Dans ces conditions, la préparation ne peut être approfondie, et l'interprète est parfois obligé de faire une partie du travail en cabine, en étudiant de près un exposé qui lui a été attribué lors d'un partage des interventions entre les membres de l'équipe.

- La documentation est souvent très incomplète, et ne permet pas de cerner le vocabulaire effectif de la conférence. Il appartient alors à l'interprète de choisir une stratégie de préparation susceptible de lui être du plus grand secours.

L'auteur préconise une exploration « horizontale » avec approfondissements successifs : un survol du domaine permet de se repérer et de situer les thèmes destinés à être

abordés durant la réunion ou susceptibles de l'être ; ces thèmes peuvent ensuite être étudiés de manière plus approfondie.

À ces fins, on consulte d'abord des encyclopédies, des ouvrages de vulgarisation, des livres scolaires, des spécialistes, puis des documents plus techniques, et de nouveau, des spécialistes.

Cette démarche permet à l'interprète d'acquérir un bagage cognitif utile face à des mots inconnus susceptibles d'apparaître en cours de conférence ; elle lui donne par ailleurs un aperçu du vocabulaire potentiel de la réunion et lui permet d'identifier ses caractéristiques (mots d'origine gréco-latine, mots anciens, mots composés, xénismes, etc.), lui facilitant ainsi l'analyse en situation.

La recherche des « équivalents » en langue d'arrivée

On a beaucoup souligné la nécessité de comprendre pour traduire (voir par exemple Seleskovitch 1975 : 41-53) ; le bien-fondé de la traduction par transcodage paraît en effet compromis par deux arguments importants :

- L'idée, devenue le bien commun de toute la linguistique actuelle, que chaque langue découpe dans le réel des aspects différents, et qu'elle découpe aussi le même réel en unités différentes (Mounin 1976 : 48). Un terme donné ne recouvre donc pas exactement la même réalité que son « équivalent » présumé dans une autre langue.
- L'idée de la polysémie obligatoire de la langue (voir Pergnier 1973 : 31-36). Celle-ci résulte mathématiquement du fait que dans les langues naturelles, « un nombre limité de signes a pour fonction de représenter une infinité de situations, une infinité d'éléments du monde extérieur, une infinité de représentations de la vérité par des locuteurs différents » (Guilbert 1975 : 15).

Un terme donné peut donc avoir plusieurs sens selon le contexte, et doit être traduit différemment selon le sens.

De cette formule : « comprendre pour traduire », certains tirent hâtivement la conclusion que seule une compétence certaine dans le domaine où se situe le texte permet de faire un travail de traduction sérieux (voir par exemple Kourganoff 1980 : 4).

Un certain niveau de compréhension est effectivement nécessaire à l'appréhension des liens logiques et fonctionnels entre les différents éléments de l'énoncé et à la sélection des termes appropriés en langue d'arrivée, mais il est généralement accessible aux traducteurs et interprètes professionnels (voir Gile 1980).

En ce qui concerne le travail de préparation, le problème de la polysémie est fortement atténué, voire totalement supprimé, par le contexte défini par la documentation. D'autre part, l'évolution parallèle des secteurs de pointe de la science et la technologie dans les différents pays depuis plusieurs dizaines d'années fait qu'en général, les termes techniques découpent la réalité d'une manière identique ou très proche.

Pour peu qu'ils disposent d'une documentation suffisante, les interprètes sont donc en mesure de trouver les équivalents contextuels appropriés des termes techniques posant des problèmes de traduction. Les cas réfractaires, peu nombreux en général, peuvent être résolus avec la collaboration des orateurs et des autres participants à la conférence.

Il convient de préciser qu'une différence importante distingue les besoins des interprètes de ceux des traducteurs. Ces derniers, dont le travail est conservé de manière permanente et doit parfois être publié, sont tenus de respecter des conditions de forme contraignantes : ils n'ont droit qu'à un vocabulaire « officialisé » dont sont exclus les xénismes, les sociolectes à diffusion trop limitée et les paraphrases. La situation des interprètes est toute autre. En effet, dans les conférences techniques, où la densité de l'information est considérable, les auditeurs se concentrent sur le fond et ne remarquent la

forme que si les formules sont trop elliptiques, si les termes employés sont ignorés ou rares (voir Lederer 1978 : 168), ou s'ils les choquent pour une autre raison.

Les interprètes sont donc plus libres d'employer des néologismes, des xénismes, des barbarismes et des jargons très spécialisés, à condition que les termes soient clairs pour les auditeurs.

LES TACTIQUES

La prévention par la préparation est efficace quand la documentation est complète et le délai suffisant, plus incertaine quand ces deux conditions ne sont pas entièrement satisfaites, et plutôt aléatoire en l'absence de documents.

Par ailleurs, même dans des conditions optimales, l'interprète ne réagit pas toujours d'une manière spontanée et efficace.

Outre la stratégie de préparation, les interprètes ont donc recours à un ensemble de tactiques précises pour faire face aux difficultés terminologiques qui ne manquent pas d'apparaître en cours d'interprétation.

Le corpus montre que ces tactiques sont les mêmes, quelles que soient la formation, l'expérience et les langues de travail de l'interprète.

Lors de la première phase de l'interprétation, la phase d'écoute et d'analyse , les problèmes d'identification et de compréhension des termes techniques peuvent être combattus à l'aide de sept tactiques différentes :

1. L'interprète cherche à reconstituer le terme et son sens en s'aidant du contexte, de son bagage cognitif et des traits pertinents captés.

La réaction est naturelle en soi et fait partie du processus de réception ordinaire, déjà mentionné plus haut. La démarche devient « tactique » au sens du présent article quand l'effort est volontaire et mobilise l'attention de l'interprète. Elle est particulièrement fréquente quand l'accent étranger ou régional de l'orateur rend l'identification des mots difficile.

Quand elle aboutit, cette tactique permet la restitution intégrale du terme mal compris ou mal entendu, mais demande un certain temps, et surtout une grande énergie. Elle présente donc l'inconvénient d'un risque de rupture de l'équilibre d'interprétation, et de la perte à l'écoute de la suite immédiate du discours.

2. L'interprète demande l'aide de son collègue passif (qui est assis en cabine mais n'interprète pas). Celui-ci, qui peut consacrer toute son attention à l'écoute, entend et comprend souvent mieux que l'interprète actif. En outre, sa disponibilité lui permet de consulter un dictionnaire ou un autre document pour rechercher la solution.

Il suffit d'une hésitation, d'un coup d'œil, d'un geste, d'un mot écrit sur une feuille de papier avec un point d'interrogation pour que le collègue sache ce qui lui est demandé. Dans de bonnes équipes, il est d'ailleurs souvent possible d'anticiper les difficultés et de rechercher les solutions sans attendre.

Cette tactique est probablement la meilleure dont dispose l'interprète en cabine : peu coûteuse en temps et en énergie, elle lui donne de bonnes chances de retrouver l'information manquante.

Son utilisation suppose toutefois la présence d'un collègue passif en cabine, condition qui n'est pas toujours remplie :

- L'interprétation sollicite lourdement le système nerveux et appelle de fréquentes périodes de repos. Si la cabine est bilingue ou très active, un effectif de trois interprètes au moins est nécessaire pour qu'un interprète actif puisse se reposer pendant qu'un autre collègue prête main-forte à son successeur en cabine. Dans une équipe de deux, l'interprète passif ne peut rester en cabine en permanence, sous peine de voir son travail actif se dégrader rapidement par la suite.

♦ Comme il a déjà été mentionné plus haut, les interprètes se trouvent parfois contraints d'achever leur préparation en séance.

♦ Enfin, très conscients de leurs faiblesses et de leurs défaillances, certains interprètes sont troublés par la présence de collègues qui les écoutent, et préfèrent travailler seuls.

3. En l'absence d'un collègue disponible à côté de lui, l'interprète peut rechercher une solution à son problème terminologique dans les documents dont il dispose en cabine : documents de travail, dictionnaires, listes de mots, etc.

Le travail de préparation a une grande influence sur l'efficacité de cette tactique : une bonne organisation des lexiques, un bon classement des documents, un bon repérage des termes techniques facilitent l'accès à l'information en séance.

Cette tactique peut être très intéressante quand un simple coup d'œil permet de trouver la solution au problème, sur un document de travail par exemple. La consultation d'un dictionnaire demande toutefois davantage de temps et d'effort, et n'est en général indiquée que pour une information importante et dans le cas d'un discours peu dense et peu rapide.

4. La simplification consiste à remplacer l'idée véhiculée, dont l'interprète a saisi la nature, mais non pas les contours précis, par une idée plus globale (*push-pull amplifier* est rendu par « l'amplificateur »).

Cette tactique demande peu de temps et peu d'effort, mais implique l'abandon d'une partie de l'information. Cet abandon peut toutefois n'entraîner aucune perte pour l'auditeur, si le contexte ou un support visuel (diapositive, transparent, diagramme) sont suffisamment précis.

5. La reproduction approximative du son entendu par l'interprète est une tactique purement mécanique, dont l'efficacité est pourtant étonnamment bonne : les auditeurs rétablissent en effet souvent le mot et son sens grâce au contexte et à leur bagage cognitif, parfois sans même s'apercevoir des difficultés de l'interprète, surtout s'il s'agit de termes comportant des noms propres (« nombre de Froude », « antenne Yagi ») ou de termes phonologiquement proches de leurs équivalents contextuels en langue d'arrivée (voir à ce sujet Slama-Cazacu 1961).

6. Si l'orateur est dense et rapide, les interprètes ont besoin de toute leur énergie pour le suivre. Il arrive qu'une information mal perçue et jugée peu importante soit complètement omise en faveur de la suite.

Les omissions sont parfois des accidents plutôt que des tactiques, quand elles ne résultent pas d'un choix : il arrive qu'un effort excessif de mémoire ou de production du discours affaiblisse l'écoute, et l'interprète perd de l'information sans même s'en rendre compte.

Quand elle résulte d'une décision, l'omission implique l'abandon délibéré de la totalité de l'information véhiculée par le terme technique en question. La seule justification de cette démarche réside dans sa faible consommation de temps et d'énergie, qui permet à l'interprète de se concentrer sur une partie plus importante du discours et de sauvegarder l'essentiel.

Il convient de noter que dans la pratique, les conditions de travail sont telles que les omissions sont nombreuses, même chez des interprètes très compétents.

7. Quand l'interprète pense avoir perdu une information importante, il peut s'extraire momentanément de son personnage d'orateur et informer les auditeurs de la perte. Ceux-ci peuvent ne pas réagir, demander des précisions à l'orateur après son exposé, ou intervenir immédiatement.

Cette tactique n'est pas souvent employée : en effet, elle demande un certain temps et réduit la crédibilité de l'interprète, en dépit de l'honnêteté de la démarche.

Toutes ces tactiques, à l'exception de la première, servent également lors du deuxième temps de l'interprétation, qui est la restitution du message. Pour surmonter une difficulté dans la réexpression d'une information véhiculée par un terme technique en langue de départ, les interprètes emploient également les tactiques suivantes :

8. L'explication ou la paraphrase : des termes n'existant pas dans la langue d'arrivée, inconnus de l'interprète ou momentanément insaisissables sont remplacés par des explications ou des paraphrases (*action impulse* est rendu par « recherche d'une ligne par sélecteur actionné par impulsions »).

Cette tactique est efficace sur le plan informationnel, mais demande un temps considérable.

9. La « naturalisation » : le terme technique en langue de départ est morphologiquement ou phonologiquement modifié pour être rapproché du vocabulaire de la langue d'arrivée (dans une interprétation dans le sens français-anglais, le mot « télédétection », qui se traduit par *remote sensing*, a été rendu par *teledetection*, prononcé à l'anglaise).

Cette tactique d'« importation sauvage », qui ne recueille pas les suffrages des défenseurs de la langue d'arrivée, n'est que rarement utilisée par les traducteurs. En interprétation, la primauté de la transmission informationnelle immédiate et l'évanescence de la parole justifient son emploi. En effet, faible consommatrice de temps et d'énergie, cette tactique est remarquablement efficace dans trois cas :

- Quand les langues de départ et d'arrivée sont très voisines (espagnol et français, par exemple), la transparence et l'étymologie commune et l'évocation de mots de la même famille permettent aux auditeurs de comprendre le sens de ces xénismes.
- Quand les « importations lexicales » sont monnaie courante entre la langue de départ et la langue d'arrivée : le japonais et l'hébreu, par exemple, ont adopté de très nombreux termes anglais, qui cœxistent d'ailleurs pacifiquement avec des synonymes autochtones. Dans le domaine technique, la naturalisation sauvage opérée par l'interprète débouche souvent sur des mots existant déjà dans le vocabulaire en usage, ou sur des créations qui leur sont proches.
- Quand les auditeurs ont une certaine habitude de la lecture de textes techniques dans la langue de départ sans pour autant la comprendre facilement à l'écoute. Ils identifient alors souvent sans peine le terme spécialisé prononcé par l'interprète comme ils le prononcent probablement eux-mêmes.

La prédominance de certaines langues dans les domaines scientifiques et techniques fait que ce cas est très fréquent.

10. La reproduction du mot en langue de départ, prononcé tel quel (« le yellowfin », prononcé à l'anglaise, a été employé dans une interprétation anglais-français, le terme français « thon jaune » n'ayant pas été trouvé dans le feu de l'action).

L'efficacité de cette tactique est plus incertaine que celle de la « naturalisation », car la prononciation étrangère est susceptible de rendre méconnaissable à l'oreille un terme connu ou compréhensible pour l'auditeur sous sa forme écrite. Indiquée entre l'italien et l'espagnol, par exemple, cette tactique est très risquée dans l'interprétation de l'anglais vers le japonais, où la « naturalisation » est par contre efficace.

11. Le transcodage (dans le domaine de la comptabilité nationale, *maturity date*, qui correspond à la « date d'échéance », a été traduit par transcodage par « date de maturité »).

Cette tactique peut être efficace dans le champ lexical des technologies récentes, dont le vocabulaire progresse de manière parallèle dans les différents pays, mais la prudence s'impose quand les mots sont anciens : le transcodage en anglais de « tour d'échelle » (droit d'un propriétaire de passer des échelles sur la propriété de son voisin

pour réparer ou entretenir le mur qui les sépare) aboutit à une formule peu claire pour l'auditeur anglophone.

La sélection des tactiques

Les différentes tactiques énumérées ne constituent pas des choix isolés, indépendants et définitifs. L'interprète use souvent de plusieurs démarches successives dans sa lutte contre la même difficulté. Il peut par exemple transcoder ou « naturaliser » tout en cherchant une solution dans son lexique, ou opter provisoirement pour l'omission en attendant la solution proposée par son collègue passif ; il peut aussi, s'il en a le temps, reproduire un terme tel quel, puis l'expliquer, ou omettre l'idée une première et une deuxième fois, puis recourir à une tactique dont le rendement informationnel est meilleur s'il voit que le terme réapparaît.

La sélection semble s'opérer essentiellement selon trois « lois », dont l'importance relative est fortement influencée par des paramètres psychologiques :

(1) *La recherche du meilleur rendement informationnel immédiat :*

Pour D. Seleskovitch, l'interprétation est essentiellement « l'acquisition et la restitution de contenus cognitifs » (AICC 1979 : 34). Dans les conférences techniques, les interprètes perçoivent apparemment leur mission première comme consistant à transmettre de l'information, et tendent à choisir les tactiques les plus efficaces sur ce plan.

Cette loi favorise les tactiques assurant une restitution informationnelle intégrale (consultation d'un lexique où on est assuré de trouver le mot manquant) par rapport à celles dont la transmission informationnelle est incomplète ou aléatoire (simplification, « naturalisation »).

(2) *La loi de la moindre interférence :*

Cette loi se focalise sur les incidences du choix de la tactique sur la restitution de la suite immédiate du discours original. Ces incidences sont fonction de l'énergie et du temps consommés par la tactique employée ; au regard de la loi de la moindre interférence, les omissions, par exemple, dont le rendement informationnel est nul, sont donc supérieures à l'explication, qui demande un certain temps et une certaine énergie, mais dont le rendement informationnel est élevé.

(3) *La loi du moindre effort :*

Cette loi est étrangère à toute considération technique, mais son effet est postulé dans une grande partie des activités humaines (Zipf 1965), et notamment dans le langage (Miller 1956). Elle apparaît en filigrane dans les travaux de K. Déjean-Le Féal (1978) et de B. Moser (1978) sur l'interprétation ; I. Pinchuk (1977), pour sa part, l'érige en principe opératoire fondamental de la traduction.

La loi du moindre effort favorise à l'évidence, elle aussi, les tactiques les moins énergivores.

On notera que la seule tactique qui représente une solution optimale au regard de ces trois lois concurrentes est le recours au collègue passif ; d'où l'intérêt des équipes de trois ou quatre interprètes.

L'interprète obéit plus ou moins consciemment à ces trois lois ; l'importance relative de chacune varie en fonction de facteurs psychologiques et déontologiques dont les principaux méritent qu'on s'y arrête.

La conscience professionnelle privilégie les deux premières lois, qui visent un rendement informationnel optimum, par rapport à la troisième.

La fatigue, de mauvaises conditions de travail, l'absence de documents, un désintérêt apparent des organisateurs et des délégués à l'égard de l'interprétation sont susceptibles d'inverser les priorités et de favoriser la loi du moindre effort.

La recherche du maintien de la crédibilité est un autre élément important qui entre en jeu. L'interprète honnête devrait en principe notifier ses auditeurs des pertes d'information. Toutefois, une telle démarche, si elle se renouvelle plusieurs fois au cours d'une séance, compromet gravement sa crédibilité, et affaiblit par là l'impact du message de l'orateur. C'est pourquoi la plupart des interprètes y renoncent, quitte à expliquer aux organisateurs et aux délégués que des pertes informationnelles importantes sont inévitables quand les conditions de travail sont mauvaises.

LES PARAMÈTRES DE LA QUALITÉ

La part des termes techniques dont la charge informative est partiellement ou totalement perdue en interprétation simultanée est très variable. Dans le corpus, elle atteint communément plus de 80 % d'un côté, et moins de 10 % de l'autre ; une présentation globale de ces statistiques aurait un intérêt plus anecdotique qu'instructif.

Toutefois, l'analyse permet de dégager trois paramètres qui semblent avoir une influence déterminante sur la capacité de réaction de l'interprète face aux difficultés terminologiques :

(1) **La vitesse de l'orateur**

La vitesse de l'orateur est de loin le facteur le plus important. S'il est difficile d'isoler et de déterminer quantitativement son influence, il est néanmoins clair que plus le débit de l'orateur augmente, plus grande est la proportion d'informations perdues, et qu'à partir d'un certain seuil, aucun autre paramètre ne peut compenser cet effet.

(2) **Le mode d'énonciation du discours : lecture ou improvisation**

Les discours lus sont réputés plus difficiles à interpréter en simultanée que les interventions spontanées, et ce en raison de leur densité, leur rythme, et l'absence d'idéation chez le lecteur (K. Déjean-Le Féal 1978).

Par contre, seuls les discours lus donnent à l'interprète la possibilité de prendre connaissance de tous les termes techniques à l'avance. L'interprétation des textes lus débouche souvent sur des énoncés peu clairs et entâchés d'interférences linguistiques qui ne facilitent pas la compréhension (K. Déjean-Le Féal 1981 : 95), mais le corpus lui reconnaît une nette supériorité dans la restitution des informations véhiculées par les termes spécialisés.

(3) **L'expérience et les connaissances spécialisées des interprètes**

Nombreux sont les interprètes qui affirment ne retenir les termes techniques que le temps de la conférence, pour commencer à les oublier sitôt après (AICC 1979 : 64). D'autres pensent acquérir un vocabulaire technique de plus en plus vaste au fil des années (Lederer 1973 : 118).

Le corpus semble corroborer la deuxième opinion : statistiquement parlant, la proportion des termes techniques connus des interprètes chevronnés et inconnus de leurs cadets est telle qu'elle permet souvent aux uns de faire un discours cohérent là ou les autres baissent les bras.

Le bagage cognitif de l'interprète ayant une formation ou une expérience professionnelle dans le domaine dont traite la conférence constitue lui aussi un atout considérable. Cependant, son utilité décroît rapidement à mesure que l'on s'éloigne de la spontanéité de l'interprète : un ancien professionnel des statistiques devenu interprète comprend mieux les raisonnements statistiques que ses collègues non initiés, mais n'est

pas beaucoup mieux armé qu'eux sur le plan terminologique dès que l'on passe aux statistiques démographiques.

D'autres paramètres sont faciles à énumérer, bien que leur influence soit plus difficile à cerner. Il en est deux, en particulier, qui méritent d'être mentionnés, car le corpus fait apparaître à leur propos des phénomènes qui ne concordent pas avec les idées et méthodes qui ont cours dans certains milieux importants de la profession :

(4) **La stratégie de préparation choisie**

D'une manière générale, la préparation cognitive semble nettement moins efficace que la préparation terminologique : l'image de l'interprète honnête homme qui s'efforce de comprendre par l'exégèse du discours, et qui restitue ensuite des idées parfaitement assimilées doit s'effacer, dans le cas du discours technique, en faveur de celle du technicien qui s'occupe en priorité des détails.

Certes, le survol d'un domaine par le biais d'un ouvrage de vulgarisation (ou par une autre méthode) permet, dans une négociation, dans une réunion politique, de comprendre les intérêts en jeu, les objectifs, les grandes orientations, et d'éviter maints pièges. Ce type de préparation est néanmoins moins efficace dans les conférences techniques, où les problèmes sont circonscrits dans de petits segments d'énoncé. Pour citer M. Lederer (1981 : 53) :

> Ce qui différenciera toujours la situation de l'interprète de celle d'auditeurs normaux, c'est que le sens général des discours le concerne moins que leurs molécules, les unités de sens.

Pour bien suivre l'orateur, l'interprète doit comprendre le discours au niveau atomique, moléculaire et intermoléculaire ; il doit saisir les relations fonctionnelles à l'intérieur des phrases et segments de phrases, ainsi que les enchaînements. Au-delà, les rendements des efforts d'approfondissement décroissent rapidement.

Le corpus présente de nombreux exemples d'interprètes ayant bien interprété un exposé sans le comprendre dans son ensemble. Dans l'idéal, l'élucidation des principes fondamentaux des sciences et techniques doit précéder la recherche terminologique (Seleskovitch 1981 : 44) ; dans la pratique, un travail de bonne qualité est possible sans cette étape préalable.

(5) **La langue d'expression de l'interprète**

Il est généralement admis à l'AIIC que l'interprète doit travailler vers sa langue « A » (langue maternelle ou assimilée). L'interprétation vers la langue « B » (autre langue active) est considérée comme un mal nécessaire imposé par les réalités du marché (Skuncke 1976 : 104).

Pour D. Seleskovitch, « à qualité égale d'interprète, l'interprétation en « A » est toujours supérieure à l'interprétation en « B » » (1968 : 224). E. Bros-Brann va plus loin et affirme que la véritable interprétation, qui est autre chose que le simple transcodage de l'original, ne peut se faire que vers la langue « A » (1976:17).

Le corpus ne fait pas ressortir une telle différence d'une manière très nette. Il est vrai que les maladresses de style et fautes de langue sont souvent plus nombreuses chez les interprètes travaillant de « A » en « B », mais les termes techniques mal compris et mal traduits ou omis sont parfois plus nombreux chez les interprètes travaillant de « B » en « A ». Il semblerait en effet que la meilleure qualité des structures de réception en « A » compense en partie ou entièrement la capacité de production inférieure en « B ».

CONCLUSION

Le recueil et l'exploitation des données sur l'interprétation dans les conférences techniques ne font que commencer, et des analyses statistiques fines n'ont pu être réalisées jusqu'à présent. Nous pensons d'ailleurs qu'à ce stade assez peu avancé de l'exploration de l'interprétation simultanée, les grandes lignes de convergence n'ont pas encore été suffisamment dégagées et exploitées pour que la recherche se tourne vers des phénomènes plus fins et à caractère plus aléatoire.

En matière terminologique, les éléments réunis dans le corpus semblent confirmer que dans les interventions très techniques, la majeure partie des pertes informationnelles de l'interprète sont attribuables à son incapacité de saisir ou de restituer les informations véhiculées par les termes spécialisés.

Étant donné le nombre et la variété des mots susceptibles d'être employés à chaque conférence, l'interprète ne peut travailler de manière efficace sans une préparation spécifique avant chaque réunion. Le corpus semble indiquer que le meilleur rendement informationnel est obtenu par un travail essentiellement terminologique sur des textes destinés à être lus ou paraphrasés.

La recherche d'une restitution aussi complète que possible de l'information conduit apparemment, dans les conférences techniques, à des préférences et à des méthodes peu orthodoxes par rapport aux idées généralement admises :

- Le travail le plus efficace est très proche de la traduction à vue, et diffère sensiblement de l'interprétation d'un discours improvisé.
- La supériorité présumée du travail du « B » vers le « A » est remise en question. Cette observation appelle d'ailleurs des précisions sur le plan linguistique, que de futurs travaux devraient pouvoir fournir. L'identification des faiblesses des langues « B » par rapport aux langues « A » en interprétation devrait ouvrir la voie à des efforts de perfectionnement linguistique spécialisé qui ne figurent pas aux programmes des écoles à l'heure actuelle.
- Dans le travail de préparation, l'importance de la recherche terminologique est déterminante. Une prise de conscience dans ce domaine devrait pouvoir s'accompagner d'une certaine réorganisation des méthodes. Les interprètes, dont les besoins terminologiques sont quantitativement supérieurs à ceux des traducteurs techniques, sont en effet très mal équipés en dictionnaires et en lexiques. Il en résulte parfois un travail approximatif que de bons outils terminologiques permettraient d'éviter.

Mais la préparation et les tactiques employées en situation ne peuvent résoudre l'ensemble des problèmes terminologiques, qui occasionnent souvent des pertes d'information considérables (il s'agit des pertes au niveau de l'interprète ; la question de leurs incidences sur le taux de réception des auditeurs n'ayant pas encore été étudiée, nous partons de l'hypothèse de la proportionnalité).

En fait on pourrait parler de deux types d'interprétation : dans la première, du type classique, l'interprète se substitue véritablement à l'orateur et transmet sa personnalité et son style en même temps que l'information ; dans la seconde, l'interprétation technique, il est un intervenant distinct de l'orateur, qui s'efforce de restituer aussi complètement que possible une information essentiellement impersonnelle. Les qualités et aptitudes requises pour ces deux « spécialités » divergent sensiblement et semblent appeler des formations et des méthodes spécifiques.

BIBLIOGRAPHIE

AICC (1979) : *Enseignement de l'interprétation, dix ans de colloques (1969-1979)*, Genève.

BROS-BRAN, Éliane (1976) : Critical Comments on H.C. Barik's article « Interpreters talk a lot, among other things », *Bulletin de l'AICC* IV/1, Genève, mars.

DÉJEAN-LE FÉAL, Karla (1978) : *Lectures et improvisations — incidences de la forme de l'énonciation sur la traduction simultanée,* doctorat de 3e cycle, Université de la Sorbonne nouvelle, Paris.
DÉJEAN-LE FÉAL, Karla (1981) : « L'enseignement des méthodes d'interprétation », dans Jean Delisle, *l'Enseignement de l'interprétation et de la traduction de la théorie à la pédagogie,* Ottawa, Éditions de l'Université d'Ottawa.
GILE, Daniel (1980) : « Textes spécialisés : techniciens ou traducteurs ? », dans *Traduire,* nº 105, décembre, IV.
GILE, Daniel : « Des difficultés de la transmission informationnelle en interprétation simultanée », article à paraître.
GUILBERT, Louis (1975) : *la Créativité lexicale,* Paris, Larousse.
HÖRMANN, Hans (1972) : *Introduction à la psycholinguistique,* Paris, Larousse.
KOURGANOFF, Vladimir (1980) : « Quelques traquenards du thème scientifique anglais », dans *Traduire,* nº 103, juin/I.
LEDERER, Marianne (1973) : « L'approche de l'inconnu », dans E. Weintraub, M. Lederer, J. de Clarens : « Enseigner l'interprétation », *Études de linguistique appliquée,* nº 12, octobre-décembre.
LEDERER, Marianne (1978) : *la Traduction simultanée — fondements théoriques,* Paris, Université Paris-Sorbonne.
LEVELT, W.J.M. (1978) : « A Survey of Studies in Sentence Perception : 1970-1976 », dans W.J.M. Levelt et G.B. Flores d'Arcais, *Studies in the Perception of Language,* John Wiley and Sons.
LEVINSON, S. et M. LIBERMAN (1981) : « La reconnaissance de la parole par ordinateur », dans *Pour la science,* édition française de *Scientific American,* nº 44, juin.
LOCHNER, R.K. (1976) : « Conference Interpretation and the Modern World », dans *BABEL,* 22/3.
MILLER, George A. (1956) : *Langage et communication,* Paris, PUF.
MOSER, Barbara (1977) : « A Hypothetical Model and its Practical Applications », dans D. Gerver and H.W. Sinaiko : *Language Interpretation and Communication,* New York and London, Plenum Press.
MOUNIN, Georges (1976) : *les Problèmes théoriques de la traduction,* Paris, Gallimard.
PERGNIER, Maurice (1973) : « Traduction et théorie linguistique », dans *Études de linguistique appliquée,* nº 12, octobre-décembre.
PINCHUK, Isadora (1977) : *Scientific and Technical Translation,* London, André Deutsch.
SELESKOVITCH, Danica (1968) : *l'Interprète dans les conférences internationales,* Paris, Minard.
SELESKOVITCH, Danica (1975) : *Langages, langue et mémoire,* Paris, Minard.
SKUNCKE, Marie-France (1976) : « Rapport du colloque sur l'enseignement de la simultanée », *Bulletin de l'AICC,* IV/2, août.
SLAMA-CAZACU, Tatiana (1961) : *Langage et contexte,* La Haye, Mouton.
ZIPF, G.K. (1965) : *Human Behavior and the Principle of Least Effort,* New York, Hefner Publishing Co.

LES BASES PHYSIOLOGIQUES DE L'EXERCICE MUSCULAIRE

Introduction

Le joueur de tennis ou le lutteur réalise une multitude d'actions individuelles ou combinées que l'on peut résumer comme suit : il court, il frappe, il plaque, il pousse, il immobilise. L'ensemble de ces gestes mobilise l'organisme dans sa totalité et de façon différenciée.

Dans chaque pratique physique, l'athlète accompli une performance motrice ou sportive. Il réalise celle-ci en utilisant, d'une part, de l'énergie pour créer la force nécessaire à la mise en mouvement du corps, d'autre part, des informations pour produire un travail en cohérence avec son environnement.

Ces deux éléments (l'énergie et les informations) sont des ressources pour l'organisme du sportif, mais d'autres facteurs interviennent aussi :

Il faut différencier :

Les différentes qualités de l'athlète

- **Les qualités Morphologiques :** Taille, poids, largeur des épaules, du bassin, des segments, etc
- **Les qualités Biologiques :** la capacité vitale, le% de graisse, la consommation maximale d'oxygène, la répartition des fibres musculaires.
- **Les qualités Physiques : deux groupes répertoriés**
  - **Les qualités conditionnelles** qui font appel à, la fourniture, la mise en jeu et la resynthèse de l'énergie musculaire nécessaire au fonctionnement de l'organisme (les potentiels aérobie et anaérobie)
  - **Les qualités Neuromusculaires de coordination** qui font appel à la coordination, au guidage et à la régulation des gestes (force, souplesse, adresse, habileté motrice).

- **Les qualités technico- tactiques** en rapport avec la culture de la discipline pratiquée.
- **Les qualités morales et psychologiques :** elles sont les éléments indivisibles de la performance car situées dans la tête des pratiquants. La personnalité, le niveau de connaissances générales, la motivation, la volonté, la résistance au stress, l'acceptation de la douleur, le désir de réussite.
- **L'entrainement :** les différents principes d'entrainement, les objectifs, les tests, la planification à court et long terme.
- **Les facteurs favorisant la performance** : l'alimentation, la fatigue, les conditions matérielles, l'échauffement, le suivi médical, l'insertion sociale.
- **L'environnemen**t : Le cadre de vie, les conditions de vie, le niveau de connaissance scientifique de l'entraîneur, le contexte de prestation (altitude, niveau de la mer, importance médiatique)
- **La gestion** : c'est l'organisation par l'entraîneur de toutes les composantes de la performance, dans leurs inter-relations et en harmonie. Ce travail repose sur une analyse globale de l'entraîneur dans une relation privilégiée avec l'athlète, c'est la relation entraîneur- entraîné.

La performance du sportif est donc le produit d'une multitude de facteurs.

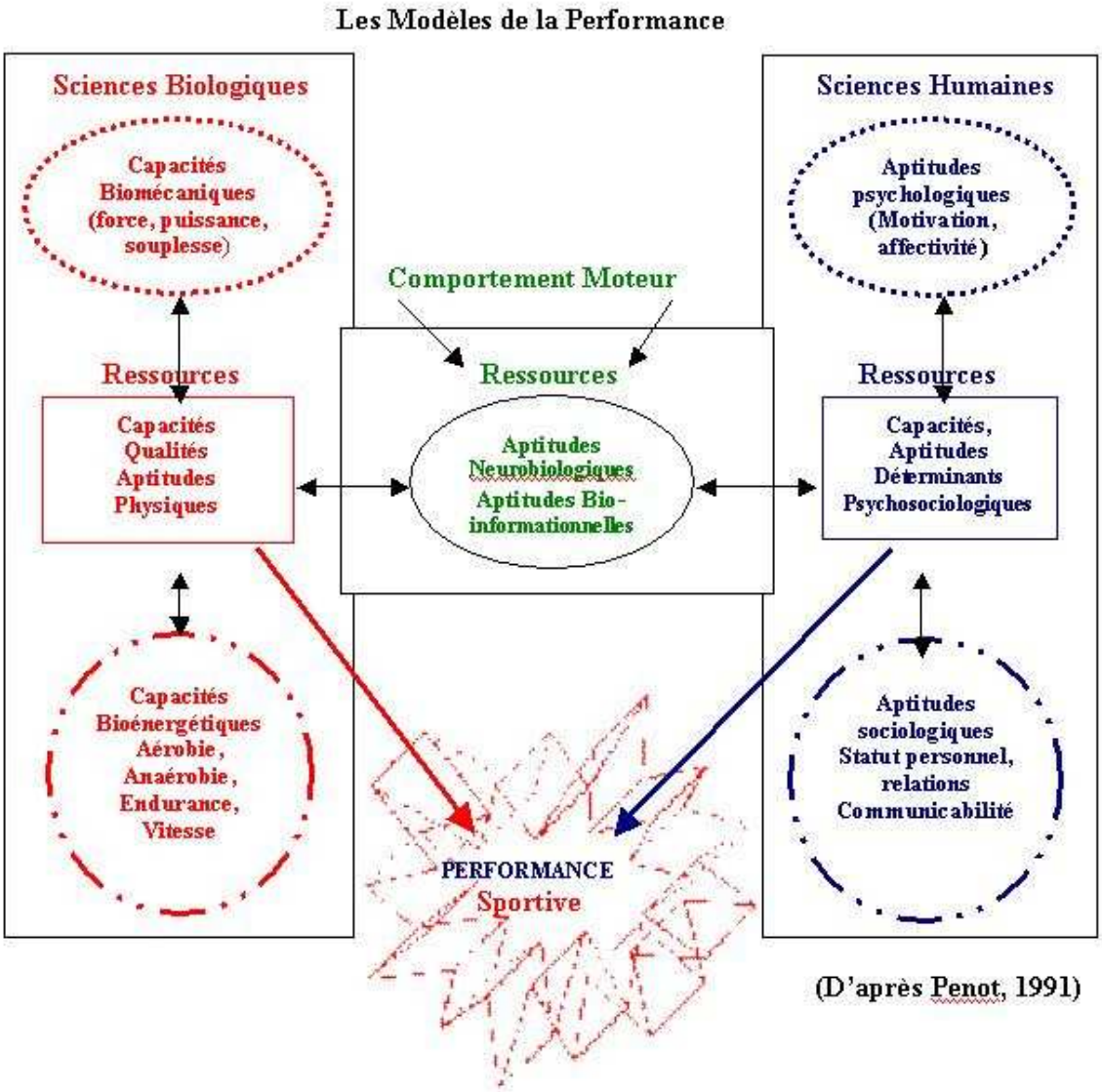

Bio-informationnel (Le système Nerveux - La fonction de Régulation)
BioMécanique (La fonction Motrice-Le système Osseux -Le système Musculaire- Le système Articulaire)
Bio-Energétique (La fonction Circulatoire -La fonction Respiratoire- La fonction Digestive - La Fonction d'Excrétion)

Au départ le flux biologique de l'énergie

L'approche physiologique permet de connaître, dans ces situations par quels mécanismes l'organisme s'adapte à l'effort et fournit l'énergie nécessaire à sa réalisation ; elle donne les moyens d'entretenir ou d'améliorer les qualités requises pour pratiquer une activité donnée. Elle permet de savoir comment l'organisme transfère l'énergie chimique contenue
dans la nourriture en énergie mécanique et en énergie thermique

Toute l'énergie qui existe dans la biosphère provient du soleil, elle nous parvient sous forme de lumière (Energie lumineuse). Les millions de plantes vertes de notre planète transforment une partie de cette énergie en énergie chimique. Celle-ci est utilisée par les plantes vertes pour construire les molécules organiques (glucides, lipides, protéines) à partir du bioxyde de carbone (**CO2**), de l'eau (**H2O**) et de l'azote (**N2**). Ce processus s'appelle « la photosynthèse ». L'homme se nourrissant de plantes et d'animaux pour subvenir à ses besoins alimentaires, dépend donc directement des plantes et par le fait même du soleil pour assurer son énergie.

Nous savons maintenant que les mouvements s'effectuent grâce à la transformation de l'énergie chimique des **aliments** qui deviennent des **nutriments** puis des **substrats alimentaires** et produisent de l'énergie mécanique.

Cette transformation est intra-musculaire.

Le sang : lieu de transport et d'échanges

Le corps humain contient **plusieurs milliards de cellules** de divers types. Cinquante millions de ces unités meurent à chaque seconde, mais elles sont remplacées constamment.

C'est par le sang canalisé dans les vaisseaux sanguins(veines et artères) et propulsé par la pompe cardiaque que les cellules musculaires viennent prendre **l'oxygène** nécessaire à la vie au niveau des **alvéoles pulmonaires**, viennent prendre les aliments et l'eau au niveau du tube digestif. Ensuite c'est encore par le sang qui traverse tous les organes et tous les systèmes que se font les échanges et l'élimination des déchets.

Pour Essayer de comprendre

Lorsque l'on fait n'importe quel effort (nager, courir, jardiner,) on constate que la respiration et le cœur s'accélèrent. Ces adaptations ne sont que la conséquence de l'élévation des besoins en énergie des muscles sollicités par l'exercice. En grande majorité cette énergie provient d'une **combustion** qui a lieu dans le muscle. Comme dans toutes combustions, ces **carburants** ne pourront brûler longtemps sans l'apport de l'oxygène (O2), l'oxygène devient alors le **comburant** de la combustion. Selon l'intensité et la durée de l'exercice, la combustion pourra utiliser différents « carburants » que l'on trouve soit :

- Dans le muscle
- Transportés par le sang

1. ***Pour les longs exercices de faible intensité, le carburant est constitué d'un petit % de glucides et d'un grand % de lipides qui en constitue pratiquement***

l'essentiel.

2. ***Lorsque la vitesse et l'intensité augmentent d'une manière progressive le pourcentage de lipides diminue et le pourcentage de glucides augmente.***

TRAVAIL MUSCULAIRE

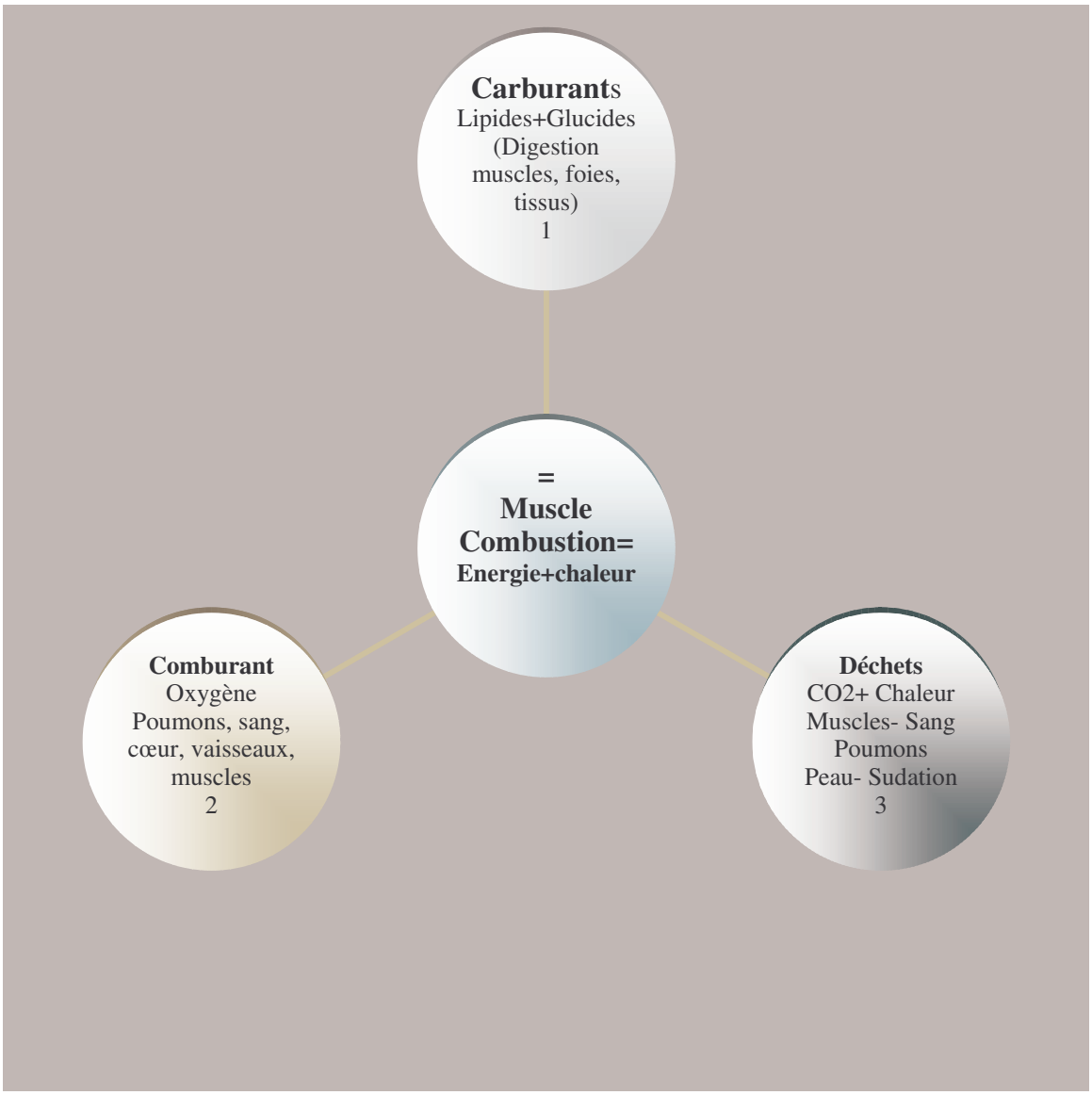

3. ***Lorsque l'on fait de la vitesse longue mais à intensité maximum c'est en consommant uniquement les glucides et surtout le glycogène que l'on va tenir dans cette voie.***

4. Pour réaliser des séances où la vitesse est au maximum mais durant seulement quelques secondes c'est dans le muscle que l'on va trouver le carburant appelé la

Créatine Phosphate.

Manger pour produire de l'énergie

Digestion

Les **aliments** que nous ingérons ne sont pas directement utilisables au niveau cellulaire. Ils sont principalement composés de **carbone(C)**, **d'hydrogène (H)** et **d'oxygène (O2)**. Un des buts de la digestion est de casser les molécules complexes afin de les rendre plus assimilables à l'organisme (sous **forme de substrats**) et d'utiliser l'énergie en la stockant dans une molécule dont le nom est **l'adénosine triphosphate (ATP)**.

L'**ATP** est une molécule composée d'**adénine**, de **ribose** qui sont rattachés à 3 groupes phosphates. Cette **ATP est présente dans la fibre musculaire**. Pour simplifier on peut dire qu'une énergie est libérée quand le dernier phosphate se détache de la molécule d'ATP

= ADP + Pi + Energie ⇨ EM

ADP = Adénosine di-phosphate/ **Pi** = phosphate/ **EM**= Energie musculaire

Ce substrat (l'**ATP**) est présent en toute petite quantité dans le muscle. Il ne peut maintenir une **contraction musculaire plus de 3 secondes**. **L'ATP** est le seul substrat que la fibre musculaire peut utiliser pour fonctionner.

Il est donc nécessaire que d'autres sources d'énergie permettent la resynthèse permanente de **l'ATP** pour un travail musculaire continu.

Les cellules synthétisent l'ATP par 3 processus :

La voie Anaérobie qui ne fait pas intervenir l'O2

1) Le système ATP-CP
L'ATP est renouvelé grâce à l'énergie fournie par la réserve cellulaire de CP. C'est un processus anaérobie ***alactique***

2) Le système glycolytique
C'est un nutriment énergétique, le **glucose** (apporté par la digestion des aliments) qui produit l'énergie nécessaire à la resynthèse de **l'ATP**. C'est un processus ***anaérobie lactique***

La voie Aérobie qui fait intervenir l'O2

3) Le système oxydatif
Ce système fait appel à l'oxydation des nutriments (glucides, lipides, protéines) en présence de l'O2 pour la production d'énergie nécessaire à la resynthèse de l'**ATP**. C'est un processus ***aérobie***

1) Le système ATP-CP (Créatine-Phosphate)

C'est le système le plus simple et le plus rapide pour renouveler l'**ATP** à partir d'un ***composé énergétique présent dans les cellules***, c'est un processus **Anérobie Alactique**. Cette molécule est appelée la **Phospho –Créatine (PC) ou Créatine Phosphate**. Ce système correspond à des efforts brefs mais intenses comme **la vitesse**.

Ce processus est rapide et ne nécessite pas la présence d'oxygène (**ANAEROBIE**) de plus il est **ALACTIQUE** (faible production d'acide lactique). Durant les premières secondes de l'exercice musculaire à intensité maximale (sprint), la quantité d'ATP est maintenue à un niveau relativement constant. Mais au bout de 7 secondes à effort maximal, les niveaux d'**ATP** et de **CP** deviennent trop faibles pour permettre d'assurer des contractions. musculaires. Au-delà de cette période, les muscles doivent utiliser d'autres procédés pour continuer la couverture énergétique.

La forme d'effort privilégié de ce système ATP-CP : la Vitesse

2) le système glycolytique

Un autre moyen de production de l'ATP implique la libération d'énergie par la dégradation du glucose qui représente 99% des sucres circulant dans le sang, ce procédé est appelé glycolyse. C'est un processus **Anaérobie Lactique.**

Ce glucose provient de la digestion des hydrates de carbone et de la dégradation du glycogène hépatique. Au repos le glucose est pris en charge par le muscle et le foie qui le transforme en glycogène musculaire. Celui-ci à l'avantage de pouvoir être stocké et dégradé à la demande. La forme d'effort privilégié de ce système : **la résistance**.

Cette production d'énergie se déroule dans le sarcoplasme musculaire. La fourniture d'énergie est importante mais de durée relativement courte (de 30 secondes à intensité max à 2' pour une intensité moindre. L'apport de l'oxygène est insuffisant **(anérobie)** ce qui par un schéma complexe, transformera l'acide pyruvique en **acide lactique**.

La présence d'une quantité importante de lactates (acide lactique) dans le sang va perturber l'homéostasie (baisse du Ph dans le sang) et l'exercice devra etre interrompu
(Courbature dans les jambes, les bras lourds, etc)

La forme d'effort privilégié de ce système : la Résistance

3) le système oxydatif

Le dernier système cellulaire de production d'énergie est le système aérobie (oxydation des nutriments). Cette réaction se produit dans les **mitochondries** « véritables usines à oxygène » situées dans la fibre musculaire. La présence d'O2 (**voie aérobie**) permet un fonctionnement d'intensité modérée mais de très longue durée. **Cette dégradation des glucides, des lipides** et **de quelques protéines par voie aérobie** s'accompagne d'une production de « résidus » ayant peu d'influence à court terme sur la fatigue :

- De l'eau **(H20)**⇨ sueur éliminée
- Du gaz carbonique **(CO2)**⇨ éliminé dans la respiration

Ce sont les muscles et foie qui stockent environ l'équivalent de 2000 Kcal sous forme de glycogène. Pour les efforts de longue durée (45 mn minimum) ce sont les lipides qui interviennent en particulier.

La forme d'effort privilégié de ce système : l'Endurance

Capacité et Puissance

Chaque filière énergétique peut être caractérisée par une Capacité qui permet une durée de fonctionnement (indépendante du débit) : plus l'exercice est puissant, moins longue est la durée de fonctionnement et inversement.

①**La capacité** : c'est la quantité totale (**contenance**) d'énergie disponible dans le réservoir

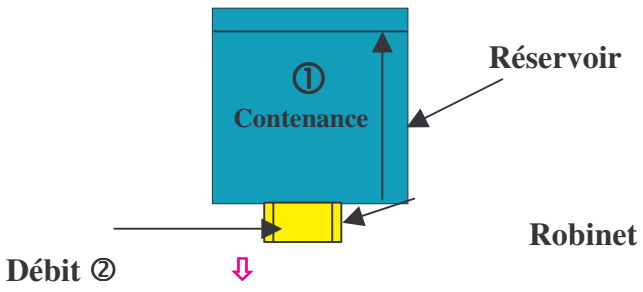

②**La puissance** : c'est la quantité maximale d'énergie utilisable par unité de temps (débit du robinet)

Chaque système possède :

- Une capacité
- Une puissance
- Une durée égale à : **Capacité / Puissance**

Ces deux notions ont des répercussions directes sur l'entraînement. L'éducateur de par ses choix d'exercices de travail, devra monter le niveau de chaque système pour qu'il fournisse le maximum de puissance le plus vite possible et le plus longtemps possible.

Il devra organiser son entraînement dans le but, non seulement d'optimiser le rendement d'une filière, mais en jouant sur les paramètres de récupération, intensité et durée.

Résumé des caractéristiques essentielles des différentes filières énergétiques
D'après M.Pradet (1989)

	Anaérobie Alactique	Anaérobie Lactique	Aérobie
Substrats	**ATP CP**	**Glucides (glucoses et glycogène)**	**Glucides Lipides Protéines (faible %)**
Délai d'efficacité maximum	Nul	20 à 30 secondes	1 à 3minutes
Puissance	Très élevée + + + +	Elevée + +	Dépend du VO2 max
Temps d'épuisement à puissance maximale	2 à 3 secondes	25 à 40 secondes	3 à 15 mn
Capacité	Très Faible +	Faible +	Illimité + + + + +
Temps d'épuisement de la capacité (réserve)	Entre 7 et 20 secondes	2 minutes	Dépend du % du VO2 max utilisé
Facteurs limitants de l'exercice	Puissance : système enzymatique et neuro-musculaire. Capacité : baisse de la concentration des réserves de CP	Puissance : enzymes de la glycolyse anaérobie et nombre de fibres rapides Capacité : Baisse du pH musculaire	Puissance : fatigue musculaire locale Capacité : chute du taux du glycogène

RESUME

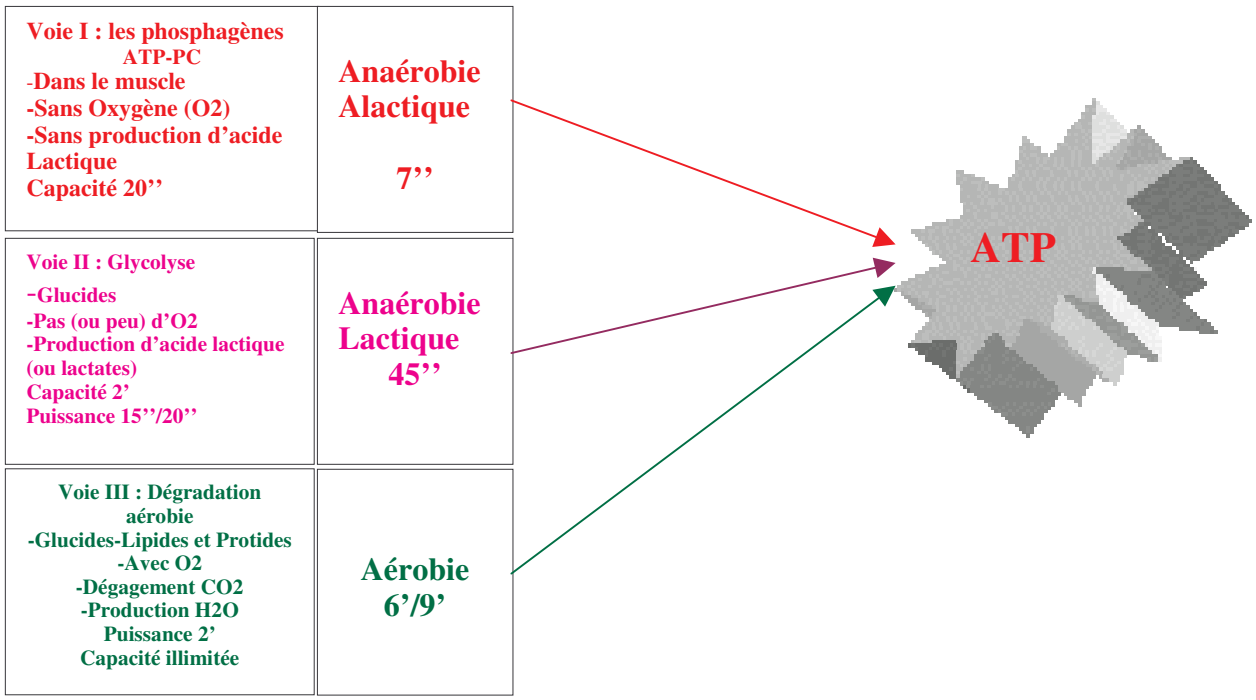

Evolution de la fourniture d'énergie dans le temps

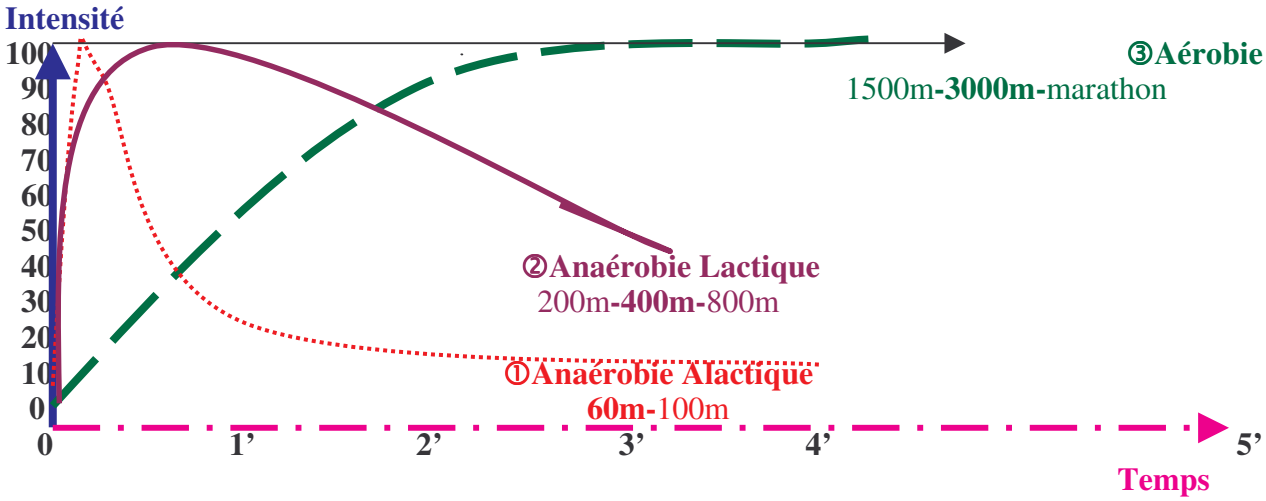

L'interprétation de ces trois courbes montre que :
Les voies 1, 2, 3 n'interviennent pas successivement elles se chevauchent progressivement par différents processus par ordre. Elles ont un démarrage immédiat, par contre elles ont des délais d'interventions différents et leurs possibilités sont étalées dans le temps.

Rappel sur les volumes respiratoires

Les mouvements respiratoires consistent à renouveler l'air des poumons. Ils se produisent rythmiquement et alternativement. On distingue l'inspiration et l'expiration.

- **L'inspiration** correspond à la dilatation de la cavité thoracique, à l'entrée de l'air atmosphérique dans les poumons.
- **L'expiration** correspond au retrait de la cage thoracique, donc à l'expulsion de l'air intra pulmonaire. Ces mouvements sont possibles grâce à la mobilité de la cage thoracique et à l'élasticité pulmonaire.
- **La ventilation pulmonaire (VP)** correspond à la **fréquence respiratoire (FR)** de 10 à 12 mouvements /minute. Cette fréquence varie suivant l'activité (travail musculaire, sommeil) ou les émotions.

Les volumes respiratoires

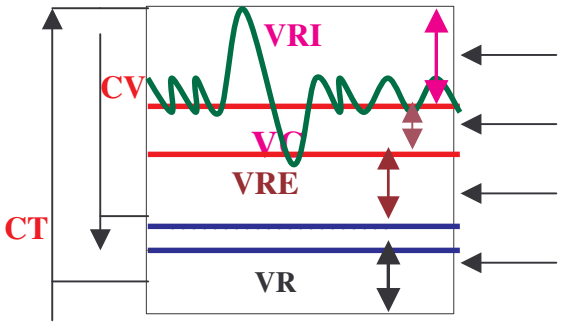

2 Litres : VRI (Volume de réserve inspiratoire)

0,5 Litres : **VC** (Volume courant)

1,5 Litres : VRE (Volume de réserve expiratoire)

1,5 Litres : VR (Volume résiduel)

Les volumes sont mesurés par spiromètre, on mesure 4 volumes :

1. **Le volume courant de 0,5 L. Volume d'air pour une Respiration calme (VC).**
2. **Le volume de réserve inspiratoire de 2 L.Volume d'air supplémentaire dans une inspiration forcée (VRI).**
3. **Le volume de réserve expiratoire de 1,5 L. Volume d'air évacué lors de l'expiration forcée (VRE).**
4. **Le volume résiduel de 1,5 L.Volume d'air non expulsé et qui reste en permanence dans les poumons (VR).**

Les capacités respiratoires

Deux capacités qui représentent l'ensemble des différents volumes :

1. **La capacité vitale (CV). Elle représente l'ensemble des volumes. Elle représente normalement entre 4 et 5 L.**
2. **La capacité totale (CT). C'est la somme de tous les volumes pulmonaires, elle peut atteindre 6 L.**

L'adaptation fonctionnelle à l'effort

L'exercice physique entraîne une **modification** du rythme et de l'amplitude de la **ventilation pulmonaire** qui est 6 litres environ au repos (10 à 12 mouvements x 0.5 litres du volume courant).

La demande en **oxygène devient plus importante** au **niveau des cellules musculaires** qui participent à l'effort. Au début de l'exercice, il y a augmentation de l'amplitude et de la **fréquence des mouvements respiratoires**. Cette élévation croit au fur et à mesure de l'augmentation d'intensité de l'exercice musculaire. Si cette **intensité qui était pénible au début devient modérée**, les rythmes respiratoires et circulatoires se stabilisent : il a **équilibre** entre la **consommation** et les **apports d'O2**. C'est un état stable, il correspond à la notion de second souffle ou l'effort paraît facile (ex : **footing).**

En revanche plus l'athlète soutient un effort intense, plus le débit augmente (***le volume courant peut aller jusqu'à 3,5 litres et la fréquence augmenter jusqu'à 45 voire 70 mouvements/mn ce qui peut donner de 120 à 200litres d'O2 par minute***). Au moment ou **l'exercice atteint des limites** pour lesquelles tout l'oxygène disponible au niveau musculaire est utilisé, on dit que l'athlète a atteint sa puissance maximale aérobie **(PMA**). La **PMA s'exprime en Watts** et indique la puissance de l'intensité d'effort correspondant aux possibilités maximales de l'athlète pour **livrer de l'oxygène** à ses muscles avec un fort débit (**VO2 Max**).

Les physiologistes disent que l'athlète a atteint son **VO2 Max** (débit maximum d'oxygène) **entre 6mn et 7mn à** la vitesse maximale aérobie **((VMA). La Vma s'exprime en km/h. Cette donnée est obligatoire pour réaliser des plans d'entraînement individualisés.** Le **VO2** max est une qualité déterminée par le patrimoine génétique, il est plus important chez les garçons que les filles. On peut développer le **VO2 Max** de 15 à 30 % surtout durant la période pubertaire et cela jusqu'à l'age de 25 ans. Cela s'évalue en millilitre d'oxygène par kilogramme de muscle et par minute (ml/mn/kg) en laboratoire ou sur le terrain. Chez le sportif de haut niveau on peut trouver des valeurs de **80 ml/mn/kg**, alors que le sédentaire atteint difficilement **46 à 50 ml/mn/kg**.

Malgré cet état critique pour l'athlète à **VO2 Max**, celui-ci peut augmenter encore son intensité (le sprint dans la ligne droite dans un 3000m) en faisant appel à ses processus anaérobies. Cela entraînera une lactatémie importante et créera une importante **dette d'O2**, qu'il devra payer durant sa récupération.

Bien sûr ce stade provoque l'essoufflement avec arrêt de l'exercice.

La dette d'Oxygène

Au cours de la période de récupération, la demande énergétique est considérablement réduite puisque l'exercice est terminé. Par contre, la consommation d'oxygène **(VO2**) demeure relativement élevée pendant une période dont la durée dépend de l'intensité de l'exercice.

La différence entre le volume (VO2) de la récupération et le volume (VO2) de repos s'appelle la dette d'oxygène (O2).*Hill (1922*).

Il est aisé de constater que les valeurs respiratoires et cardiaques à la fin d'un effort, quel qu'en soit le type, ne reviennent que progressivement à leurs valeurs initiales.

Cette récupération lente signifie que la consommation d'oxygène retourne lentement à sa valeur de départ. La dette d'O2 se définit comme la quantité d'O2 consommée en excès pendant la période de récupération par rapport à la période de repos :

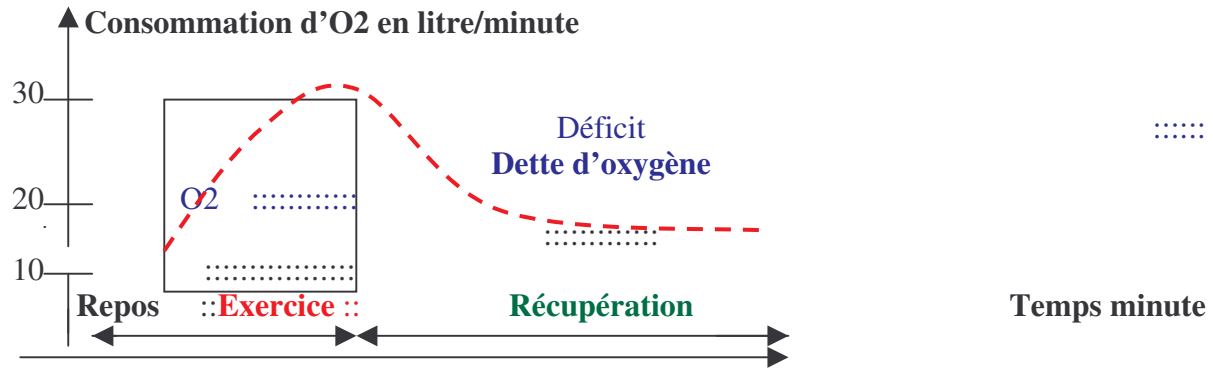

L'athlète ayant fonctionné en manque d'oxygène au début de l'effort, emprunte une voie (processus) sans moyen de pouvoir durer. C'est le cas d'un client qui emprunte à la banque par besoin d'argent. Il devra alors rembourser cet emprunt à un taux supérieur à celui de départ : la dette est plus importante que le déficit.

En effet, l'importance de cette dette d'O2 est fonction de **l'intensité** et de la **durée** de l'effort ayant entraîné ce déficit. Plus l'effort sera violent plus long sera le temps de récupération.

Resynthèse des réserves énergétiques au cours de la récupération

L'ATP-CP ou dette Alactique : représente un faible déficit d'O2. Le métabolisme de repos est retrouvé au bout de 3 à 5 minutes.

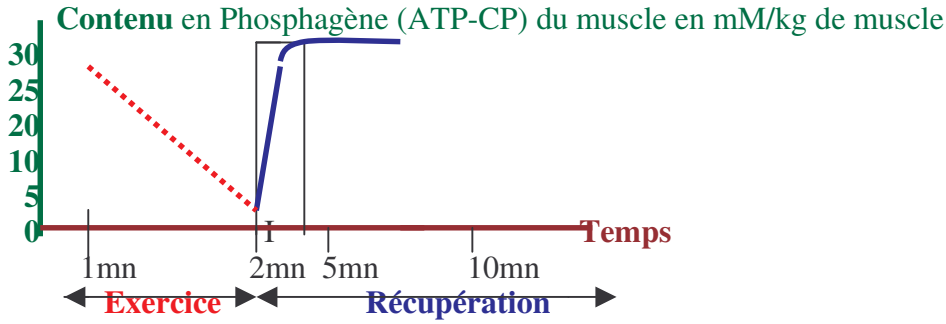

Quelle est l'utilisation de cette surconsommation d'O2 pendant la phase de récupération ?

Effort de type anaérobie alactique : l'excès d'O2 sert principalement à reconstituer les réserves de **phosphagènes (ATP-CP) plus de 84% de la créatine resynthétisée en 2 mn.**

Glycogène musculaire ou dette Lactique : Produite lors d'un exercice très intense, avec production importante de lactates. La dette est très importante et pour la resynthèse des composés énergétiques il faut une récupération très longue de 10 à 48 heures (voire 5 jours)

- Effort de type lactique : l'excès d'O2 sert notamment :
  1. à reconstituer les phosphagènes.
  2. à transformer l'acide lactique en glycogène, 88 % éliminé en 75mn de récupération.
  3. à retrouver une température corporelle normale.
  4. à satisfaire aux besoins en O2 des muscles respiratoires pour leur récupération.

Cette analyse de la dette d'O2 très importante pour l'entraîneur :

Dans la programmation d'exercice en **Puissance Anaérobie Ala**ctique ex :(60m, 80m, 100m) ou **aérobie** modérée (footing facile) la production de lactates est peu importante. Cela nécessite peu de récupération.

Dans la programmation d'exercice en **Capacité Anaérobie Alactique** répétition ex :(60, 80, 100, 120, 150,) L'entraîneur doit absolument organiser une récupération **complète** entre les séries si l'objectif est de travailler dans la voie ATP-CP. Cette récupération doit avoir une **Durée** (temps) et une **Nature** (passive- à l'arrêt) ou (active marche- footing).

Pour un entraînement dans la voie 2, avec une production importante de lactates **Puissance Anaérobie Lactique ex :**(250m-300m- 400m) la récupération doit être plus longue. De plus il est conseillé de faire une récupération active (petit footing de 15 à 20mn).
Dans le cas de la **Capacité Anaérobie Lactique ex :** (400-500-600-800) on peut travailler en fatigue lactique (récupération moindre) pour :
Habituer l'organisme à réaliser des séances avec une dose importante de lactates. Cela fait appel à la motivation car l'effort est d'une très haute intensité (à proscrire chez les jeunes).

Durées minimales et maximales de récupération suggérées à la suite d'un exercice maximal

Processus de récupération	Temps de récupération	
Rétablissement des réserves de phosphagènes du muscle ATP-CP (Sprint)	3mn minimum	5 mn maximum
Remboursement de la dette alactique (Sprint)	3mn	5mn
Resynthèse du glycogène musculaire	10h en continu 5h par intervalle	46h 24 h
Elimination de l'acide lactique dans le sang et les muscles	30mn récupération active 1h récupération passive	1h 2

L'ADAPTATION FONCTIONNELLE A L'EFFORT

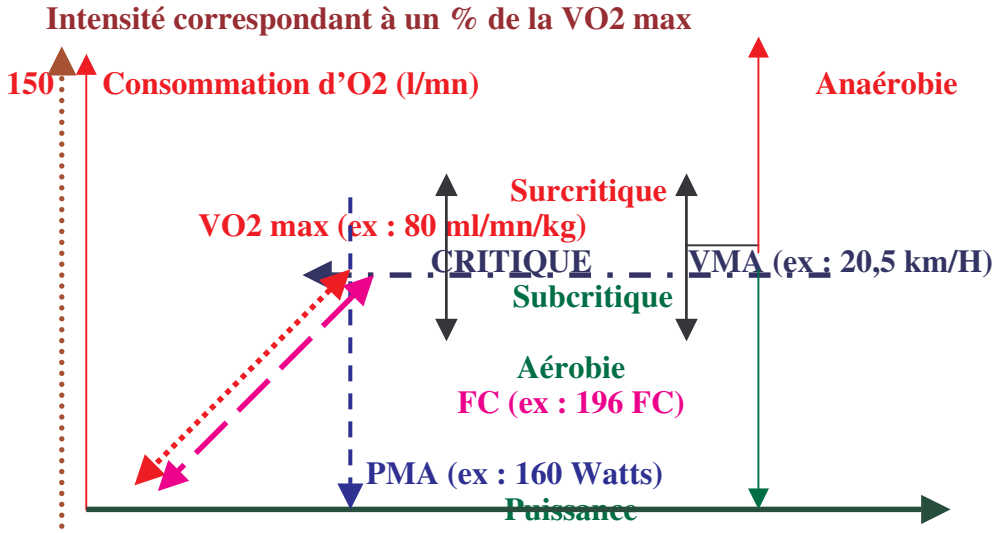

- **Le VO2 max (Volume d'oxygène maximum) il se mesure en millilitres par minute et par kg (ml/mn/kg). Si on augmente progressivement l'intensité d'un effort, la consommation augmente aussi jusqu'à un certain point. Au-dessus de ce point, toute nouvelle progression dans l'intensité de l'effort n'entraîne plus d'accroissement de l'absorption d'O2 : c'est le VO2 Max**

- **La PMA (Puissance Maximale aérobie) se mesure en Watts et indique la puissance à laquelle le VO2 Max est atteint.**

- **La VMA (Vitesse Maximale Aérobie) s'exprime en km/h, lors des tests de laboratoire ou de terrain. Donnée Fondamentale pour l'entraîneur, pour établir un programme d'entraînement individualisé.**

- **La Fréquence Cardiaque augmente de façon linéaire en fonction de la puissance de l'exercice tout comme la consommation d'O2. C'est une réponse cardiovasculaire à l'intensité de l'exercice.**

Pour comprendre la nature des exercices proposés sur le terrain, il faut connaître les caractéristiques des processus permettant la resynthèse de l'ATP : substrats utilisés, délai d'intervention, puissance (quantité maximale d'énergie susceptible d'être fournie par unité de temps), capacité ou endurance, facteurs limitant la puissance, facteurs limitant l'endurance, produit terminal des réactions, délai de retour de l'organisme à l'état de repos, etc …

La notion de VO2 max

Le volume maximal d'oxygène (VO2 max) correspond, durant l'exercice, à la quantité maximum d'oxygène consommée en une minute par l'organisme. Compte tenu du délai d'intervention de la filière aérobie, le VO2 max ne pourra être mobilisé que pour des efforts dépassant deux minutes.

Exprimé en litre par minute ou en millilitre par minute et par kilogramme de poids corporel, le VO2 max est essentiellement limité par le fonctionnement
Du système cardio- vasculaire et l'épuisement enzymatique (mitochondries) des fibres musculaires sollicitées. Sa capacité dépend de l'équipement génétique et de l'entraînement effectué avant 25 ans. D'un point de vue statistique le VO2 max est plus grand chez les hommes que chez les femmes.

La notion d'endurance

Appelée Capacité aérobie, la notion d'endurance exprime la possibilité de durer dans l'exercice à l'intensité choisie. La durée d'un exercice utilisant d'une façon préférentielle le système aérobie dépend du pourcentage de VO2 max utilisé et du niveau d'entraînement. A puissance maximale aérobie un sujet non entraîné s'épuise entre 4 et 6 mn, un sujet entraîne peut maintenir sa PMA sur 7 à 15mn.

La notion de seuil

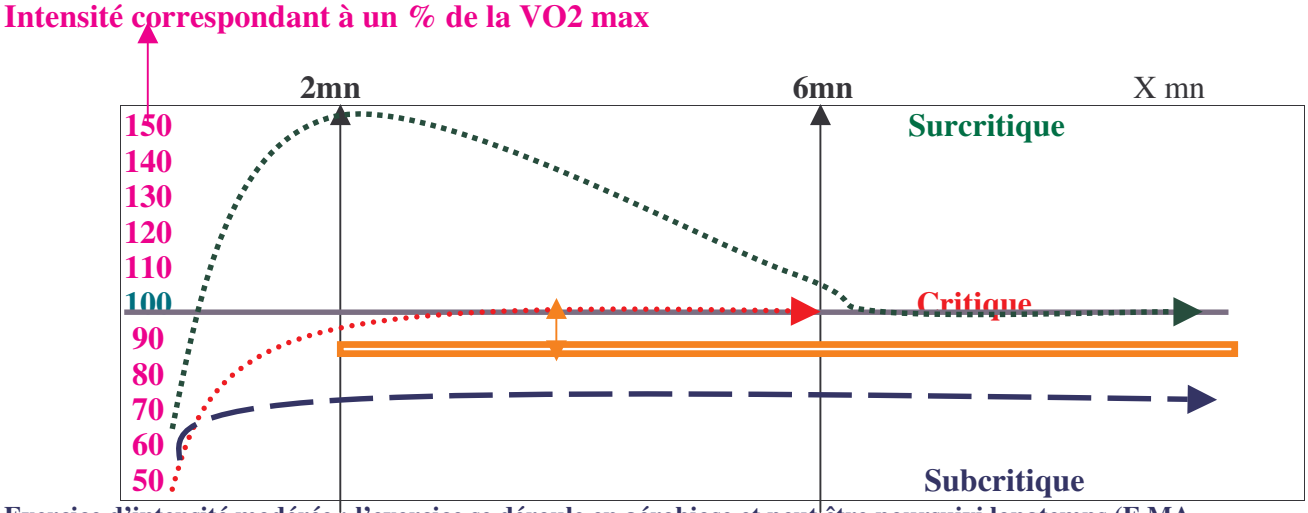

Exercice d'intensité modérée : l'exercice se déroule en aérobiose et peut être poursuivi longtemps (E.MA Endurance Maximale Aérobie).

Exercice d'intensité égale à la P.M.A : l'intensité de l'exercice devra diminuer pour que l'organisme continue de fonctionner en aérobiose.

Exercice d'intensité très élevée : l'énergie de source anaérobie est prédominante.

Zone de fonctionnement anaérobie

La notion de seuil aérobie et anaérobie

Lors d'exercices intenses, inférieurs à la P.MA., la concentration de lactates augmente pendant les premières mn de l'exercice (à environ 60% du VO 2 Max), les lactates commencent à apparaître. Ce stade correspond en partie à un apport énergétique anaérobique. Il a été fixé d'une façon purement théorique à une concentration sanguine de 4 mmol d'acide lactique. C'est le seuil anaérobie, qui bien sur se déplace avec le niveau d'entraînement.

Jusqu'à 60% de VO2 max (**seuil aérobie**), le taux de lactates reste faible (2mmol) et stable. C'est la zone d'endurance fondamentale de récupération. Vouloir entraîner la filière aérobie en dessous de ce seuil ne produit aucun effet.

Au-delà de 60% et jusqu'à 80% de la VO2 max, on accumule progressivement des lactates, mais on peut encore continuer l'exercice durant environ 30mn chez le sédentaire et 60 mn chez le sportif entraîné. C'est la zone de travail de la capacité aérobie (zone transitionnelle aéro-anaérobie). Le travail peut se faire par fraction de 20mn ou plus.

Vers 85% de VO2 max et 4 mmol de lactates **c'est le seuil anaérobie**. Toute augmentation de l'allure provoque une montée brutale du taux de lactates et réduit la poursuite de l'effort.

Au-delà du seuil anaérobie, c'est la zone de développement de la puissance aérobie. Le travail doit être fractionné avec des récupérations actives.

A 100% de la VO2 max, la consommation d'O2 est maximale. La durée de l'exercice varie selon le niveau de chacun, car l'accumulation lactique est importante.

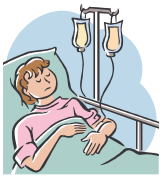

Indications générales pour l'entraînement

% Moyen de la VAM	% Moyen de la Fc Max	Durée et caractéristiques des exercices	Répercussions physiologiques
50 à 55%	**65 à 70**	**10 à 15' de course**	Récupération active Pour évacuer l'acide lactique après une séance dure
65 à 69%	**71 à 79**	**Durées longues**	Equilibre aérobie Echauffement avant entraînement Vitesse favorable pour les reprises d'activités de début de saison ou d'année scolaire. Développement peu efficace de l'endurance aérobie
70 à 79%	**80 à 89**	**Longues durées continues** **Course de fond**	Début de l'apparition de l'acide lactique sanguin Tendance aérobie recommandée pour travailler en début de saison Développement efficace de l'endurance aérobie

% Moyen de la VAM	% Moyen de la Fc Max	Durée et caractéristiques des exercices	Répercussions physiologiques
80 à 89%	**90 à 97**	**Courses par intervalles longs durée supérieures à 6' x 3, 4 Rc 2',3',4',5'**	Augmentation plus importante de l'acide lactique sanguin. Tendance anaérobie lactique Développement mixte endurance et puissance aérobie maximale
90 à 100%	**98 à FC Max**	**Courses par intervalles moyens : durée 2' à 4' x 4,6 Rc longue 2',3',4',5'**	Accumulation rapide de l'acide lactique A n'envisager qu'une fois par semaine. Non souhaitable chez l'enfant. Développement mixte puissance aérobie maximale et capacité lactique
+ de 100 à 120%	**FC Max**	**Courses par intervalles courts type 10''/20'', 15''/15'' 30''/30'' Sur une durée de 15' à 20' genre fartleck**	Sollicitation maximale de tous les systèmes qui permettent le transport de l'O2 Développement efficace de la puissance aérobie maximale sans production de lactates Développement de la capacité anaérobie alactique

Relation VO2/Vitesse/ Fréquence cardiaque

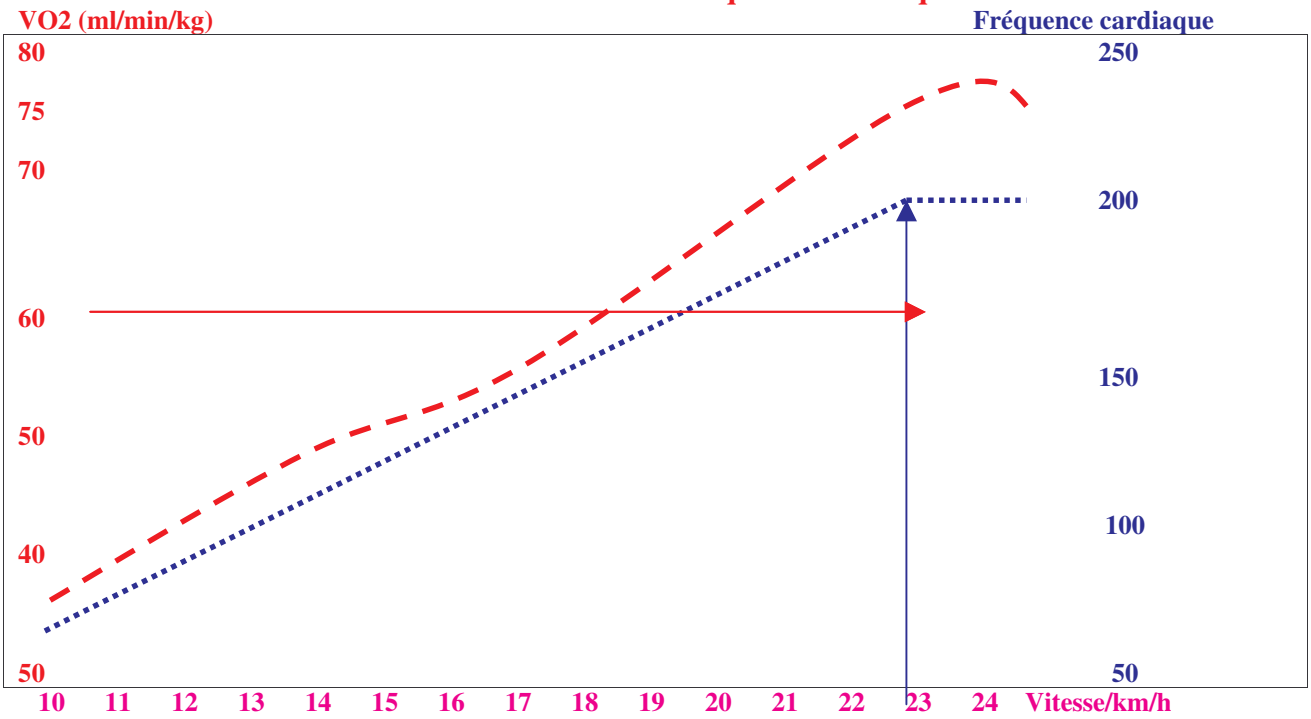

Relation consommation O2/Lactatémie/vitesse

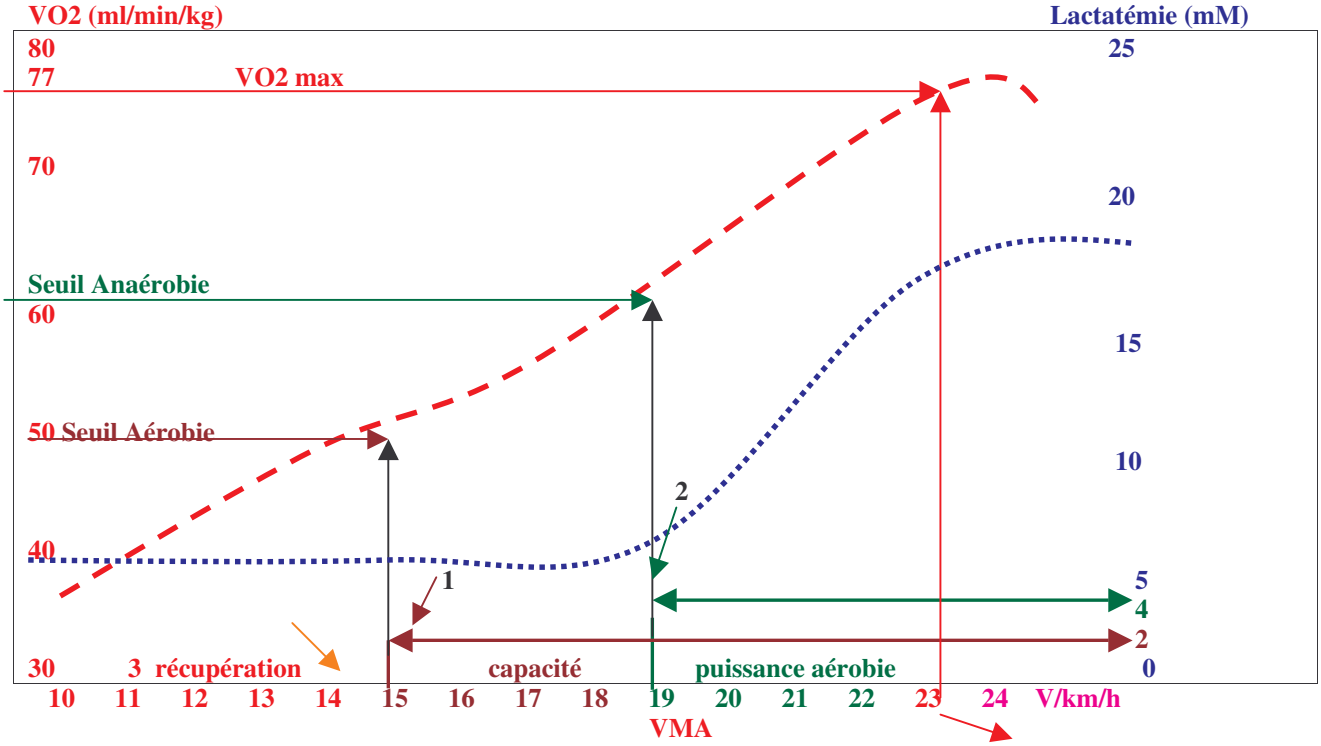

1 Seuil Aérobie : pour développer la capacité Aérobie (2mM)
2 Seuil Anaérobie : c'est la limite de l'acidose acceptable (travail par intervalles) 4(mM)
3 Récupération (échauffement, maladie, vacances)

LE SYSTEME CARDIO-VASCULAIRE

Le débit cardiaque

Introduction

Le cœur est une machine constituée de deux pompes accolées (le cœur droit et le cœur gauche). Chacun de ses cœurs est constitué de deux compartiments : l'oreilllette et le ventricule, séparés par une valvule qui permet ou non le passage du sang entre ces deux compartiments. La contraction s'appelle la systole (éjection du sang dans le circuit), le relâchement s'appelle diastole (remplissage du sang).

Au repos le cœur brasse environ 5 litres de sang à la mn. C'est le débit de repos.

Le débit cardiaque est une quantité exprimée en litres par minute ou millilitre par minute. Celui-ci répond à la formule suivante : **Débit = Fréquence cardiaque (FC) x le Volume de sang** éjecté à chaque systole (Volume d'éjection systolique) dans la grande circulation.

Au repos ce débit est égal à **65 Fc x 77 ml = 5,005litres de sang**.

Le cœur est autonome en ce qui concerne sa contraction, sa fréquence est de 70 battements /mn environ.

Le cœur reçoit deux types d'influences qui vont réguler cette fréquence fondamentale :

- ***Première influence***

Le système nerveux neuro-végétatif constitué des deux systèmes antagonistes : **Sympathique** et **Parasympathique**.

Le système sympathique, lorsqu'il est sollicité à l'exercice notamment, provoque une **augmentation de la fréquence cardiaque**. Le cœur peut accélérer jusqu'à une fréquence dite maximale qui dépend non du degré de forme ou d'entraînement mais de l'age du sujet.

Une formule théorique pour ce calcul : FC Max = 220 – l'âge en années (un sujet de 40 ans peut avoir 40-220 = 180 FCMax)

Le système Parasympathique, lorsqu'il est sollicité au repos notamment, a des effets inverses de ceux provoqués par le système sympathique**. Il ralenti le cœur**.

Il y a des différences de variations inter-individuelles importantes entre les différents sujets. La femme bat légèrement plus vite que l'homme.

- ***Deuxième influence***

A l'exercice, certaines hormones (comme l'adrénaline) et l'élévation de la température du corps provoquent l'augmentation de la fréquence cardiaque.

Le cœur et ses réactions immédiates à l'exercice

Modification de la fréquence cardiaque

Avant l'exercice, la fréquence cardiaque augmente de façon anticipée (l'émotion ressentie par le pratiquant).

La fréquence cardiaque ***durant l'exercice*** augmente rapidement (phase d'accrochage cardiaque), pour ensuite se stabiliser progressivement si l'intensité de l'exercice est inférieure ou égale à la PMA. Si celle-ci est supérieure à la PMA, la fréquence augmente, atteint son maximum et s'y maintient jusqu'à la fin du travail.

A ***l'arrêt de l'exercice***, la fréquence décroît en deux temps : d'abord rapidement (20 à 35 secondes) puis beaucoup plus lentement. La première phase correspond au « décrochage cardiaque ». La seconde phase correspond au paiement de la dette d'O2 contractée pendant l'exercice (voir les courbes de Valérie et de Julien

Effets de l'entraînement sur le coeur

Modification de la fréquence cardiaque :

La fréquence cardiaque maximale serait à l'exercice plus basse chez les entraînes que chez les sédentaires. (Même âge).

La fréquence de repos baisse sous l'effet de l'entraînement. Cela est dû à l'augmentation du volume des cavités cardiaques (volume d'éjection systolique). Pour une même Intensité d'exercice de type aérobie, la fréquence cardiaque d'un sujet entraîné se stabilise plus facilement et à un seuil plus bas que celle d'un sédentaire. Le retour à la normale (fréquence de repos) se fait plus rapidement chez le sujet entraîné.

Effets de l'entraînement sur le Volume d'éjection systolique (V.E.S.)

La masse et le volume augmentent avec l'entraînement de type aérobie. Cette Hypertrophie cardiaque est une adaptation normale, caractérisée par une augmentation du volume de la cavité et un épaississement de ses parois. Chez les sujets entraînés le V.E.S. peut atteindre 200 ml Cette valeur entraînera un débit cardiaque maximum important et donc une VO2 MAX 2 élevée, d'où l'importance de commencer par un travail aérobie de 150 à 160 FC, avant d'attaquer un travail plus important.

La fréquence cardiaque est pratiquement le seul indicateur physiologique qui est utilisable sur le terrain pour renseigner sur l'intensité de l'exercice.

Relation entre la fréquence cardiaque et la consommation d'O2

- Un sujet qui est à sa fréquence cardiaque maximale (débit cardiaque) atteint son volume d'oxygène maximal (VO2 max) ou livraison d'O2 max.
- 120 Pulsations/minute correspond à un niveau d'activité faible, mais le volume d'éjection systolique est lui à son maximum. Ce qui est certain c'est que l'on ne peut pas développer la

fonction aérobie à cette fréquence, il faudra travailler dans des zones de 150 FC/mn pour être efficace.

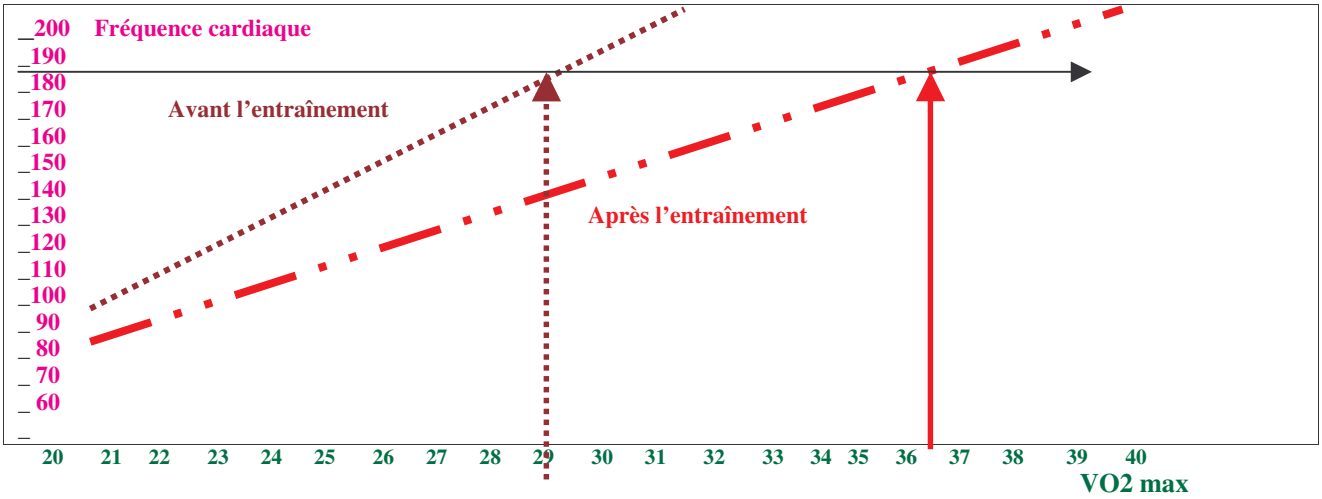

Relation linéaire entre la fréquence cardiaque et la consommation.
10 semaines d'entraînement aérobie pour un sujet de 20 ans.
C'est entre 40 et 50% du VO2 max que le volume d'éjection systolique atteint sa valeur maximale. A cette intensité la fréquence cardiaque est de 120 puls/mn, ensuite il se maintient à un niveau identique même si l'intensité augmente.

Le devenir de l'acide lactique

La glycolyse anaérobie entraîne la production de lactates, déversées dans le sang, perturbant ainsi l'équilibre du milieu intérieur (pH) et entravant la contraction musculaire.
On a longtemps pensé que l'acide lactique était un « déchet toxique » qu'il fallait vite éliminer, ou en produire le moins possible. Mais on peut le voir aussi comme un indicateur du potentiel anaérobie lactique.

Chez le sportif, la concentration d'acide lactique, débute après 1mn à 3mn d'effort intense. Il déséquilibre l'homéostasie. Il doit être tamponné, éliminé. Les lactates pouvant être réutilisés Comme ATP soit comme glycogène.

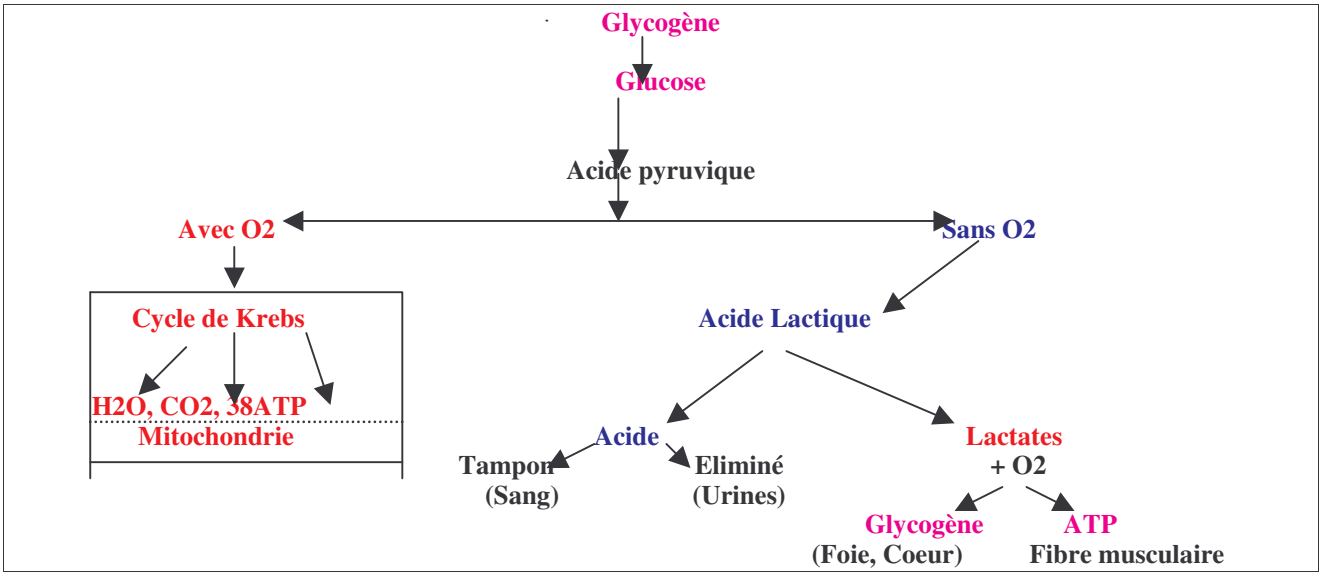

La partie **Acide** est absorbée par des substances tampons contenus dans le plasma sanguin.
Ce tamponnement évite une élévation trop rapide de l'acidose sanguine, maintenant ainsi un pH du sang constant.

La partie **Lactates** (avec une structure moléculaire identique au sucre) sert de carburant au myocarde. Elle est stockée sous forme de glycogène dans le foie. En présence d'O2 elle sert à la resynthèse de l'ATP.

La Surcompensation

Les réserves énergétiques influencent le fonctionnement musculaire, de par leurs caractéristiques (délais d'intervention, capacité, puissance, facteurs limitants) elles permettent la resynthèse de l'ATP.

La récupération

La récupération est dépendante de l'effort. Elle se déclenche dès le démarrage de l'activité musculaire.

- Si l'effort est faible, les processus de resynthèse et ceux de dégradation s'équilibrent (marcher, courir lentement).
- Si l'effort est de grande intensité, les processus de dégradation dominent : l'effort ne peut être maintenu pendant une longue durée.
- Si l'effort est de très grande intensité, les processus de dégradation « noient » ceux de resynthèse et l'effort cesse rapidement.

Exigence et sollicitations énergétiques en course en % de la dépense totale

AEROBIE

Courses distances	% de la VAM	Acide gras	Glycogène+glucose	Glycolyse lactique	ATP-CP
100m	160/200			2	98
200m	150/200			4	96
400m	125/140		5	40	55
800m	120/125		5 à 8	62 à 65	30
1500m	101/111		20 à 25	50 à 55	25
3000m	95/100	5	40 à 45	35 à 40	15
5000m	86/95	15	50 à 60	15 à 25	10
10000m	85/90	30 à 40	45 à 55	5 à 10	5
Semi	78/85	48 à 58	35 à 45	5	2
Marathon	72/80	55 à 66	30 à 40	2	2

Le phénomène de surcompensation

Dès que l'effort s'arrête, les processus de synthèses prédominent sur ceux de dégradation. Ensuite les réserves énergétiques sont reconstituées à un niveau supérieur au niveau initial : ce phénomène est la **surcompensation**.

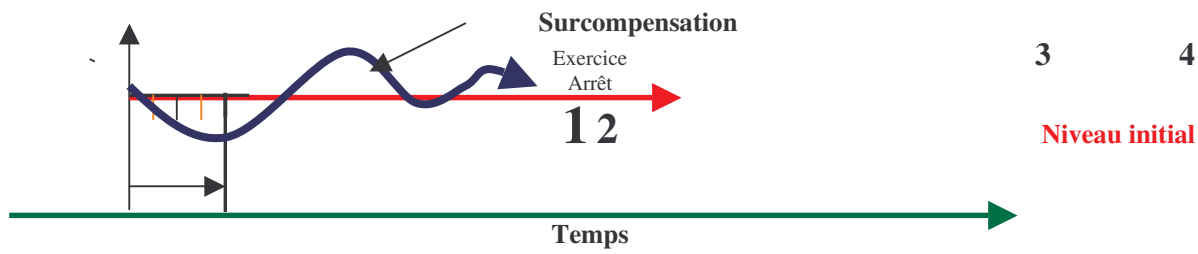

L'analyse de cette courbe démontre que :

- Une phase rapide de récupération (2/3) → 90% environ (avec effets immédiats).
- Une phase lente (4) pour restaurer les 10% restants (c'est la phase de récupération totale avec effets différés).
- La récupération est irrégulière.
- Plus on fatigue l'athlète en créant un déséquilibre dans son organisme, plus la récupération sera importante pour retrouver un nouvel équilibre.

Pour optimiser ce principe, l'athlète a tout intérêt à recommencer un nouvel effort lorsqu'il est en phase de surcompensation, car il possède un réservoir énergétique supérieur à celui de départ. C'est l'entraîneur qui est gestionnaire de la fatigue de son groupe.

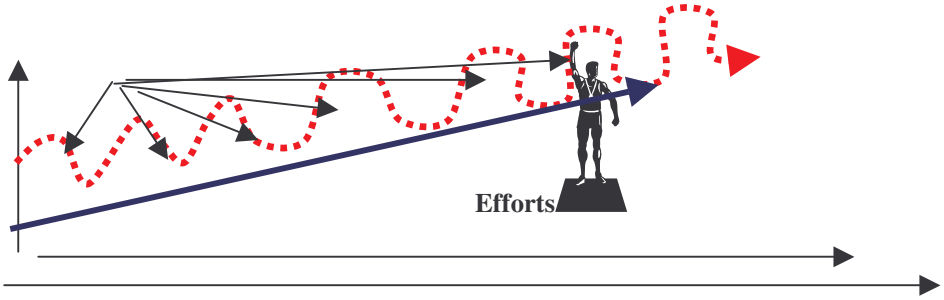

Augmentation du potentiel **Temps**

L'entraîneur doit absolument posséder de bonnes connaissances et une bonne maîtrise de ces phénomènes de surcompensation, pour bien répartir les différents efforts dans la séance, la semaine, le mois ou l'année. Car le risque serait de :

- N'avoir aucune amélioration du potentiel avec des charges d'entraînements trop espacées.

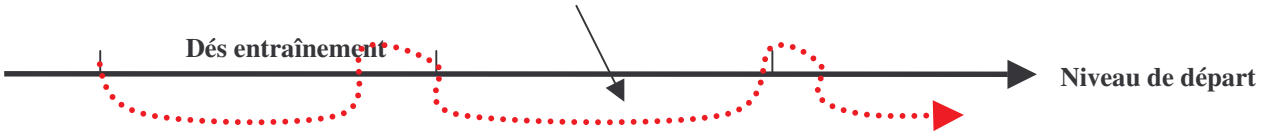

- Avoir une diminution du potentiel avec des charges trop rapprochées, car les périodes de récupération ne permettent l'installation de la surcompensation.

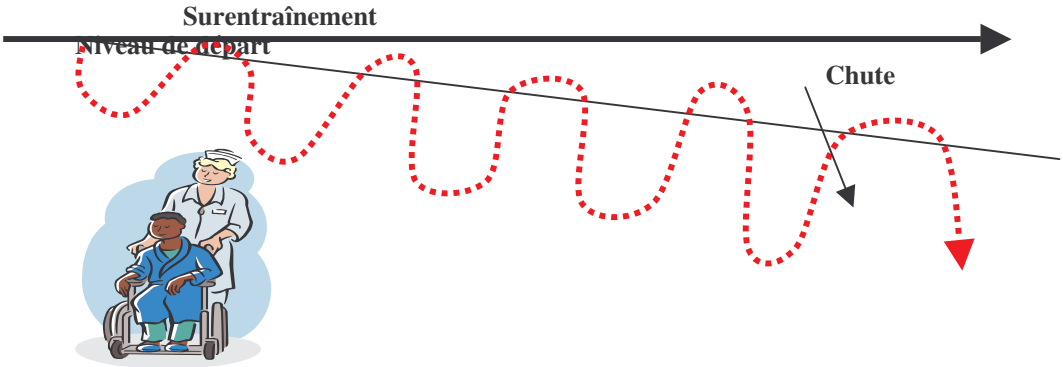

LES DELAIS DE SURCOMPENSATION

			Temps de récupération			
Qualités	% Effort	Substrats utilisés	minimum	Incomplet	90 à 95 %	Complètement
Anaérobie alactique	100% 100%	ATP PC	2 mn			Immédiate 5 mn
Anaérobie lactique		Glycogène Musculaire 1.ex continus 2.ex par intervalles	10 h 5 h		18 h	de 72 heures à 46h 24 h
Puissance aérobie	70 à 90 % PMA/VMA	Glycogène lipides,			12h	24h à36 h
Anaérobie		Glycogène			12 à 18h	48h
Force	100%	Elimination de l'ac.lacti 1.Réc active 2.Réc passive	30mn 1h	2 à 3h	18h	48h 1h 2h

Ces données sont très importantes, car elles représentent de manière chronologique la programmation des différentes séances.

Exercices visant au développement du potentiel aérobie

	CAPACITE	PUISSANCE			
TEMPS	20'⇨1H	12'⇨15'	6'⇨1O'	2'⇨4'	10''⇨20''
DISTANCES	36OOM⇨12000M	2500M⇨3600M	1400M⇨2700M	500M⇨12OOM	50M⇨120M 50M/80M
INTENSITES	Travail continu 60-70% VMA	70-80% VMA	80-90% VMA	90-100% VMA	110-120%VMA
VOLUME	Effort continu	3/6 Répétition	1 à 3 Répét	2X 3/4 Répét	5X 10 Répét
RECUPERATION	Après effort	10 à 12' actif	2 à 3' actif	20 à 40'' actif	5'' à 15'' actif
12/13 ANS	+++	++			+++
14/17 ANS	++	+++	++	+	
+ 18 ANS	+	++	+++	++	+

+ Approche/entretien
++ Entraînement
+++Dominante

☞**La surcompensation est fonction de** :
La durée et l'intensité des exercices de travail, la durée et l'intensité des temps de récupérations.
La fréquence des efforts durant la semaine, la période, la saison.

La surcharge : plus l'exercice épuise les réserves énergétiques, plus le niveau de surcompensation est élevé.
La récupération : prendre garde aux délais de restauration entre les charges (séances).

Classification des activités physiques en fonction de leur durée et de la puissance développée par rapport à la PMA

Types de performance selon la puissance P (relative à la puissance maximale aérobie : PMA)	Durées d'exercice (seconde, minute, heure) Substrats utilisés	Catégories de sports selon la puissance mise en oeuvre
Puissance explosive P = 10 x PMA	< 3''→ ATP Récupération = 3mn	1) Haltérophilie, hauteur, lancers, service au tennis, swing au golf.
Puissance anaérobie alactique P = 5 x PMA	8-10''→ATP-CP Récupération = 7mn	2) Sprints courts (60-100m) 25 m natation, 25 m sport collectif, saut de cheval en gym.
Puissance anaérobie lactique P = x 3 PMA	12-30''→ ATP-CP+Glucose (glycolyse anaérobie) Récupération = 10-15mn	3) Sprints longs (200) natation 50m, contre attaque en foot, enchaînements en gym (sol et appareils)
Capacité anaérobie lactique P = 2 x PMA	30''-2'→Glucose (glycolyse anaérobie) + oxydation. Récupération = 20- 40mn	4) Sprints prolongés (400m-800m) natation 100m-200m, slalom géant et descente en ski.
Puissance maximale aérobie P = PMA	2mn-6mn→Glucose (glycolyse anaérobie) +oxydation. Récupération 60mn-6 heures	5) Demi fond court (1500m) natation 400m.
Capacité maximale aérobie P = 0,9 x PMA	6mn-20mn→Glucose (glycolyse anaérobie) +oxydation. Récupération = 2heures pour 6mn d'effort→24 heures pour 20mn	6) Demi fond long (3000m-5000m) natation 800m.
Capacité aérobie II (seuil anaérobie) P = 0,7-0,8 x PMA	20mn-60mn→Glucose (glycolyse anaérobie) +oxydation. Récupération = 24-48 heures	7) Fond court (10000) natation 1500m, 5 km ski de fond, 45' de match intense au foot-ball
Capacité aérobie I P = 0,5-0,7 x PMA	60mn à plusieurs heures. Glucoses et lipides+oxydation. Récupération = 24 heures pour 60' d'exercice et 7 jours pour un effort type semi ou marathon.	8) Fond long (semi-marathon) natation 25 km, triathlon, cross country en VTT, ski de fond.

L'EVALUATION PHYSIOLOGIQUE DU PRATIQUANT

L'évaluation est une appréciation portée sur l'activité sportive et sur le pratiquant, selon des critères préalablement définis. Elle éclaire la décision de l'éducateur sportif dans de nombreux domaines : orientation sportive du débutant, détection du talent sportif, sélection du compétiteur, organisation et suivi de l'entraînement, etc.…

Quoi évaluer ?

Notre domaine dévaluation est centré sur la **performance sportive**. Elle est réalisée soit dans le cadre de l'entraînement, soit le plus souvent pendant une compétition. Elle résulte d'un ensemble de capacités physiques, psychologique, intellectuelles et sociales.

Quand évaluer ?

Nous pouvons définir trois temps différents dans l'évaluation :

1. ***Au début*** d'un processus d'apprentissage ou d'entraînement. C'est **l'évaluation Diagnostique**, elle permet de repérer les manques, les faiblesses. Elle pourra orienter le travail futur.
2. ***Au cours*** du processus d'entraînement. C'est **l'évaluation formative**, elle permet une vérification de la progression. Elle autorisera d'éventuelles corrections ou confirmant le travail accompli.
3. ***A la fin*** du processus d'entraînement. C'est **l'évaluation sommative**, elle fait la « somme » des acquis, du niveau atteint. Elle permet l'appréciation individuelle par rapport au groupe. Elle ne pourra pas faire place aux éventuelles corrections car elle est située en fin de cycle.

Comment évaluer ?

Evaluer consiste à recueillir des informations sur le résultat et l'activité du pratiquant, à interpréter ces données et ensuite prendre une décision.

Pour fonder ses décisions, l'entraîneur compare les informations issues d'une situation observée à ses critères de jugement.

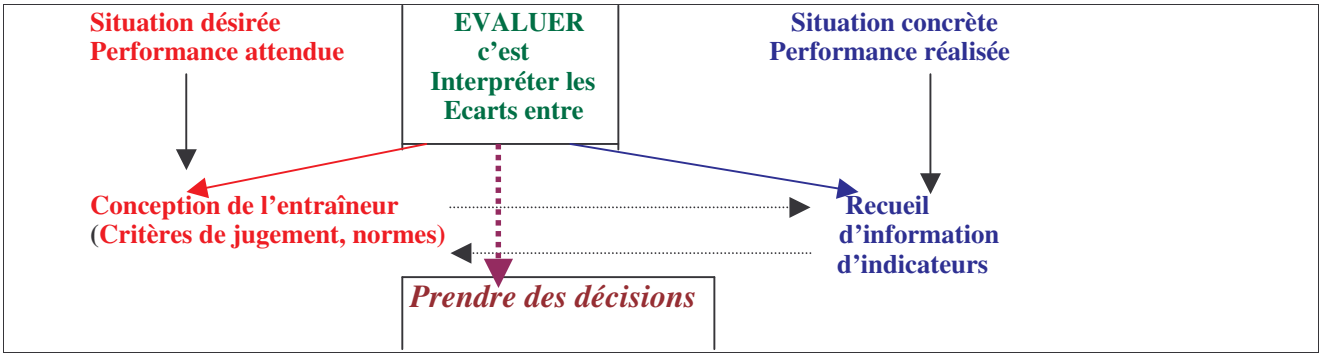

(D'après Hadji, 1989)

La situation concrète : Fournit les informations observables sur la performance du pratiquant (temps chronométré, nombre d'actions réalisées, saut mesuré, etc..)

La situation désirée : C'est un niveau de performance attendue ou d'habileté souhaitée ayant valeur d'objectif pour l'entraîneur et l'entraîné. Pour comparer ces performances, on fait appel aux tables de cotations, aux tests physiques, aux barèmes.

Pour évaluer, l'entraîneur dispose de tests et de situations d'observation. Les tests, confrontation du sportif à une tâche standardisée, ont pour objectif principal de « *comparer le résultat de l'individu testé aux résultats d'une population ou d'un groupe dont il fait partie* »
(Pierron, 1984). Cette évaluation est dite normative, car elle compare le sujet ou le groupe a lui même.

Ou évaluer ?

Il existe des tests de laboratoire et des tests de terrain. Les premiers, organisées en milieu hospitalier ou dans les structures spécialisées (I.N.S.E.P., CREPS) nécessitent un encadrement humain et matériel important. Cela concernent les athlètes de haut niveau ou les pratiquants à risque.

Le test de laboratoire

Un protocole rigoureux régit ce genre de test, c'est **une mesure directe** car effectuée en laboratoire. Les qualités de ces tests sont :

- ***La validité*** : ils mesurent avec précision la qualité physique ou la capacité
Physiologique du sujet.
- ***La fidélité*** : les mesures répétées, effectuées sur les mêmes sujets dans des conditions identiques, fournissent les mêmes résultats. Cela fiabilisent et crédibilisent ces tests.
- ***L'objectivité*** : les résultats sont indépendants de l'évaluateur.

On peut citer quelques tests de laboratoire :
⇨**Le test de force** : réalisé avec des capteurs ou appareillages de mesure de la force des différents mouvements des bras ou des jambes.
⇨**Le test de détente verticale** : s 'effectuent sur une plate forme de force (test de Bosco) qui indique la hauteur de CG de l'athlète au cours d'un saut vertical, la grandeur et la durée de l'impulsion. Ce test mesure la force des membres inférieurs.
⇨**Le test de force vitesse sur bicyclette ergométrique** : permet de mesurer la puissance anaérobie alactique d'un sujet. Celui-ci pédale (durant quelques secondes) avec la plus grande fréquence possible, la roue étant freinée par une résistance élevée.
⇨**Le test de Wingate sur bicyclette ergométrique** : mesure la capacité anaérobie lactique. Le sujet pédale le plus vite possible durant 30'', le pédalier offrant une résistance normée en fonction de l'âge.
⇨**Le test d'évaluation du métabolisme aérobie** : la consommation maximale d'oxygène du sujet est mesurée par l'analyse des échanges gazeux respiratoires. Cela soit au cours d'un exercice d'intensité progressivement croissante jusqu'à épuisement, soit par une suite d'exercices de plus en plus intense.

Les tests de terrain

Les résultats aux tests de laboratoire sont fiables mais nécessitent un matériel médical adapté et onéreux. De plus, bien que précis ils sont éloignés dans leur contenu des réalités sportive réelles. Aussi l'entraîneur leur préfère t'il les tests de terrain qui évaluent le sportif en « situation ». Mais cela reste une mesure indirecte, car ils estiment le résultat de transformations énergétiques à partir d'intermédiaire observables.

- Il est nécessaire que ces tests soient simples dans le matériel utilisé et dans le protocole de déroulement (les conditions climatiques, la durée du test, l'interprétation de celui-ci, etc..).
- La validité : ces tests de terrain doivent mesurer exactement ce pour quoi ils ont été crées en relation avec les mesures directes de laboratoire, sans glissement d'objectifs.
- La fidélité : elle se situe à deux niveaux. Celui lié au matériel utilisé qui doit être le même pour tous et sur tous les lieux d'évaluation(chronomètre, magnétophone, plots, repères, sifflets, etc..) et celui lié à l'évalué lui même, qui testé dans des circonstances

identiques ne doit pas obtenir des résultats différents(même par des observateurs différents).

Voici quelques tests de terrain :

1. EVALUATION DU SYSTEME A.T.P.-P.C.

Rappel : le système des phosphagènes permet de fournir des efforts intenses de courte durée. La puissance est évaluée par des tests d'une durée inférieure à 7 secondes. La capacité par des durées incluses entre 15 secondes et 20 secondes.

Les efforts explosifs

⇨**Le test de détente verticale (Sargent-test-1921)** : avec une planche de 3,50m graduée en centimètre à partir de 1,30m (un mur peut aussi faire l'affaire). Le sujet part les pieds joints, avec les doigts imprégnés de craie. D'abord lever le bras verticalement et faire une marque, ensuite sans prendre d'élan on saute aussi haut que possible avec le bras en extension et faire à nouveau une marque. La différence entre les deux marques donne le résultat.
⇨**Le squat-jump** : mesure la détente verticale (en centimètre) avec un appareil **(Abalakov- 1931)** qui se compose d'un mètre ruban fixé à la taille. Le sujet part les genoux fléchis, dos droit et mains sur les hanches. Ce test mesure la force concentrique des membres inférieurs. Ce test est une amélioration du Sargent-test.
Résultats <30cm = **faible** /40cm=**moyen**/50cmà 60cm= **bon**/60cm à 70 cm= **très bon/**

- 80cm=**excellent**.

Les tests de détente verticale ou de lancer sont nombreux, ils sont susceptibles de rendre compte de l'évolution des qualités musculaires du pratiquant

Les exercices de vitesse

⇨**Le test sur 30 mètres pour les 7 et 12 ans** : Départ debout, on double le temps du sujet. Le résultat indique le temps mis pour parcourir la distance, ainsi que la vitesse moyenne sur 30m. Cela reflète la capacité de faire durer la puissance anaérobie alactique très élevée.

On peut retrouver le même test en natation sur 15 mètres

⇨**Le test de l'endurance du système des phosphagènes :** mesure la possibilité de durer le plus longtemps possible dans la voie métabolique anaérobie alactique. Course de vitesse sur 10 à 20 secondes. Ex : 40m en 4 secondes = 10 mètres à la seconde

100m en 12 secondes = 8.33m/seconde

Le rapport est égal à 8.33/10 = 0.83, ce qui est une endurance alactique faible. On doit se rapprocher au maximum de 1 pour avoir de très bons résultats.

2. EVALUATION DU SYSTEME GLYCOLYTIQUE ANAEROBIQUE

Rappel : Le système glycolytique permet de fournir un effort d'une grande intensité entre 30 secondes à pleine puissance et 2 minutes en capacité. Ces tests produisant une importante production de lactates doivent s'adresser à des sportifs confirmés. Ils sont donc à éviter chez les jeunes.

⇨**Le test de Lemon** : sur une piste d'athlétisme balisée chaque 50 mètres, le sujet doit courir à la vitesse la plus élevée un 500 mètres. On chronomètre le 2è 50 mètres et le dernier 50 mètres. On calcul la différence, l'objectif étant d'obtenir la plus petite différence. Cela donne un indicateur du potentiel anaérobie lactique.
Ce test peut être reproduit dans d'autres disciplines, sur des groupes musculaires spécifiques, etc…

3. EVALUATION DU SYSTEME AEROBIE

Rappel : Les processus aérobies permettent de fournir des efforts de longue durée dont l'intensité est limitée par la consommation maximale d'oxygène et la fatigue musculaire.

⇨**Le test de Cooper** : c'est le plus connu, c'est un jeune médecin de l'armée américaine, Kenneth Cooper qui le met au point en 1968(le régiment de Thionville réalise actuellement sa sélection avec ce test en particulier). Il s'agit de parcourir la plus grande distance possible durant 12 minutes sur une piste balisée à chaque 50 mètres. C'est un test difficile car la méconnaissance de l'allure, la résistance au stress, le degré de motivation influence les résultats.

⇨**L'épreuve de course de 2400 mètres de Cooper** : le sujet doit aller le plus vite possible sur la distance. Les résultats sont comparés avec le tableau de Cooper.

⇨**Epreuve de course navette de 20 m à palier de 1mn** : Dans un gymnase ou sur un terrain baliser deux lignes espacées de 20 mètres. Le protocole comporte la lecture d'une cassette enregistrée qui donnera l'allure par des bips. A chaque bip, le pied se bloque sur la ligne d'un coté et de l'autre du gymnase (allers-retours). Le rythme augmente par palier toutes les minutes. On peut lire ensuite son estimation de VO2 max en fonction du palier atteint.

On peut réaliser ce test sur une piste avec un balisage tous les 50m, ou changer les paliers qui peuvent aller jusqu'à 2 minutes.

Autres tests

⇨**Epreuve progressive de course sur piste avec paliers de 2mn (Léger-Boucher, 1982)** :

⇨**Le test de Brue**

⇨**Le Vameval**

Les tests de terrain sont valides, fidèles et facile à mettre en place. De plus ils se déroulent dans conditions similaires à la compétition. Mais pour l'approche des pratiques sportives informationnelles, les résultats de ces tests doivent être complétés par l'observation du pratiquant en situation compétitive.

L'OBSERVATION

Les situations où s'élabore la performance (matchs, concours, épreuves) sont riches d'enseignements. L'éducateur choisira d'observer des situations élémentaires, avec des règles aménagées, en temps restreint, à effectifs réduits.

Deux exemples :

Une course prolongée (test de Cooper pour un joueur de tennis)

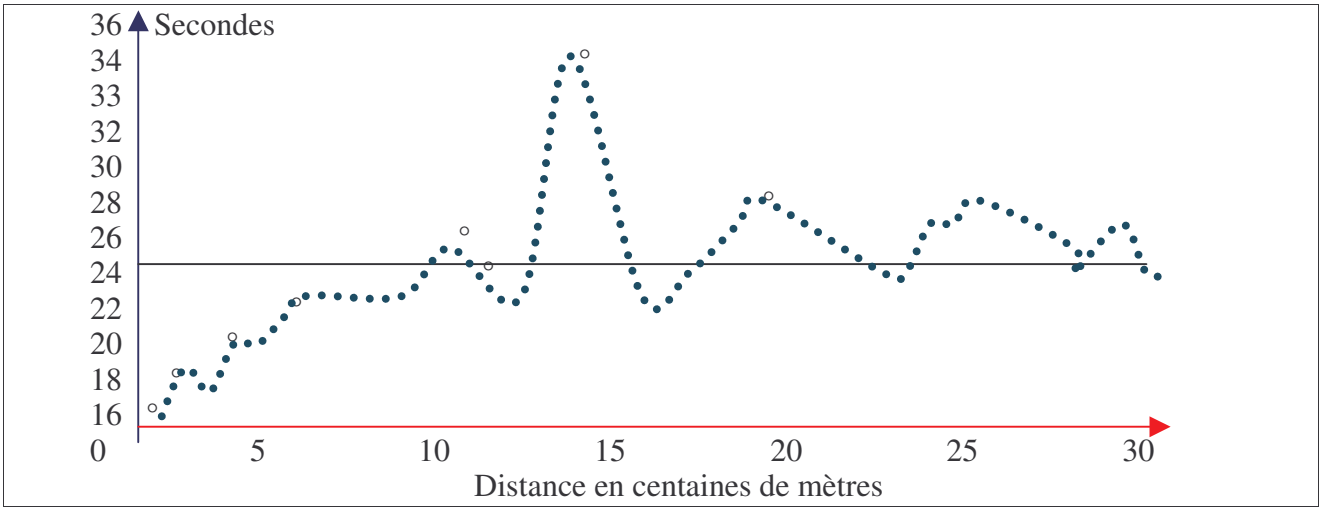

Pour une épreuve qui requiert un investissement énergétique maximal bien maîtrisé, la nécessaire connaissance des allures en course passe par l'apprentissage d'une vitesse régulière

Chez le débutant. On le voit sur cette courbe que le sujet à un départ trop rapide, ensuite c'est le coup de massue, baisse progressive de l'allure et lutte contre la fatigue pour rester dans le déroulement de l'épreuve. Mauvaise gestion de son effort, de sa course, il ne se connaît pas.

L'observation des sports collectifs.

Si la condition physique des joueurs n'est pas d'un très bon niveau, le nombre d'actions de grande intensité qu'ils réalisent diminue et le temps de récupération marchée augmente. Le footballeur non porteur du ballon se « cachera » derrière l'adversaire et participera moins au jeu, le handballeur multipliera les fautes, le volleyeur les maladresses, etc…

Une observation de leur efficacité offensive à travers une fiche d'observation peut donner une « photo » de chacun des joueurs. Cela conduira l'éducateur à proposer des séances axées sur l'engagement physique.

Nom : ***ZIDANE***					
Date :	Balles reçues	Balles conquises	Balles perdues	Passes au tireur	Tirs
	30	2	29	3	1

Les situations d'observation approchent, par des critères variés, les aspects qualitatifs de la performance du pratiquant (mobilisation des ressources énergétiques, biomécaniques et informationnelles. Dans le domaine de la préparation physique, les techniques d'observation aident l'éducateur à choisir des objectifs et à définir des charges ajustées aux possibilités du pratiquant. Une évaluation qui se répétée « dessine » l'état de forme du sujet.

La détermination des objectifs d'entraînement

Introduction

Entraîner c'est ***préparer un programme*** avec des contenus de séances adapté à l'individu. Mais avant l'éducateur doit se centrer résolument sur les motivations des pratiquants**.**

Quels objectifs d'entraînement ?

Les A.P.S. sont motivantes par elles- mêmes ; pourtant certains pratiquants abandonnent. L'entraîneur devrait prendre connaissance des nombreuses raisons qui poussent le public auquel il s'adresse à pratiquer ou à abandonner.

L'enfant sportif prend plaisir à manifester une compétence, à se perfectionner dans des activités ou à rechercher une approbation sociale. L'adulte a des motivations identiques, mais il attribue à une même activité sportive des significations très différentes. Ainsi nager est considéré selon le cas comme un sport de performance, un sport de formation ou comme un moyen de réhabilitation.

L'objectif mobilise l'émotion du pratiquant. Ainsi, la réussite de buts réalistes renforce la confiance en soi et le sentiment de compétence du pratiquant et par là son adhésion explicite. L'enfant recherchera une satisfaction immédiate, obligeant l'éducateur à œuvrer dans une perspective à court terme. Les projets à long terme ne motivent que les adultes et adolescents.

L'entraînement

Le problème de l'entraînement se pose depuis les J.O. de l'antiquité. C'est après la seconde guerre mondiale qu'apparut une approche méthodique de l'entraînement. L'apport des sciences (physiologie, biologie, biomécanique, psychologie, sociologie) permit l'apparition d'une méthodologie de l'entraînement selon les sports pratiqués.

La discipline pratiquée

L'analyse de la discipline permet à l'entraîneur de connaître à quels types d'effort fait appel le sport pratiqué par l'athlète. Il va savoir à quels types de dépense énergétiques est liée sa pratique. Dans ce cadre on peut distinguer des sports soumis à des efforts continus ou à des efforts intermittents. Ex :

Sports à efforts continus	**Sports à efforts intermittents**
Voie Anaérobie Alactique Sports de détente, de vitesse, de puissance, sauts de cheval en gymnastique, etc. ***Voie Anaérobie Lactique*** 400-800 en course, 1OO-200-400 en natation, le ski alpin, le patinage, la gymnastique (sol-agrès) ***Voie aérobie*** le ski de fond, les courses de fond, le cyclisme, l'aviron, etc.	***Ces sports sollicitent à des niveaux différents les trois filières énergétiques***. Les sports collectifs Le tennis Le tennis de table Les sports de combat Etc Ces sports présentent, sur un fond de travail aérobie une succession d'efforts courts et intenses, espacés de temps de récupération

Avec les différentes données, l'entraîneur peut orienter, selon l'âge des joueurs et ses objectifs, son entraînement et sa planification. Bien sûr la préparation physique repose sur les facteurs énergétiques, mais on doit absolument ***travailler les facteurs de coordination***, les composantes technico – tactiques posées par la discipline elle-même.

On établi un constat après analyse, après l'évaluation des potentiels. On se fixe ensuite des objectifs planifiés.

Pourquoi planifier ?

L'acquisition des habiletés motrices et le développement des qualités physiques exigent du temps. Une réflexion s'impose aussi sur la durée dans le domaine des acquisitions et dans celui de l'adaptation de l'organisme à l'entraînement.

Nous savons que l'état de forme optimale du sportif est passager. ***Le plan d'entraînement est un document écrit***, il reflète les priorités temporaires choisies par l'entraîneur pour développer les différents axes de travail qui vont tendre vers la performance. ***Le plan d'entraînement fera l'objet d'un travail permanent d'élaboration et de réajustement***.

La planification est une anticipation des résultats à partir du constat de l'environnement social et matériel dans lequel se déroule la préparation (motivation, niveau physique de départ en début de saison, les objectifs à atteindre, les conditions matérielles). Mais l'élément central reste le calendrier officiel des compétitions. Sa préparation repose sur l'identification de l'activité sportive de performance.

Ex : Planification des objectifs prioritaires de formation physique pour des jeunes joueurs.

OBJECTIFS	SEPT/OCTO/NOV/DEC PERIODE DE PREPARATION FONCIERE	JAN/FEV/MARS PERIODE DES COMPETITIONS PREPARATOIRES	AVR/MAI/JUIN/JUIL/AOUT PERIODE DE COMPETITION
ENDURANCE	**40%/50%**	**30%**	**30%**
VITESSE.DETENTE	**10%**	**30%**	**10%**
COORDINATION.ADRESSE	**20%**	**20%**	**60%**
RENF. MUSCU.ETIREMENTS	**10%/20%**	**20%**	
NB DE SEANCES HEBDOMADAIRES	**2 à 4**	**2 à 4**	**1 à 2**
RAPPORT PREPAR.PHYSIQUE/TENNIS	**1/1**	**1/3**	**1/5**

Pour de nombreux sports tels que, l'athlétisme, la natation, l'aviron, le cyclisme, la saison est découpée en deux temps : les compétitions hivernales et les compétitions estivales. L'objectif de forme optimale du pratiquant est guidé par ces deux périodes.

Pour les sports collectifs ou le tennis par exemple, les compétitions se déroulent sur plusieurs mois. L'activité de programmation doit s'organiser sur les différents rendez vous importants dans la saison.

Les objectifs d'entraînement à choisir

L'éducateur devra choisir les thèmes prioritaires à développer. Si le nombre de séances est réduit pour diverses raisons, le choix des objectifs est plus risqué ainsi que celui des résultats.

Doit-on attribuer plus d'importance à la préparation physique ou à la préparation spécifique ?. On sait que l'entraînement général améliore la forme physique et augmente les capacités fonctionnelles du pratiquant. Il sera indispensable pour l'éducateur de programmer une préparation physique généralisée structurée dans sa planification.

Il est reconnu que si on ne pratiquait que son activité spécifique, on ne pourrait pas atteindre son plus haut niveau personnel !. Des expériences attestent de la justification de cette préparation :

Deux groupes de jeunes sprinters ont travaillé avec une programmation différente. Le premier groupe a eu comme base de travail : l'endurance(60%), exercices de détente et vitesse(25%), Activités diverses(15%).

Le second groupe a eu un travail axé sur l'endurance(25%) et les exercices de détente et vitesse représentaient 60%.

Après analyse des résultats, on s'aperçoit que le groupe qui progresse le moins à court et long terme est celui qui a entamé la spécialisation précoce(le second groupe).

Les objectifs

- Définir un objectif,consiste à fixer avec une grande exactitude le but souhaité qui sera atteint dans une période déterminée :

Etre au sommet de sa forme physique durant la coupe du monde de football, ou durant les championnats du monde d'athlétisme ou pour la période du régional de natation demande les mêmes principes de planification. L'entraîneur ne doit pas se tromper, car être en forme trop tôt ou trop tard, change toutes les données pour l'athlète ou l'équipe.

L'objectif principal

- C'est le but de la saison, l'aboutissement final de la saison. Celui-ci se termine *normalement* par l'accomplissement de la performance envisagée. Pour cela il faut envisager une notion de long terme.

Les principes d'entraînement

Les principes d'entraînement sont issus directement des données fondamentales et sont le lien entre la théorie et le terrain.

L'entraîneur doit s'y référer quotidiennement avant de construire un programme. La charge représentée par la notion d'effort/récupération en constitue la base centrale. C'est la mise en place des différentes charges de travail qui crée un état de désordre physiologique nécessitant une adaptation organique (stimulus).

Exemple : Plan de Frédéric

Lundi : 30' de footing + 2 x 3 x 300m en 52'' rc 1'/ RC 5'(récupération active)+ 15' de récupération et souplesse.

Mardi: 65' de footing (130fc/140fc) et étirements

Mercredi: 30 de footing + 3 x 10' au seuil anaérobie rc 4' au trot

Jeudi 60' de footing à 130/145 fc

Vendredi : Repos

Samedi : 30' de footing et 400(68'')-500(1'25'')-600(1'40'')-800(2'20'')-800-600-500-400 rc active 1' 30''/2'/2'30''/3'00'' et 15 ' de récupération.

Dimanche : 30' de footing à 130 fc + 15'à 160fc +15' récupération à 130 fc et Préparation physique généralisée(PPG).

La caractéristique de la charge mesure de l'intensité est plus complexe que la mesure de la quantité, car elle doit sans cesse se référer aux capacités maximales du sujet, qui ne sont pas toujours mesurables.

D'ou le recours fréquent à deux formes différentes de mesure de l'intensité, qui procèdent de deux concepts importants :

- ***La charge interne***

La charge externe est la mesure de ce que fait l'athlète : par exemple lorsque Jennifer effectue un parcours sur son vélo à la vitesse de 42 km/h. Mais cet exercice, normal pour une athlète de niveau national représente par contre une tâche à la limite de l'agonie pour un amateur qui débute (le bon père de famille qui ne sort le vélo que le dimanche) .

Il est donc nécessaire, pour mieux évaluer ce qui se produit chez un athlète, de mesurer également la ***charge interne*** (la fatigue réelle qu'il éprouve). On s'aperçoit alors que choisir une même charge interne pour un débutant et un athlète de haut niveau revient à choisir deux charges externes différentes.

Si on prend la cas de la course à pied, une allure unique de 14 km/h(charge externe) en footing pour Eric, Lahouari, Marc, Bruno et Philippe représentera différentes charges internes. On peut dire que la charge externe est mesurable, à l'inverse l'organisme subit la charge interne.

- La nature de la charge

Une charge de travail est spécifique si elle sollicite les mêmes régulations neuro-musculaires que l'activité pratiquée.

- **La durée de la charge** : c'est la durée de l'exercice ou des exercices organisés en répétitions et en séries.
- **L'intensité de la charge** : détermine les adaptations organiques très spécifiques. C'est le degré de difficulté de l'exercice.
- **La répétition des exercices** et de la récupération entre ceux-ci : nous savons que toute charge sollicite les processus de récupération. Ceux-ci influencent l'organisation des exercices proposés au cours de la séance ainsi que leurs fréquences.

La croissance de la charge

- Elle repose sur l'augmentation progressive de la charge (durée, intensité, récupération).

Continuité de la charge

- Après un arrêt dû à une blessure ou une démotivation, la capacité de performance décroît. Ce qui est acquis lentement (la capacité pour les efforts énergétiques) régresse lentement. Ce qui est acquis rapidement (la puissance) disparaît rapidement. Les acquis techniques sont plus stables que les acquis énergétiques (le geste en volley reste précis mais on « perd » le souffle).

L'organisation de l'entraînement en périodes

La structuration de l'entraînement consiste à intégrer ses différentes composantes en un processus cohérent qui assure son unité. Avant de détailler la planification d'un programme, vous ne devez pas oublier en tant que futurs éducateurs :

- qu'un enfant ou débutant récupère plus lentement qu'un adulte ou un sportif confirmé.
- Qu'avec des procédés de récupération adéquats, les sportifs peuvent supporter des charges d'entraînement supérieures de 15 à 30 %.
- Il est important d'avoir un travail varié, plus riche en situations pédagogiques, en lieux agréables, en diversité. Cela permet une meilleure motivation, une récupération plus rapide des capacités fonctionnelles du S.N.C
- De savoir que la plus grande activité des processus biologiques et la plus grande capacité de travail se situent entre 10h et 13h , et 17 et 20h.

L'agencement des exercices qui sont les unités de base du processus d'entraînement constitue l'organisation de la séance.

Structure générale de la séance :

La capacité de travail augmente progressivement en début de séance pendant la période d'échauffement qui stimule le S.N.C et active les fonctions végétatives. Cette période se traduit par une amélioration de la coordination motrice, une amélioration du rendement énergétique, un gain de flexibilité.

La période d'échauffement se divise en trois parties :

1. Echauffement général qui stimule les systèmes fonctionnels les plus importants.
2. Echauffement spécifique de l'activité qui stimule l'ensemble des composantes mises en jeu dans la pratique de telle ou telle activité.
3. Echauffement spécifique de la séance qui stimule d'une façon ciblée ou élective les systèmes directement concernés par la partie principale de la séance.

Après une séance, il reste la partie terminale de celle-ci qui sera constituée par un retour au calme. On se dirige vers l'état initial, on peut travailler la récupération active(léger footing) et insister sur la souplesse et la flexibilité. Des massages, des bain chaud, des jacusis , des saunas peuvent agrémenter la fin d'une séance. Bien sûr on se doit de boire beaucoup d'eau et avaler quelques fruits secs ou des collations sucrées.

La séance

La quantité d'effort investie dans une séance est l'un des principaux facteurs de son efficacité : plus elle est importante, plus les systèmes fonctionnels sont sollicités, plus l'homéostasie est troublée, plus longue sera la durée des processus de récupération. Selon l'objectif que vous mettez en place, la séance sera différente(récupération, travail, technique, général, physique, etc).

Plusieurs séances dans une semaine seront nécessaires, selon le niveau et l'âge du sujet. Bien sûr on ne travaille pas toute l'année de la même manière ni à la même intensité On est ainsi amené à distinguer trois périodes de préparation de durée différente dans la programmation et la période de l'entraînement.

4. ***Le micro-cycle (petit cycle)***
5. ***Le mésocycle (cycle moyen)***
6. ***Le macrocycle (grand cycle)***

1)Le Micro-cycle **est généralement d'une durée d'une semaine, pour des raisons biologiques et sociales**. Le nombre d'unités d'entraînement d'un micro-cycle peut aller de 2 séances pour le sport loisir et atteindre 18 voire 20 séances pour le haut niveau (Matveev).

Il faut alterner charge et récupération pour travailler avec efficacité.

On peut trouver 4 micro-cycles :

1. ***Microcycle de préparation*** : à pour but la recherche de la quantité maximale de charge, avec une intensité modérée.
2. ***Microcycle de pré-compétition*** : Il est caractéristique de la période de compétition, de l'étape spéciale de la phase préparatoire. Le travail diminue lentement mais l'intensité augmente pour sa phase maximale. On peut y placer des compétitions.
3. ***Microcycle de compétition*** : La quantité de travail se réduit brusquement, on peut aussi prévoir de repos relatif. Dans cette phase on doit amener l'athlète dans un état de fraîcheur psychologique et lui apporter la plus grande quantité possible d'énergie biologique. On peut y incorporer des moments de récupération, de relâche, de regénération.
4. ***Microcycle de compensation*** : La charge accumulée dans les phases précédentes exige de l'organisme une grande dépense d'énergie. C'est pourquoi ce microcycle comporte une diminution drastique de la quantité et de l'intensité du travail pouvant aller jusqu'à 70% de moins par rapport aux autres cycles. La fréquence de ce cycle est de 1 pour 3 ou 1 pour 4. Pendant la phase de compétition, ce rapport est de 1 pour 2.

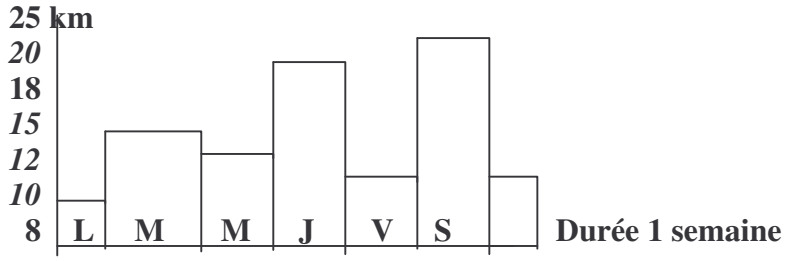

2)Le Mésocycle Peut comprendre l'organisation ***de 2 à 6 semaines*** d'entraînement(2 à 6 microcycles). Il faut retrouver dans ce mésocycle : une croissance continue et ininterrompue de la charge, depuis la période préparatoire jusqu'à la période de compétition. Le mésocycle avec une augmentation croissante sur 3 semaines et un repos relatif en semaine 4 convient très bien pour les sports de longue durée(cyclisme, course, aviron natation, etc..).

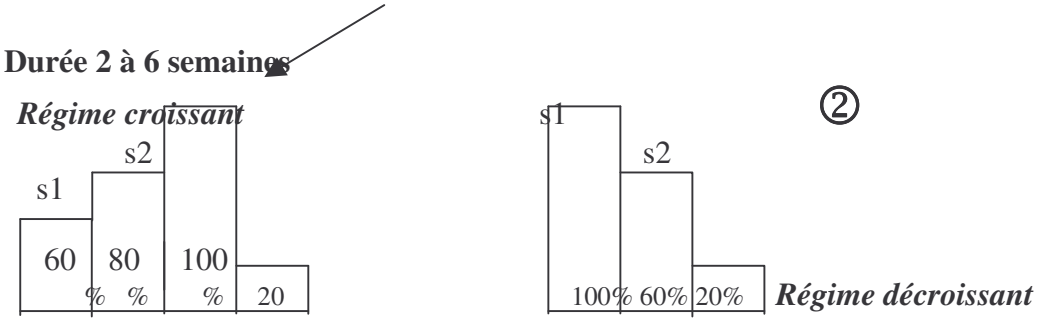

Des mésocycles avec trois semaines conviennent particulièrement aux discipline de force, de vitesse(100m, 200m,400m plat, le kilomètre en vélo, etc..)

Les mésocycles peuvent être classés selon les types ci-après :

Mésocycle de préparation : Augmentation de la charge de travail

Mésocycle de contrôle : Avec des compétitions de contrôles ou des tests, situés en fin de préparation.

Mésocycle de compensation : Ils viennent après des périodes très lourdes de travail, le but étant de faire de la fraîcheur avec des séances allégées.

3)Le Macrocycle est un cycle qui englobe plusieurs mésocycles. Sa durée peut aller de ***trois mois à 12 mois***. Il comprend trois périodes fondamentales

1. **La période préparatoire**
2. **La période des compétitions**
3. **La période de transition**

- **La période préparatoire** : a pour objectif d'élever les capacités de l'athlète (Période foncière pour les sports énergétiques, travail en capacité. Cette période se divise en deux grandes étapes :

1. Une étape fondamentale préparatoire
2. une étape spéciale

Dans la première, il y une nette prédominance des exercices à caractère général sur les exercices à caractère spécifique avec une élévation progressive.
Dans l'étape spéciale on essaye de faire coller la technique sportive et la charge spécifique, pour préparer à la performance optimale.

- **La période de compétition** : durant cette période, l'objectif est d'obtenir un rendement maximum du travail accompli en amont. La participation à des compétitions est recherchée pour maintenir le degré de forme à un niveau de rendement maximum. Attention aux épreuves de travail en anaérobie lactique, car dans cette voie la forme arrive très vite et peut disparaître très rapidement aussi.

L'énergie psychique ne peut provenir que de la participation aux compétitions car elle mobilise toutes les ressources psychologiques et émotionnelles.
On peut penser que l'état de forme atteint son maximum après 10 semaines de participation aux compétitions.
Dans les épreuves de forces on peut compter une compétition par semaine, dans les épreuves de combats ou de « résistance » il faut laisser un intervalle plus long pour récupérer. Dans le domaine du fond on peut participer à 3 semi marathons ou 2 marathons dans l'année et cela concerne le haut niveau.

- Période de transition : durant cette période on récupère d'abord, avec une coupe franche dans le kilométrage, dans le nombre de séances. On peut changer d'activités sportives (tennis, Vélo, natation, marche, foot, volley). Le repos est le meilleur moyen de récupération, on peut y ajouter des soins thermaux, des massages et surtout on pense à autre chose. Prendre 2 à 4 semaines de vacances en travaillant légèrement son aérobie et en entretenant sa souplesse ou sa force n'est pas contre-indiqué.

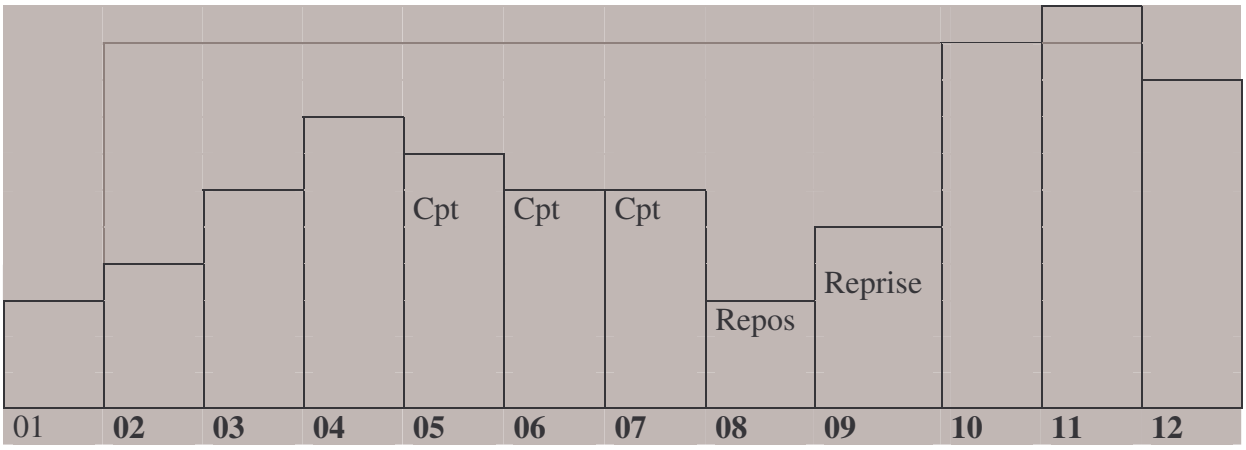

3) Le Macrocycle est un cycle qui englobe plusieurs mésocycles. Sa durée peut aller de ***trois mois à 12 mois***. Il comprend trois périodes fondamentales.

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرنكلين روزفلت، ، الجزائر
الهاتف : 25/ 213 021.23.07.24 التاسوخ : 213 021.23.07.17
ص.ب : 575 الجزائر - ديدوش مراد
www.csla.dz Email : ma3alim.csla@gmail.com

ردمد: 2170-0052